Dm.26938

الجزء الثاني — المجلد الثاني والثلاثون

مجلة
المجمع العلمي العربي

INSTITUT FRANÇAIS D'ARCHÉOLOGIE ORIENTALE DU CAIRE
BIBLIOTHÈQUE

١ نيسان سنة ١٩٥٧ م — ١ رمضان ١٣٧٦ هـ

حول الفصحى والعامية

ان قضية الفصحى والعامية في اللغة العربية ، لهي من القضايا التي تثار من حين الى حين ، منذ عدة عقود من السنين .

يثيرها — على الأكثر — بعض الذين يدعون الى التخلي عن الفصحى ، والتحول عنها الى العامية ، في الكتابة والخطابة والحوار ، ولا سيما في القصص والمسرحيات .

ويستند هؤلاء في دعوتهم هذه الى ملاحظات عديدة ومتنوعة ، أهمها وأعمها — على ما أعتقد — يحوم حول تشبيه العربية باللاتينية .

انهم يقولون : « إن حالة العربية الفصحى الآن ، لا تختلف عن حالة اللاتينية الكلاسيكية قديماً ، فمصيرها سيكون شبيهاً بمصير اللغة المذكورة حتماً . من المعلوم ان اللاتينية ماتت ، بعد أن ولّدت اللغات الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية والرومانية .. التي تعرف الآن باسم « اللغات اللاتينية » . وهذه اللغات أصبحت منذ عدة قرون لغات علم وأدب ، بعد أن كانت بمثابة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« لغات عامية » مدة غير قصيرة من الزمن . وأما اللاتينية الأصلية فقد اندثرت وماتت ، بعد أن كانت لغة العلم والأدب في معظم بلاد الغرب ، مدة قرون عديدة . »

« فلا بد أن يحدث مثل ذلك في اللغة العربية أيضاً . فمن العبث أن تبذل الجهود لتأخير هذا المصير . بل من الخير لنا أن نؤمن بذلك من الآن ، فنوجه جهودنا الى جعل « العامية » لغة الكتابة والعلم والأدب ، بوجه عام ... »

إن أمثال هذه الملاحظات تسيطر على أذهان الكثيرين ممن يقولون بوجوب عدم التمسك بالعربية الفصحى ، وهي تظهر من خلال أحاديثهم وكتاباتهم بأشكال وأساليب شتى .

ولهذا السبب ، إني أعتقد بأن بحث قضية الفصحى والعامية يجب أن يبدأ بدرس هذه « الحجة الأساسية » ، يجب علينا أن نلقي نظرة فاحصة الى تاريخ اللغات اللاتينية ، لكي نستطيع أن نحكم - بطريقة علمية سليمة - هل تشبه حالة اللغة العربية الآن حالة اللاتينية قديماً ؟ وهل سيكون مصيرها شبيهاً بمصير اللغة اللاتينية حتماً ؟

لا شك في أن اللغات الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية والرومانية .. قد تفرعت من اللغة اللاتينية .

وصحيح أنها كانت - في بادئ الأمر - لغات عامية ، ثم تحولت - تدريجاً - الى لغات علم وأدب راقية .

وصحيح أيضاً ، أن اللاتينية الكلاسيكية ، قد فقدت الحياة ، حيث لم يبق على وجه البسيطة أمة أو شعب يتكلم بها .

هذه كلها من الحقائق الثابتة ، التي لا يمكن لأحد أن ينكرها ، بوجه من الوجوه .

ولكن ... هناك حقائق أخرى ، لا بد من أخذها بنظر الاعتبار في هذا المضمار .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ان اللغات التي تفرعت عن اللاتينية لم تنحصر باللغات التي ذكرناها آنفاً . بل قد تفرعت عن اللاتينية عشرات اللغات ومئات اللهجات . الا أن معظم هذه اللغات واللهجات لم تعش الى يومنا هذا ، بل تركت محلها الى اللغات اللاتينية المعروفة الآن . فان كل واحدة من اللغات اللاتينية المتداولة الآن ، قد قامت مقام عدد غير قليل من اللغات واللهجات .

ويفهم من ذلك : أن تاريخ تطور اللغات يعرض الى الأنظار نوعين من التطورات : التطور نحو التفرع ، والتطور نحو التوحد . ويسمي الباحثون الطور الأول بـ « طور التجزؤ Morcellement » والطور الثاني بـ « طور التوحد Réunification » .

إن من يحصر نظره حول النوع الأول من التطورات ، فلا ينتبه الى النوع الثاني منها ... يبقى بعيداً عن إدراك الحقائق على وجهها الصحيح ، بعداً كبيراً .

فيجدر بنا أن ندرس صفحات تطور اللغات اللاتينية ، لنطلع على أطوار « التجزؤ » وعواملة من ناحية ، وأطوار « التوحد » وعوامله من ناحية أخرى .

وبهذه الصورة ـ وبهذه الصورة وحدها ـ نستطيع أن نصل الى نتيجة علمية ، في هذه القضية الهامة .

تفرع اللغة اللاتينية

ـ ١ ـ

ان اللاتينية كانت ـ في بادئ الأمر ـ لغة خاصة بمدينة روما وضواحيها المعروفة باسم Latium ، ثم أصبحت لغة ايطاليا بأجمعها ، بسبب توسع حكم الرومان فيها . وبعد ذلك انتشرت الى جميع البلاد المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط ، مع الفتوحات التي تمت في عهد الامبراطورية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكان لأهالي تلك البلاد الشاسعة لغات خاصة بهم ، مثل اليونانيـة ، والآرامية ، والعربية ، والقبطية ، والغوتية ، والبربرية ، والفالية ، والايبرية ، والليجورية ، والسلتية ... الخ ...

وعندما دخلت اللاتينية الى تلك البلاد ، مع الجيوش والحكام ، بدأ نوع من التنازع والتفاعل بينها وبين اللغات الدارجة في البلاد المفتوحة . وأما نتائج هذا التفاعل والتنازع ، فقد اختلف باختلاف اللغات والأقطار .

في الشرق ، لم تستطع اللاتينية أن تتغلب على اليونانية ؛ لأن اللغة المذكورة كانت مقترنة بحضارة أرقى من حضارة الرومان ، وبأدب أرفع من الأدب اللاتيني . ولذلك أثرت في اللاتينية أكثر مما تأثرت منها ؛ فحافظت البلاد اليونانية على شخصيتها اللغوية ، على الرغم من خضوعها الى حكم الرومان وسيطرتهم السياسية .

ومن المعلوم أن ذلك كان من جملة العوامل التي أدت الى انشطار الامبراطورية الرومانية الى شطرين : الامبراطورية الشرقية والامبراطورية الغربيـة ، حيث أصبحت اللغة الرسمية « اليونانية » في الشرقية ، وظلت « اللاتينية » في الغربية .

وأما في الغرب ، ـ في البلاد التي تعرف الآن باسم فرنسا واسبانيا وبريطانيا العظمى ـ ، فقد حدث عكس ذلك تماماً : تغلبت اللاتينية على لغات البلاد المفتوحة . لأن تلك اللغات كانت محرومة من أدب مدوّن ومكتوب ، كما انها كانت غير مدعومة بحضارة راقية .

ولكن هذه الغلبة لم تتمّ إلا بعد تفاعل وتنازع استمر نحو خمسة قرون . ومن الطبيعي أن اللاتينية تأثرت خلال هذه المدة الطويلة من خصائص تلك اللغات ، وتغيرت عن أصلها في كثير الأمور .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كانت اللاتينية ترقت كثيراً ، فأصبحت لغة أدب رفيع جداً ، بفضل الخطباء والشعراء والعلماء الذين نبغوا في عهد الامبراطورية الزاهرة ، أمثال تشيتشرون ، وفيرجيل ، ولوكرس ...

ولكن هذه اللاتينية الأدبية ـ اللاتينية الكلاسيكية ـ كانت بمثابة لغة أريستوقراطية ، لا يمارسها ولا يحسنها إلا النخبة الممتازة ، من الحكام والأدباء والمتنورين . إنها لم تتغلغل كثيراً بين طبقات العوام . وظل الناس يتكلمون بلهجات لاتينية بسيطة ، كان الرومان يميزونها عن اللاتينية الكلاسيكية ، ويسمونها بأسماء خاصة ، مثل : كلام العوام ، اللغة الدارجة ، لغة الفلاحين

Sermo vulgaris , lingum rusticum , lingua usualis ,

ان الفتوحات الرومانية ، كانت تنشر اللاتينية الكلاسيكية ، واللاتينية العامية في وقت واحد : الكلاسيكية مع الحكام والمتنورين ، والعامية بواسطة الجنود والتجار ، والفلاحين الذين استوطنوا البلاد المفتوحة ، وصاروا يعيشون ويعملون بين أهاليها الأصليين .

ومن الطبيعي أن اللاتينية الكلاسيكية بقيت ـ خلال هذا الانتشار ـ كما هي : بمفرداتها وقواعدها الصرفية والنحوية المدونة في الكتب . ولكن اللاتينية العامية لم تسلم من التغير والتحول ، لأنها كانت تنتقل وتنتشر عن طريق المشافهة وحدها ، فكان من الطبيعي أن تتأثر ـ خلال هذا الانتشار ـ من خصائص اللغات المحلية القديمة ، ولا سيما من أساليبها الصوتية .

ومما تجب ملاحظته في هذا المضمار ، ان اللغات الدارجة في البلاد المفتوحة التي ذكرناها آنفاً ، كانت كثيرة ومتنوعة ومتشعبة الى عدد كبير من اللهجات . فكان من الطبيعي أن يؤدي تفاعل اللاتينية العامية مع كل واحدة من هذه اللهجات واللغات المحلية ، في تلك الأقاليم المتنوعة ، الى تكوين لغات ولهجات عديدة ، تختلف عن اللاتينية الأصلية ، في كثير من الخصائص .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولهذا السبب ، يرجح الباحثون تسمية هذه اللغات واللهجات الجديدة بال « رومانية » تمييزاً لها عن اللاتينية الأصلية .

- ٢ -

ولكن ... هذه اللغات الرومانية الجديدة ، لم تكد تتغلب على اللغات المحلية ، فتستقر - نوعاً ما - على حالات وأساليب معينة ، حتى تعرضت الى عوامل قوية من التحولات والتغيرات الجديدة : إذ دخلت البلاد المذكورة لغات جرمانية عديدة ، من جراء استيلاء القبائل الجرمانية عليها ، واستيطان عدد غير قليل من القبائل المذكورة في مختلف أقطارها .

ومن الطبيعي ، أن قام عندئذ تفاعل وتنازع بين اللغات واللهجات الجرمانية التي كان يتكلم بها الغزاة والمهاجرون ، وبين اللهجات الرومانية التي كان يتكلم بها أهالي البلاد .

وأما نتائج هذا التنازع الجديد ، فقد اختلفت - هي أيضاً - باختلاف البلاد : ففي بريطانيا العظمى وبريطانيا الصغرى تغلبت اللغات الجرمانية على الرومانية ، وأصبحت تلك البلاد جرمانية اللغة . ولكن في سائر أقاليم فرنسا وفي اسبانيا وايطاليا - بعكس ذلك - تغلبت اللغات الرومانية على الجرمانية ، حيث نسي الفاتحون والمهاجرون - بمرور الزمان وبصورة تدريجية - لغاتهم الأصلية وصاروا هم أيضاً يتكلمون باللغات الرومانية ، مثل أهل البلاد التي فتحوها وهاجروا اليها .

ولكن ذلك لم يتم ، إلا بعد مرور نحو ثلاثة قرون .

ومن الطبيعي أن يكون قد حدث ، خلال هذه المدة ، تفاعل بين لغات الفاتحين وبين لغات البلاد المفتوحة . ولذلك تأثرت اللغات الرومانية بعض التأثر من خصائص اللغات الجرمانية ، فازدادت بذلك تباعداً عن اللاتينية الأصلية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومما يجب أن لا يغرب عن البال في هذا المضمار : ان اللغات الجرمانية التي دخلت مع القبائل الغازية المعلومة ، الى مختلف أقطار البلاد التي تعرف الآن باسم ايطاليا وفرنسا واسبانيا .. كانت متنوعة ومتشعبة في حد ذاتها . فتفاعل هذه اللغات واللهجات الجرمانية المختلفة مع اللغات الدارجة في مختلف أنحاء البلاد المذكورة ، كان من الطبيعي أن يؤدي الى زيادة أنواع اللغات واللهجات المنحدرة من اللاتينية زيادة كبيرة .

* * *

إن غزوات القبائل الجرمانية للبلاد المذكورة أثرت في مصير اللغة اللاتينية ، من وجوه أخرى أيضاً : ان هذه الغزوات أدت الى حدوث تطورات وانقلابات اجتماعية وسياسية هامة . فكان من الطبيعي أن تتأثر اللغات من هذه الانقلابات تأثراً عميقاً .

إذ من المعلوم أن الغزوات الجرمانية أدت ـ في آخر الأمر ـ الى انقراض الامبراطورية الرومانية الغربية وزوالها ، كما انها سببت تقلص الطبقة المتعلمة والمستنيرة ، وتلاشيها بسرعة كبيرة .

ومن الطبيعي أن زوال الوحدة السياسية من جراء سقوط الامبراطورية ، قد حرم اللاتينية الكلاسيكية من السلطة المعنوية التي كانت تتمتع بها ، لكونها لغة الحكم والإدارة في امبراطورية واسعة الأرجاء . كما أن تلاشي الطبقة المستنيرة التي كانت تمارس اللاتينية الأدبية وترعاها ، أدى الى تقلص ظل اللغة المذكورة الى أقصى حدود التقلص ، وجعلها تنحصر بين جدران المعابد والأديرة وحدها .

ولا حاجة للبيان أن انسحاب اللاتينية الأدبية من الميدان ، انسحاباً يكاد يكون تاماً ، على المنوال الذي سردناه آنفاً ، ترك الحبل على غارب اللغات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العامية ، وأفسح أمامها مجالاً واسعاً للتغير السريع ، والتفرع الذي لا يقف عند حد ، لعدم وجود عائق يعيقه ، وضابط يضبطه .

إن انضمام هذه العوامل الهامة الى عوامل التحول والتفرع التي سردناها قبلاً ، أدى ـ بطبيعة الحال ـ الى زيادة تباعد اللغات واللهجات الرومانية ، عن اللاتينية الأصلية زيادة كبيرة جداً .

في الواقع أن « شارلماني » الشهير ، قد سعى ـ في القرن التاسع للميلاد ـ الى إحياء الامبراطورية ، وتشجيع التعليم . إلاّ أن الامبراطورية ، التي كونها ، لم تعمر طويلاً ، لأنه هو بنفسه قسمها بين أولاده الثلاثة ، وفتح بذلك الباب للتقسيمات المتتالية بين أحفاده العديدين . ومن المعلوم أنه بعد ذلك العهد القصير ، أخذت روابط السلطات المركزية ترتخي بسرعة ، ثم نشأت النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية الخاصة التي عرفت باسم « الاقطاعية » « الفيوداليته » ، فانقسمت البلاد الى عدد لا يحصى من المقاطعات الصغيرة ، وصارت تحتمي كل واحدة منها بقصر محصّن ، وتتمتع باستقلال فعلي مطلق ، فلا ترتبط بالملكة أو بالامبراطورية إلا بروابط اسمية بحتة ، ثم أخذت الروابط التي تصل هذه المقاطعات بعضها ببعض أيضاً ترتخي فتزول بصورة تدريجية ، الى أن أصبحت كل مقاطعة وكل مدينة منطوية على نفسها ، ومكتفية بذاتها ، ومنعزلة عن غيرها انعزالاً يكاد يكون تاماً .

ومن المعلوم أن في ذلك العهد تفشت الأمية بصورة لم يسبق لها مثيل . فلم يبق من يعرف القراءة والكتابة حتى بين كبار أصحاب المقاطعات وطبقة الحكام والنبلاء . وأصبحت الكتابة والقراءة مما يختص به جماعة من رجال الكنائس وحدهم .

ولا حاجة الى القول : ان كل ذلك أوصل تفرع اللغات واللهجات العامية الى حده الأقصى .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إن العوامل التي ذكرناها الى الآن ، كانت عوامل عامة ، تشمل جميع البلاد التي عرفت باسم « اللاتينية » . ولإتمام سلسلة هذه العوامل المتنوعة ، لا بد لنا من أن نشير الى عامل آخر ، اختص بقسم من تلك البلاد ، دون غيرها . هذا العامل الخاص ، هو تأثير اللغة العربية في اللغة الاسبانية .

من المعلوم أن العرب كانوا استولوا على اسبانيا واستوطنوها . وأسسوا فيها حضارة راقية ، استمرت مدة طويلة ، تقرب من ثمانية قرون . فكان من الطبيعي أن تؤثر اللغة العربية ـ خلال هذه المدة الطويلة ـ في اللغات الاسبانية تأثيراً كبيراً . فاقتبست الاسبانية من اللغة العربية بعض الأصوات التي لم يكن في اللغة اللاتينية ما يماثلها . كما اقتبست آلاف الكلمات العربية التي تختلف عن الكلمات اللاتينية اختلافاً جوهرياً من وجوه عديدة .

ولا حاجة الى البيان ان ذلك أدى الى زيادة الفوارق التي كانت حدثت بين الاسبانية وبين سائر اللغات اللاتينية زيادة كبيرة .

ـ ٣ ـ

هذا ، ولإتمام بحث الأحداث والعوامل التي أثرت في تطور اللغة اللاتينية وتفرعها ، لا بد لنا من أن نلقي نظرة عجلى ، الى عمل الديانة المسيحية في هذا المضمار أيضاً :

لا شك في أن الديانة المسيحية ساعدت على انتشار اللغة اللاتينية في أوروبا الغربية مساعدة كبيرة .

لأن المركز الأوروبي للديانة المذكورة كانت مدينة روما نفسها . انها تنظمت هناك ، وانتشرت من هناك ، كما ان الأناجيل التي تجمعت هناك وانتشرت من هناك الى البلاد الغربية كانت بالنصوص اللاتينية . فكان من الطبيعي ـ والحالة هذه ـ أن ترتبط الديانة المسيحية في تلك البلاد باللغة اللاتينية ارتباطاً وثيقاً ، وأن تساعد على انتشارها مساعدة كبيرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إلاّ أن الديانة المسيحية لم تلتزم نشر اللاتينية الكلاسيكية ، بل عملت على نشر اللاتينية العامية . وذلك لأنها انتشرت ـ في بادئ الأمر ـ بين عوام الناس ، دون الخواص . لأن الحكام كانوا يعارضونها أشد المعارضة ، حتى انهم ظلوا يضطهدون معتنقيها بشتى أساليب الاضطهاد ، مدة تزيد على ثلاثة قرون . فكان من الطبيعي أن يخاطب المبشرون الناس باللغة الدارجة بينهم ، لا باللاتينية الأدبية التي كانت شبه غريبة عليهم .

ومما تجب ملاحظته في هذا الشأن ، ان المذهب الكاثوليكي الذي نشأ في ايطاليا ، وانتشر منها الى غرب أوروبا ، كان يلقي مهمة تلاوة الكتاب المقدس على عواتق رجال الدين وحدهم . وما كان يفرض ذلك على سائر الناس بوجه من الوجوه . ولهذا السبب لم تؤثر لغة الانجيل في كلام الناس تأثيراً يذكر ، بل بقيت اللغة المذكورة كلغة خاصة برجال الدين .

حتى ان المجمع الديني الذي انعقد في مدينة « تور » سنة ٨١٤ ، اتخذ قراراً صريحاً في هذا الشأن : فأوصى بـ « تفهيم كلام الله الى الناس ، باللغات التي درجوا عليها » .

ولذلك نستطيع أن نقول : إن الكنيسة المسيحية احتفظت باللاتينية الأدبية لنفسها ، ونشرت بين الناس اللاتينية العامية وحدها .

ومن المعلوم أن فكرة « وجوب تلاوة الانجيل من قبل جميع الأفراد » لم تظهر الى عالم الوجود إلاّ بعد ظهور البروتستانتية ، في القرن السادس عشر للميلاد . ولكن ، حتى ذلك التاريخ ، كانت فروع اللاتينية قد تباعدت عن أصلها كثيراً ، وكوّنت عدة لغات أدبية راقية جداً . كما أن اللغات الجرمانية أيضاً ، كانت خرجت عن أطوار البدائية ، وأنتجت آثاراً أدبية هامة . ولهذا السبب ، نجد أن « فكرة وجوب قراءة الانجيل من قبل جميع الناس » اقترنت بفكرة « ترجمة الانجيل الى اللغات الدارجة بين الناس » وهذه الفكرة استوجبت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ـ على الفور ـ ترجمة الإنجيل الى الألمانية والفرنسية والانجليزية ... ولهذا السبب ، فقدت اللاتينية ـ بعد ظهور البروتستانية ـ الشيء الكثير من مكانتها ، حتى بين رجال الدين أنفسهم .

وخلاصة القول : ان الكنيسة المسيحية « حافظت » على اللاتينية الأدبية ، إذ نشرتها بين رجالها ، ولكنها لم تعمل على نشرها بين الناس ، فتركت بذلك أمام اللغات واللهجات العامية ، مجالاً واسعاً للتنوع والتفرع والانتشار .

* * *

يتبين من كل ما سبق : أن سلسلة طويلة ومعقدة من الأحداث والعوامل التاريخية ـ السياسية والاجتماعية والفكرية ـ تضافرت على تفريع اللغة اللاتينية الى فروع كثيرة ، وأدت الى تباعد هذه الفروع بعضها عن بعض من ناحية ، وعن اللاتينية الأصلية من ناحية أخرى .

وخلال هذه الأحداث ـ التي بدأت قبل الميلاد ، واستمرت حتى القرن الثاني عشر للميلاد ـ تغايرت وتخالفت اللغات الرومانية التي تكونت على أراضي كل من فرنسا وايطاليا واسبانيا ، كما أنها تشعبت الى عدد كبير من اللهجات .

وهذه اللغات واللهجات وصلت الى أقصى حدود التعدد والتنوع خلال القرون الوسطى ، من جراء تأسس النظم الاقطاعية في مختلف أنحاء البلاد ، وتفشي الأمية بين الخواص فضلاً عن العوام ، وتضاؤل الاتصال بين مختلف المقاطعات ، وانطواء المدن على نفسها حول القصور المحصنة التي شيدت في كل الجهات ...

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تكوّن اللغة الفرنسية

ولكن ... بعد عهود التفرع والتجزؤ التي استمرت بهذه الصورة مدة تزيد على عشرة قرون ، حدثت أحداث سياسية واجتماعية وفكرية أخرى ، عملت عكس ما عملته الأحداث السالفة ، فأدت الى « توحّد » اللغات واللهجات ، حول مراكز عديدة ، بصورة تدريجية .

إني لا أرى لزوماً الى تتبع « تيارات التوحد » التي أخذت ترتسم في جميع البلاد اللاتينية ، بعد أدوار التجزؤ التي استعرضتها وشرحتها آنفاً . بل سأكتفي بذكر ما حدث في فرنسا وحدها . وذلك لأن اللغة الفرنسية معلومة في البلاد العربية أكثر من سائر اللغات اللاتينية . كما أنها أشد اللغات الرومانية تباعداً عن اللاتينية الأصلية . فأعتقد لذلك ، أن « الأحداث والعوامل الموحِّدة » التي سنلاحظها من تاريخ تكوّن اللغة الفرنسية وتطورها ستغنينا عن تتبع ما حدث في سائر اللغات الرومانية ، بالنسبة الى الغاية التي نرمي اليها من بحثنا هذا .

— ١ —

يجمع علماء اللغة اللهجات الرومانية التي نشأت فوق أراضي فرنسا الحالية ، في صنفين أساسيين : اللهجات الشمالية واللهجات الجنوبية ؛ ويسمون الأولى باسم « لهجات الأويل » والثانية باسم « لهجات الأوك » ، وذلك بالنسبة الى الكلمة التي تستعمل في كل منها مقابل كلمة « نعم » العربية : « اويل » في الشمال ، و « اوك » في الجنوب .

اللغة الفرنسية تمثل أرقى الدرجات التي وصلت اليها لهجات الأويل ، والبروفنسية تمثل أرقى لهجات الأوك . والفرق بين الاثنتين كبير جداً ، إذ يقول العالم اللغوي المشهور « ميه » انه يعادل الفرق الموجود بين اللغة الاسبانية وبين اللغة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الايطالية . وطبيعي ان هذا الفرق الكبير لا يترك مجالاً للتخاطب والتفاهم بين أصحاب اللغتين دون دراسة خاصة أو وساطة ترجمان .

وأما سبب حدوث هذا الاختلاف الكبير ، فيعود الى الاختلاف في « نسبة تأثير » كل من اللاتينية والجرمانية في شمال فرنسا وجنوبها .

فان أقاليم فرنسا الجنوبية كانت قد تأثرت من اللاتينية أكثر من تأثر الأقاليم الشمالية بها .

لأنها كانت تَرَوْمَنَتْ وتلتّنت قبل الأقاليم الشمالية ، كما أن صلاتها بروما وبالرومان ظلت على الدوام أشد وأوثق من صلات الأقاليم الشمالية بها .

وبعكس ذلك ، ان تأثر الأقاليم الجنوبية باللغات الجرمانية ، كان أضعف من تأثر الأقاليم الشمالية بها . لأن القبائل الجرمانية التي استولت على فرنسا واستوطنتها كانت أكثر كثافة في الأقاليم الشمالية منها في الأقاليم الجنوبية .

ولهذه الأسباب اختلفت اللغة الفرنسية التي نشأت في شمال فرنسا عن البروفنسية التي نشأت في جنوبها اختلافاً كبيراً ، كما أنها تباعدت عن اللاتينية الأصلية ، أكثر من تباعد البروفنسية بوجه خاص ، ومن تباعد سائر اللغات الرومانية بوجه عام .

* * *

ان اللهجة التي انحدرت منها اللغة الفرنسية كانت في بادئ الأمر لهجة خاصة بالمنطقة التي تحيط بمدينة باريس الحاليـة ، والتي تعرف باسم « جزيرة فرنسا Ile de France » ويسمي الباحثون هذه اللهجة باسم الـ Francien تمييزاً لها عن الـ Français التي تكوّنت فيما بعد ، نتيجة تطورات عديدة .

ومن المعلوم أن المنطقة المذكورة صارت مهداً للأسرة التي أسست المملكة الفرنسية . ولذلك اكتسبت لهجتها مكانة سياسية وأدبية خاصة ، فأخذت تتغلب على اللهجات الأخرى تبعاً لتوسع نطاق حكم الأسرة المذكورة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد جرى هذا التوسع بصورة تدريجية : فان المقاطعات المختلفة صارت تنضم الى « مملكة فرنسا » الواحدة بعد الأخرى ، تارة عن طريق الحرب والفتح ، وطوراً عن طريق الصداق والميراث ، وذلك من جراء زواج ملوك فرنسا وأمرائها بأميرات المقاطعات المختلفة . وكلما دخلت مقاطعة من المقاطعات تحت حكم المملكة الفرنسية كانت تدخل في الوقت نفسه تحت تأثير اللغة الفرنسية . وكانت اللغة المذكورة تتغلب بهذه الصورة على اللهجات المحلية ، أولاً في المدن ، ثم في القرى والأرياف المحيطة بها ، بصورة تدريجية .

إن تغلب وانتشار الفرنسية ، قد تمّ بسهولة نسبية في مناطق لغات الاويل ، ولكنه تأخر كثيراً في مناطق لغات الاوك .

وذلك لأن « التوحد الإداري والسياسي » في الأقسام الشمالية من فرنسا ـ وعلى وجه التحديد : في الايالات التي تقع شمال نهر اللوار ـ قد سبق توحد سائر أقسامها مدة قرون عديدة . فان ايالات بروفنس الجنوبية لم تنضم الى مملكة فرنسا إلا في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد . ومن الطبيعي أن بقاء تلك الايالات خارج حكم المملكة الفرنسية أدى الى بقاء لغاتها مصونة من سيطرة اللغة الفرنسية مدة طويلة .

وفضلاً عن ذلك ، فان الفرنسية كانت من جملة لغات الاويل ، وشديدة القرابة بها . وذلك كان يسهل على الناس تعلمها ، وتحولهم عن لهجاتهم الأصلية اليها .

في حين أن سكان المناطق الجنوبية ما كان يمكن أن يتعلموا الفرنسية ، ويتحولوا من لغاتهم الأصلية اليها ، إلا ببذل جهود كبيرة ، لبعد لهجاتهم عن الفرنسية .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن الغريب أن اللغة البروفنسية قد نمت وازدهرت قبل ازدهار الفرنسية ، والأدب البروفنسي اشتهر قبل اشتهار الأدب الفرنسي ، لأن الفنانين الذين عرفوا باسم الـ « تروبادور » كانوا ينظمون أشعارهم ويلحنونها ، ويغنونها ، باللغة البروفنسية .

ولكن حرمان تلك البلاد من حكومة مركزية قوية ، ولا سيما تعرضها الى الحروب الدينية الدموية كان من العوامل التي حالت دون استمرار هذا الازدهار .

إذ من المعلوم أن مذهباً جديداً كان قد انتشر في جنوب فرنسا ، وصار سبباً لاختلاف الناس في أمره اختلافاً عنيفاً . وقد اعتبر البابا هذا المذهب الجديد من البدع التي تجب محاربتها ، فأعلن على أصحابها حرباً صليبية خاصة ، عرفت باسم « صليبية الآلبيجوا » . والحروب الدينية التي نجمت عن ذلك صارت سبباً لإفناء جماعات كبيرة من السكان ولتدمير عدد غير قليل من المدن والقرى ، وأشاعت الفاقة والفوضى في كل الجهات .

وبطبيعة الحال ، تأثر الأدب في هذه الحروب الأهلية والفوضى الكلية ، تأثراً شديداً ، فانقطع عن النمو والازدهار .

وفضلاً عن ذلك ، فقد انتهت سلسلة تلك الأحداث ، الى انضمام البلاد الى مملكة فرنسا : وكان ذلك سنة ١٤٨١ .

ومنذ ذلك التاريخ دخلت البروفانس أيضاً تحت سيطرة اللغة الفرنسية ، وأخذت اللغة الفرنسية تنتشر هناك أيضاً .

- ٢ -

وخلال هذه القرون العديدة ، كانت الفرنسية خرجت من طور « اللغة العامية » وتحولت الى لغة كتابة وأدب .

ثم أخذ هذا الأدب يزدهر بعد بدء عصر النهضة والانبعاث . ولا سيما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد ، حيث نشأ ونبغ طائفة من الأدباء العظام ، الذين كتبوا وألفوا بها مجموعة كبيرة من الآثار الخالدة .

وغني عن البيان ان اللغة الفرنسية اكتسبت من هذه الآثار الأدبية مكانة معنوية سامية انضمت الى مكانتها السياسية ، فزادتها تأثيراً وسلطة على كلام الناس .

ولذلك صارت الفرنسية الأدبية ، تتغلغل بين مختلف طبقات الناس وتطارد اللهجات العامية ، فتحتل مكانها ، الواحدة بعد الأخرى ، أولاً في المدن ، ثم في الأرياف .

* * *

ولكن ، يجب أن لا يذهب بنا الظن إلى أن نتوهم أنه عند قيام هذا الأدب الراقي ، اندثرت جميع اللهجات الرومانية وغير الرومانية التي كانت دارجة في مختلف أنحاء البلاد الفرنسية ، فلم يبق في فرنسا أي فارق بين لغة الكتابة ولغة الكلام .

إذ من المؤكد ـ بعكس ذلك ـ انه في عصر الأدب الكلاسيكي الزاهر ، وفي خلال القرن الثامن عشر ، كان معظم الفرنسيين يرطنون لهجات كثيرة ، تختلف عن اللغة الأدبية بخصائص عديدة .

حتى ان قضية اللغات واللهجات استرعت اهتمام رجال الثورة العظمى ، في أواخر القرن الثامن عشر ، وحملتهم على التفكير بها تفكيراً جدياً ، انتهى بهم الى اتخاذ تدابير عديدة لمعالجة مشكلتها معالجة مثمرة .

كان الراهب غريغوار قدم الى مجلس الثورة سنة ١٧٩٠ تقريراً مسهباً عن حالة اللغة الفرنسية ، وكان مما قاله في التقرير المذكور :

« اننا نستطيع أن نؤكد ـ دون مغالاة ـ بأن نحو ستة ملايين من الفرنسيين ـ ولا سيما في الأرياف ـ لا يعرفون شيئاً عن اللغة القومية . وعدداً لا يقل عن ذلك ـ إذا عرفوا شيئاً منها ـ فإنهم لا يستطيعون أن يواصلوا التحدث بها » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذا ، ولكي نقدر دلالة هذه الأرقام حق قدرها ، يجب أن نلاحظ أن مجموع سكان فرنسا في ذلك التاريخ ، كان نحو خمسة وعشرين مليوناً على أكثر تقدير . ويفهم من ذلك : ان نصف سكان فرنسا ما كانوا يتكلمون بالفرنسية .

وفضلاً عن ذلك ، فقد أضاف التقرير الى ما سبق وذكرناه العبارات التالية :

« والذين يحسنون التكلم بها بفصاحة لا يتجاوزون الثلاثة ملايين . وأما الذين يستطيعون كتابتها على وجه الصحة ، فهم أقل من ذلك أيضاً » .

ان الراهب غريغوار ـ مثل سائر رجال الثورة ـ رأى أن هذه الحالة لا يجوز أن تدوم :

« لأن مبدأ المساواة الذي أقرته الثورة يقضي بفتح أبواب التوظف أمام جميع المواطنين . ولكن تسليم زمام الإدارة الى أشخاص لا يحسنون اللغة القومية ، يؤدي الى محاذير كبيرة . وأما ترك هؤلاء خارج ميادين الحكم والإدارة ، فيخالف مبدأ المساواة . فيترتب على الثورة ـ والحالة هذه ـ أن تعالج هذه المشكلة معالجة جدية ، وذلك بمحاربة اللهجات المحلية ، ونشر اللغة الافرنسية الفصيحة بين جميع المواطنين . »

وفضلاً عن ذلك ، فقد رأى جماعة من رجال الثورة ـ وعلى رأسهم تاليران ـ أن اللهجات واللغات المحلية انما هي من مخلفات عهود الانحلال والإقطاع ، فقالوا بوجوب محاربتها من هذه الوجهة أيضاً .

من المعلوم ان الايالات المختلفة في فرنسا ، كانت تتمتع ـ حتى عهد الثورة العظمى ـ بامتيازات كثيرة ومتنوعة ، وذلك حسب الظروف الخاصة التي كانت أحاطت بانضمام كل واحدة منها الى المملكة الفرنسية ، في تواريخ مختلفة .

فقد رأى رجال الثورة ضرورة إزالة هذه الامتيازات ، لإتمام وحدة البلاد . فاجتمع ممثلو الايالات سنة ١٧٩٠ ـ ، وأعلنوا تنازلهم عن جميع الحقوق والامتيازات الباقية من نظم الاقطاع البائدة ، وسارع رجال الثورة إلى تغيير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

التقسيمات الإدارية تغييراً جوهرياً ، وتنسيقها وفق أسس جديدة تماماً ، لكي يزيلوا معالم الاقطاعيات السابقة من خريطة البلاد .

وكانت اللهجات في نظر رجال الثورة ، من جملة مخلفات الاقطاع ، فكان من الواجب القضاء عليها أيضاً .

ولكن اللهجات لا يمكن أن تزال في حملة واحدة ، بقرارات تتخذها الحكومة ، أو ببيانات تصدرها المجالس التمثيلية ، مثل التي ألغت الامتيازات المحلية وغيرت التقسيمات الإدارية . بل ان زوال اللهجات ، يتطلب عملاً متواصلاً ، يستمر عدة أجيال . ولذلك دعا مجلس الثورة جميع الناس الى الاهتمام بهذا الأمر . وذلك ببيان أصدره بتاريخ ١٥ شهر المراعي (بربريال) من السنة الثانية من تقويم الثورة .

فقد جاء في البيان المذكور ما يلي :

« أيها المواطنون ،

فليدفع كلاً منكم تسابقٌ مقدس للقضاء على اللهجات في جميع أقطار فرنسا » لأن « تلك اللهجات إنما هي من بقايا عهود الاقطاع والاستعباد » .

* * *

كانت اللغة الفرنسية الخالصة تنتشر في مختلف أنحاء فرنسا ، وتطارد اللهجات المحلية الدارجة فيها ... ـ حتى التاريخ المذكور ـ بحكم الأحداث والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ... دون أن يكون هناك خطة مرسومة وسياسة مقررة ، لتسريع هذا الانتشار وتسهيل تلك المطاردة .

ولكن بعد الثورة الكبرى ، ـ وعقب صدور البيان الآنف الذكر ـ أخذت الدوائر الحكومية والهيئات العلمية ، تبذل شتى الجهود لنشر اللغة الفصحى ، وتغليبها على اللهجات العامية ، وفق خطط مرسومة وبوسائل مقصودة . ولذلك صارت الأمور المذكورة تجري بسرعة كبيرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عندما أقرت الثورة مبدأ « التعليم الالزامي العام » ، رأى رجال الفكر أن تكون مكافحة اللهجات المحلية والعامية من جملة أهداف التعليم بوجه عام .

وعندما قرروا مبدأ « الخدمة العسكرية العامة » رأوا أن تقوم « الحياة العسكرية في الثكنات وفي خدمة العَلَم » بعمل متمم ومكمل لعمل المدارس في هذا المضمار .

وتلت ذلك سلسلة أحداث وأعمال خدمت الغاية نفسها ، وساعدت على نشر اللغة الفصحى ، ورفع لغة الكلام الى مستوى لغة الكتابة ، بين جميع الطبقات .

إن تقدم وسائل النقل والمواصلة ، وتغلغلها في جميع أنحاء البلاد ، ونفوذها الى أنأى القرى والجبال ... وتطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية تطوراً يزيد في اختلاط الناس بعضهم ببعض ويقضي على حياة الانعزال من جميع الجهات ... وازدهار الصحافة وانتشارها ... ونشاط التشكيلات والتأسيسات التي تهدف الى تعليم الراشدين وتثقيفهم ... والاجتماعات الانتخابية ، وأعمال المجالس التمثيلية المحلية والهيئات النقابية ... والمهرجانات الأدبية والتاريخية ... كلها كانت من جملة العوامل التي أثرت في انتشار الفصاحة تأثيراً كبيراً .

وغني عن البيان أن السينما والإذاعة .. انضمت الى العوامل المذكورة أخيراً ، وصارت تساعد على تعميم اللغة الفصحى مساعدة كبيرة .

* * *

فاذا قيل لنا الآن : « لا فرق بين لغة الكلام ولغة الكتابة في فرنسا » وجب أن نعلم العلم اليقين بأن ذلك إنما تم بفضل الأحداث التي توالت منذ مدة تزيد على ثمانية قرون ، ولا سيما بفضل الجهود الجدية التي بذلت ـ ولا تزال تبذل ـ ، والتدابير الفعالة التي اتخذت ـ ولا تزال تتخذ ـ ، منذ بدء حملة الثورة الكبرى على اللهجات العامية .

ومع هذا كله ، يجب أن نلاحظ بأن القول بأنه « لا يوجد في فرنسا فرق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بين لغة الكتابة ولغة الكلام» لا يخلو من المغالاة ، فان ذلك ، إذا كان صحيحاً بالنسبة الى معظم المدن والقصبات الكبيرة ، فانه بعيد عن الصحة بالنسبة الى كثير من القرى في بعض الايالات .

فانه من الثابت بأن هناك ملايين من الفرنسيين لا يزالون في طور «ثنائية اللغة» ، فانهم يتكلمون في بيوتهم ، ولا سيما مع العجائز والجدات ، بلهجات عامية ولغات خاصة ، وإن كانوا يتقنون الفرنسية الفصحى ، ويتكلمون بها خلال اتصالاتهم الخارجية .

فاللهجات العامية في فرنسا لم تندثر تماماً ، وان كانت قد تضاءلت كثيراً ، فأرى أن أشير هنا الى بعض الأمثلة التي صادفتها خلال مراجعة مصادر بحثي هذا :

فان هناك جماعات تقول J'avons عوضاً عن J'ai ، وذلك قياساً على قولهم nous avons .

ومن يقول il ta té في مقام il a été .

ومن يلفظ كلمة الـ rouge على شكل rouche .

ومن يقول remettez - vous في مقام asseyez - vous .

ومن يسمي الحديقة courtile عوضاً عن jardin .

ومن يقول J'espère tel بمعنى J'attends tel ...

كل هذا ، على الرغم من جميع الأحداث والعوامل التي ذكرناها آنفاً ، وعلى الرغم من جميع الجهود التي بذلت منذ أجيال عديدة .

* * *

ويتبين من كل ما سبق :

ان رجال الفكر والسياسة في فرنسا لم يقولوا : فلندع الناس يتكلمون باللهجات التي ألفوها ، بل قالوا : يجب أن نقضي على هذه اللهجات .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ورجال القلم والأدب لم يقولوا : فلنكتبْ باللهجات الدارجة بين الناس ؛ بل قالوا : لِنَسْعَ الى رفع لغة الحوار والكلام الى مستوى لغة الكتابة والأدب ...

وإلاّ ... لما تقدمت اللغة الفرنسية تقدمها المعلوم ،

ولا كتبت الآثار الكلاسيكية الخالدة ...

ولا ظهر الى عالم الوجود شيء من الأدب المعاصر الزاهر ...

الفوارق الأساسية

بين تاريخ اللاتينية وتاريخ العربية

— ١ —

بعد ما استعرضت وشرحت الأحداث والعوامل التي تضافرت على تفريع اللغة اللاتينية الى فروع كبيرة ، وعلى تبعيد هذه الفروع بعضها عن بعضها من ناحية ، وعن اللاتينية الأصلية من ناحية أخرى ...

أعتقد بأن القراء قد أدركوا على الفور الفوارق العظيمة التي ميّزت تاريخ اللغة العربية عن تاريخ اللغات اللاتينية ، من وجهة هذه العوامل والأحداث :

ا — فان اللغة العربية بعد أن استقرت في العالم العربي الحالي ... لم تتعرض الى هجمات وغزوات لغات جديدة ، كما تعرضت اليها اللغات الرومانية ، من جراء استيلاء القبائل الجرمانية واستيطانها مختلف أنحاء البلاد .

ب — ان البلاد العربية لم تبتل بتفتت سياسي واداري واقتصادي ، مثل الذي ابتليت به البلاد الرومانية في عصور الاقطاع الطويلة .

ج — ان الأمية المطلقة لم تتفش في البلاد العربية في وقت من الأوقات ، بقدر ما تفشت في العالم الغربي خلال العصور الآنفة الذكر .

د — ان البلاد العربية لم ينعزل بعضها عن بعض انعزالاً يشبه الانعزال الذي حصل في البلاد الرومانية . بل ظل الاتصال بين مختلف أقطارها قائماً ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بفضل القوافل التجارية التي لم تنقطع عن الازدهار من ناحية ، وقوافل الحج التي ظلت تنقل جماعات كبيرة من المسلمين كل سنة ، من مختلف أنحاء البلاد الى الحجاز من ناحية أخرى .

هـ — ان الديانة الاسلامية التزمت العربية الفصحى التزاماً تاماً ، وظلت تساندها وتؤازرها دون انقطاع ، ولم تتخل عنها للهجة من اللهجات ، في وقت من الأوقات .

* * *

ولهذه الأسباب الأساسية كلها ، اختلف مصير اللغة العربية عن مصير اللاتينية اختلافاً كلياً .

فان الأحداث والعوامل التي ذكرناها آنفاً قد تضافرت على إدامة حياة اللغة العربية ، في حين أن العوامل التي أحاطت باللغة اللاتينية انتهت الى إقصائها عن ميدان الاستعمال ، وجعلتها تنتقل الى عالم الأموات ، بعد أن أنجبت « اللغات اللاتينية » المعلومة الآن .

— ٢ —

ولإزالة جميع الشكوك التي قد تساور بعض الأذهان ، أرى من المفيد أن أوضح أهم الفوارق التي ذكرتها آنفاً ، بشيء من التفصيل :

* * *

ا — لقد قلت : ان اللغة العربية — بعد ان استقرت في العالم العربي الحالي — لم تتعرض الى غزوات أخرى ، كالتي تعرضت اليها اللغات الرومانية ، من جراء استيلاء القبائل الجرمانية ، واستيطانهم في مختلف أنحاء البلاد .

في الواقع ان عدة أسر مالكة غير عربية استولت على زمام الحكم في مختلف البلاد العربية ، في تواريخ مختلفة . الا أن حكم تلك الأسر المالكة لم يتم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بفضل جماعات كبيرة من بني قومهم ، ولم تترافق باستيطان عدد كبير من تلك الجماعات ، ولذلك لم تلبث تلك الأسر المالكة أن استعربت ، فتبنت لغة البلاد .

ولم يشذ عما قلناه آنفاً إلا أسرة مالكة واحدة ، هي أسرة بني عثمان . فانها لم تستعرب مثل سائر الأسر المالكة ، لأن عاصمة ملكها كانت ـ وظلت ـ خارج البلاد العربية . ونستطيع أن نقول : إنها حكمت البلاد العربية ـ وظلت تحكمها ـ من الخارج ، عن بعد منها . وفضلاً عن ذلك ، فان لغتها كانت ضعيفة جداً بالنسبة الى اللغة العربية ، ولهذا السبب تأثرت منها ، أكثر بكثير مما أثرت فيها . فتأثير لغة بني عثمان في اللغة العربية ظل محدوداً ، على الرغم من استمرار حكمها مدة تقرب من أربعة قرون .

ولا نغالي إذا قلنا : إن تأثيرها الأسامي لم يتجاوز كثيراً أمر تأخير نهضة الأدب ، من جراء عدم وجود دولة عربية تشجع الأدب العربي ، وتهيء له وسائل التقدم والنهوض .

* * *

ب ـ وقلت : ان البلاد العربية لم تبتل بتشتت وتفتت يماثل أو يقارب ما ابتليت به البلاد الغربية خلال العهود والاقطاعية .

في الواقع ان البلاد العربية أيضاً فقدت « الوحدة السياسية » ، وانقسمت الى دول ودويلات عديدة ، إلا أن عدد هذه الدول والدويلات ظل محدوداً . ولم يصل الانقسام السياسي في العالم العربي ـ حتى في أسوأ عهود « ملوك الطوائف » ولو من بعيد ـ الى درجة التفتت التام الذي حدث في العالم الغربي ، حيث أصبحت كل مقاطعة ـ وكل مدينة تقريباً ـ مستقلة ومنطوية على نفسها .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ج – وقلت : ان الديانة الإسلامية التزمت العربية الفصحى كل الالتزام ، ولم تتخلّ عنها للهجة من اللهجات العامية ، في يوم من الأيام .

وذلك لأنها لم تعهد بمهمة تلاوة القرآن الى أئمة المساجد وخطباء الجوامع وحدهم – كما فعلته الديانة المسيحية في العالم الروماني – ، بل فرضت ذلك على كل مسلم ومسلمة . فصار لزاماً على كل فرد أن يتلو طائفة من الآيات القرآنية ، كل يوم ، خلال الصلوات الخمس .

حتى خلال الصلوات التي تؤدى بالجماعة ، يترتب على كل فرد مؤتم بأحد المصلين ، أن يستمع الى ما يتلوه الإمام جهراً من ناحية ، وأن يتلو – بعد ذلك – هو بنفسه سراً آيات أخرى من ناحية ثانية .

إن هذه الأحكام الدينية استوجبت إنشاء مدارس وكتاتيب كثيرة لتعليم القرآن – قراءة وحفظاً – الى جميع الأطفال . وهذه المدارس والكتاتيب عمت جميع أنحاء البلاد ، ولم تنقطع عن العمل ، حتى في أسوأ عصور الانحطاط .

وكل ذلك ، حال دون انقطاع صلة العرب بالعربية الفصحى ، بل ظل يذكرهم بها ، ويوصلهم اليها ، على الدوام ، عن طريق السماع المستمر ، والتلاوة المتتالية .

ونستطيع أن نقول : ان فكرة « التعليم العام » التي ظهرت في العالم الغربي مع ظهور البروتستانتية في القرن السادس عشر للميلاد ، كانت قد تولدت في العالم العربي منذ ظهور الإسلام . وصارت تنفذ فيه بصورة فعلية وبمقياس واسع ، منذ القرن الأول للهجرة .

ولذلك عمّ تعليم القرآن في جميع الجهات بسرعة كبيرة .

ومن المعلوم أن لغة القرآن ، هي اللغة العربية الفصحى .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومما تجب ملاحظته في هذا المضمار أن الكنائس المسيحية في البلاد العربية ، هي أيضاً انتهت الى التزام العربية الفصحى ، فان الكنائس الشرقية جعلت العربية لغة الصلوات والمواعظ منذ قرون عديدة . كما ان البروتستان أيضاً اعتمدوا ترجمة الانجيل الى اللغة العربية . والكنيسة الارثوذكسية كذلك ، جعلت العربية لغة الطقوس والصلوات والمواعظ ، بعد أن تخلصت من ربقة اليونانية .

ولهذه الأسباب العديدة ظل اتصال العرب باللغة الفصحى اتصالاً وثيقاً ، فلم يترك مجالاً لتباعد لغة الكلام عن لغة الكتابة تباعداً كبيراً .

والفوارق بين لغة الكلام ولغة الكتابة ـ بين العامية والفصحى ـ ، لم تتعد قط حدود فوارق اللهجات ، التي لا تحول دون تفاهم أصحابها ، بشيء يسير من الجهد والانتباه .

واذا كان الناس ، لا يتكلمون الآن بالعربية الفصحى ، فانهم لا يعجزون عن فهمها ، ولو كانوا أميين .

فضلاً عن ذلك ، اننا نلاحظ ان اللغة الفصحى صارت تزداد تأثيراً وتغلباً على اللهجات العامية شيئاً فشيئاً ، منذ بدء النهضات الفكرية والقومية في مختلف الأقطار العربية . حتى ان التقدم في هذا المضمار أصبح يظهر الى العيان ـ ويلمس لمس اليدين ـ حتى خلال عقد واحد من السنين . وهذا على الرغم من عدم وجود خطة موضوعة لمكافحة العامية ونشر الفصحى بصورة منتظمة فعالة .

إن اللغة الفصحى ، هي الآن لغة القراءة والكتابة والدرس ، في جميع المدارس والمعاهد العربية ، التي صارت تعد بعشرات الآلاف والتي تجمع كل يوم عدة ملايين من التلاميذ والطلاب .

والجرائد اليوميه تصدر ـ في جميع الأقطار العربية ـ باللغة الفصحى . ومن المعلوم أنها تطبع كل يوم مئات الآلاف من النسخ ، تتداولها أيدي الملايين من القراء ، من مختلف الطبقات .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فلا يجوز ـ والحالة هذه ـ تشبيه العربية الفصحى باللاتينية ، بوجه من الوجوه .

انها استطاعت أن تتغلب الى الآن على جميع عوامل البلبلة التي تألبت عليها خلال عصور الانحطاط الطويلة . فلم تفقد نسغ الحياة ، حتى في عهود حكم الأجنبي القاسي ، وعصور الاستعمار الخانق .

فلا يمكن أن تفقد حيويتها بعد الآن ، فيخطيء من يظن أنها ستنقطع عن النمو والازدهار في عصور النهضة وعهود الاستقلال ، و ... لا سيما .. بعد بزوغ فجر الاتحاد .

انها لا تزال حية ونامية ، ولا شك في أنها ستزداد نمواً في مستقبل الأيام ، وستصبح أشد حيوية مما هي الآن ....

ساطع الحصري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الاصطلاحات الفلسفية

- ٥ -

الالتزام والالزام

في اللاتينية Obligatio

في الفرنسية Obligation

في الانكليزية Obligation

التزم الشيء بمعنى لازمه ، والتزم فلاناً اعتنقه ، والتزم العمل أو المال أوجبه على نفسه ، والتزم الشيء أثبته وأدامه ، وألزمه المال والعمل أو بالمال والعمل أوجبه عليه ، ويقال ألزمت خصمي أي حجته .

وللالتزام في اصطلاح الفلاسفة عدة معانٍ :

١ — الالتزام هو الرابطة الحقوقية التي بها يكون فعل الشيء أو عدم فعله واجباً على الشخص تجاه الآخر . فهو إذن علاقة حقوقية بين شخصين يسمى أحدهما بموجبها دائناً والآخر مديناً . فاذا نظرت الى هذه العلاقة من جهة الدائن كانت إلزاماً ، لأن من حق الدائن أن يلزم المدين بوفاء المال الذي أقرضه إياه ، واذا نظرت اليها من جهة المدين كانت التزاماً ، لأن المدين يلتزم أي يوجب على نفسه وفاء الدين في أجله . فالدائن إذن مُلْزِمٌ ، والمدين مُلْتَزِمٌ ، والدَّين ملزوم . ولكن أكثر علماء الحقوق ينظرون الى هذه العلاقة من جهة المدين وحده ، لأن المدين في نظرهم هو المثقل بحمل الالزام ، لا بل هو الملتزم وفاء الدين عند استحقاقه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢ — الإلزام الخلقي ، وهو لا ينشأ عن عقد ، بل ينشأ عن طبيعة الانسان من حيث هو قادر على الاختيار بين الخير والشر . فما كان فعله أو عدم فعله ممكناً من الناحية المادية ، ثم وجب حكمه من الناحية الخلقية ، كان الزامياً ، بمعنى ان الشخص لا يستطيع أن يتهاون في فعله أو عدم فعله دون أن يعرض نفسه للخطأ واللوم .

وفرقوا بين الضرورة الطبيعية والضرورة الخلقية ، فقالوا ان الضرورة الطبيعية سارية في الأشياء ، لا بل هي نظام مستقر في الحوادث اضطراراً ، متحد بطبيعتها . أما ضرورة القوانين الخلقية فهي ضرورة متعالية ، ولها نظام مثالي أعلى من نظام الحوادث يفرضه العقل على الطبيعة ويوجب على الإنسان تحقيقه ، وإن كان غير موجود بالفعل .

ثم إن الإلزام اذا كان مطلقاً كالأمر المطلق (Impératif Catégorique) الذي تكلم عليه (كنت) كان له بحرية الاختيار علاقة وثيقة ، لأنه لا معنى للأمر المطلق إذا كان سلوك الانسان نتيجة لطبيعته . أضف الى ذلك أن الحرية ليست قسراً ولا عدم مبالاة ، وإنما هي حكم ذاتي . فالإلزام هو إذن قانون الحرية ، ولا معنى له إلا إذا أوجب الانسان على نفسه فعل الشيء أو عدم فعله ، من ذاته وبملء حريته . ولكن إذا كان الإلزام صورة خاصة من صور القسر الاجتماعي أمكن الجمع بينه وبين الحتمية الفلسفية ، لأنه يقوم في هذه الحالة على عوامل وبواعث تحدد حرية الإرادة .

الإلحاد

في الفرنسية Athéisme

في الانكليزية Atheism

[أصل كلمة (Athée) يوناني وهي مولفة من (a) النافية و (théos) الإله ومعناها بحسب الاشتقاق إنكار وجود الله] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الإلحاد في اللغة العربية الميل عن القصد والعدول عن الشيء ، يقال ألحد في الدين ولحد أي حاد عنه وطعن فيه ، وألحد ترك القصد فيما أمر به ومال الى الظلم ، وألحد في الحرم استحلّ حرمته وانتهكها . والإلحاد الكفر ، والشك في الله . والملحد العادل عن الحق ، المدخل فيه ما ليس فيه ، والملحد أيضاً الكافر ، والملاحدة فرقة من الفلاسفة يسمّون بالدهريين وبالدهرية ، ذهبوا إلى قدم الدهر واستناد الحوادث اليه كما ذهبوا الى ترك العبادات رأساً لأنها لا تفيد ، وانما الدهر بما يقتضيه مجبول من حيث الفطرة على ما هو الواقع فيه ، فما ثم إلا أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، وسماء تقلع ، (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي) . فهم قد أنكروا الصانع المدبر ، العالم القادر ، وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً ، كذلك بنفسه وبلا صانع (الغزالي ، المنقذ من الضلال ص ٨٤ من الطبعة الثانية) .

والإلحاد في اصطلاحنا هو انكار وجود الله ، ولكن الناس يطلقون هذا اللفظ تارة على إنكار وجود الله ، وتارة على إنكار علمه وعنايته أو قدرته وإرادته ، ويكفي أن ينكر المرء أصلاً من أصول الدين أو اعتقاداً من الاعتقادات المألوفة أو رأياً من الآراء الشائعة حتى يتهم بالإلحاد . فسقراط اتهم بالإلحاد ، وحكم عليه بالموت بالرغم من قوله بوجود إله واحد ، وكذلك أفلاطون ، وأرسطو ، وابن سينا ، وابن رشد ، وديكارت ، واسبينوزا ، وكنت ، لم يسلموا على اختلاف مذاهبهم من تهمة الإلحاد لمخالفتهم آراء أهل زمانهم . وهذا كله يدل على أن مفهوم الإلحاد يختلف باختلاف تصورات الناس واعتقاداتهم ، فاذا كان المذهب مخالفاً لاعتقاداتهم عدوه إلحاداً ، واذا كان موافقاً لها عدوه ديناً وإيماناً . فليس لهذا اللفظ إذن في التاريخ معنى محدد ثابت لاختلاف مفهومه باختلاف الزمان والمكان ، ولاختلاف حال العلماء من الجهال إذا خوطبوا بما يعزب عن أفهامهم وينبو عن أسماعهم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وربما كان أحسن تحديد لهذا اللفظ إطلاقه على المذهب الذي ينكر وجود الله ، لا على المذاهب التي تنكر بعض صفات الله أو تخالف معتقداً دينياً معيناً أو رأياً جماعياً مقرراً . فالفلاسفة الماديون ملاحدة لأنهم قالوا ان للمادة وجوداً مطلقاً ، وانها علة الحركة والحياة والفكر ، والدهريون ملاحدة لأنهم زعموا أن العالم لا يحتاج الى صانع وأنه بما فيه مبني على الاتفاق . ولكن إذا قال الفيلسوف إنّ الأجسام لا تحشر ، أو قال ان الله لا يعلم الجزئيات كان كافراً بأصل من أصول الدين لا ملحداً . وكذلك إذا قال بوحدة الوجود فان هذا القول لا يستلزم إنكار وجود الله ولا يجعل صاحبه ملحداً .

وفي التاريخ أمثلة كثيرة تدل على أن العلماء الذين يأتون بالغريب وغير المألوف من الآراء يمتحنون في حياتهم ويتهمون ، ويتهمون بالكفر والإلحاد والزندقة ، ويكاد يكون تطور معنى الإلحاد موازياً لتطور فكرة التعصب ، فكلما زاد التعصب كثر عدد الملحدين في نظر الناس ، والعكس بالعكس .

الألم

في اللاتينية Dolor

في الفرنسية Douleur

في الانكليزية Pain

الألم مصدر ألم يألم كعلم يعلم ، وهو مقابل للذة . والألم واللذة هما من الأحوال النفسية الأولية ، فلا يعرّفان ، بل إنما تذكر خواصها وشروطها دفعاً للالتباس اللفظي .

قال ابن سينا « ان اللذة هي إدراك ونيل لوصول ماهو عند المدرك كمال وخير من حيث هو كذلك ، والألم إدراك ونيل لوصول ماهو عند المدرك آفة وشر » (الإشارات ، ص ١٩١) ، والمراد بالإدراك العلم ، وبالنيل تحقق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الكمال لمن يلتذ ، فإن التكيف بالشيء لا يوجب الألم واللذة من غير إدراك ، فلا ألم ولا لذة للجماد بما يناله من الكمال والنقص . وإدراك الشيء من غير النيل لا يؤلم ولا يوجب لذة كتصور الحلاوة والمرارة . فالألم واللذة لا يتحققان إذن بدون الإدراك والنيل . وانما قال عند المدرك لأن الشيء قد يكون كمالاً وخيراً بالقياس الى شخص وهو لا يعتقد كماليته فلا يلتذ به بخلاف ما اذا اعتقد كماليته وخيريته ، وإن لم يكن كذلك بالنسبة اليه ، وإنما قال من حيث هو كذلك لأن الشيء قد يكون كمالاً وخيراً من وجه دون وجه « كالمسك من جهة الرائحة والطعم فإدراكه من حيث الرائحة لذة ومن حيث الطعم ألم » (الكشاف للتهانوي) .

وقول ابن سينا هذا شبيه بقول (ديكارت) : اللذة هي الشعور بالكمال ، والألم هو الشعور بالنقص . وهو أقرب الى التحصيل من قولهم الألم إدراك المنافي من حيث هو منافٍ ، واللذة إدراك الملائم من حيث هو ملائم ، لأن الملائم بالجملة أعم من اللذة ، والألم أخص من المنافي .

ولعل أحسن تعريف للألم هو التعريف المشتمل على ذكر خواص الألم وأسبابه كتعريف (أرسطو) الذي صححه (هاميلتون) و (استوارت ميل) . فقد جاء في هذا التعريف ان اللذة تنشأ عن الفعل الموافق لطبيعة الكائن الحي ، وان الألم ينشأ عن الفعل المضاد لطبيعة الفاعل ، فالألم هو إذن نتيجة لفاعلية تزيد على قدرة الفاعل أو تقل عنها .

والألم نوعان جسماني ونفساني . فالألم الجسماني ينشأ عن احساسات جسمانية ذات مصدر محدود كاحتراق اليد ، وضرب الضرس ، ووجع العين . والألم النفساني ينشأ عن تأثير الميول والأفكار والاعتقادات والآراء ، كمن يسقط في الامتحان فيتألم لعدم بلوغه غايته ، وكمثل من يسمع بموت صديق له فيغمه خبر موته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومن خواص الألم الجسماني انه قد ينتشر في البدن بحيث لا يعرف مصدره فيوصف إذ ذاك بالتعب والوعك والاضطراب . ومن خواص الألم النفساني أنه قد يشتد حتى يصبح قريباً من الانفعال أو الهيجان ، فيسمى في هذه الحالة حزناً ووجوماً وشجواً وهماً وكرباً وكآبة وغماً وحرقة ولوعة .

والفرق بين اللذة الجسمانية والألم الجسماني ان اللذة الجسمانية هي كيفية نفسانية مضافة الى الاحساس ، فهي اذن احساس وكيفية في ذلك الإحساس ملائمة للنفس ، في حين ان الألم الجسماني هو إحساس من نوع خاص متميز عن غيره ، وله في البدن أعصاب خاصة تدركه ، والدليل على ذلك ان الاحساس بالألم متأخر عن الاحساس باللمس والحرارة والبرودة ، وان هناك مواد تخدر الأعصاب فتزيل الإحساس بالألم وتبقي احساس اللمس .

على ان بعض الفلاسفة لا يفرقون بين الجسماني والنفساني من الآلام إلا بحسب شروطها الخاصة ، لأن طبيعتها الأساسية في نظرهم واحدة . فلا تختلف شروط ألم الفراق عن شروط ألم الصداع إلا من حيث الاشتباك والتركيب . ولربما كان الوهم في اختلاف طبيعتها ناشئاً عن الاختلاف في اشتباك شروطها ، فلا فرق إذن في الماهية بين ألم اليأس وألم البثور والدمامل .

ومهما يكن من أمر فان للألم في الاصطلاح الحديث معنى محدوداً . فهو لا يدل على الحزن والكآبة ، ولا على الإحساس بالتعب والمنافي ، بل يدل على الإحساس الذي ينشأ عن خلل جسماني . وله أيضاً معنى عام يشمل الاحساس باختلال الجسماني ، والإحساس بالمنافي والمنافر ، كما يشمل الحزن والكآبة والغم .

وهذا كله يدل على أن مدلول الألم لا يزال مشتملاً على شيء من الغموض لعدم اتفاق العلماء على اصطلاحات الحياة الوجدانية ، فبعضهم يحدد معناه فيطلقه على الاحساس باختلال الجسماني ، وبعضهم يوسع معناه فيجعله مقابلاً للذة بوجه عام . ويمكننا أن نوضح هذا التقابل على الوجه الآتي :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

التقابل بين الألم واللذة

١ ــ بالمعنى العام

في العربية :	الألم	اللذة
في الفرنسية :	Douleur	Plaisir
في الانكليزية :	Pain	Pleasure

٢ ــ بالمعنى الخاص

في العربية :	احساس الألم	احساس اللذة
في الفرنسية :	Sensation de la douleur	Sensation du plaisir
في الانكليزية :	Sensation of pain	Sensation of pleasure

٣ ــ بمعنى الملائم والمنافي

في العربية :	التعب	الارتياح
في الفرنسية :	Peine	Agrément
	Unpleasantness	Pleasantness

(Lalande, Vocabulaire technique et critique de la philosophie art. Douleur) .

والألم في نظر المتشائمين ذو طبيعة ايجابية ، وهو وحده حقيقي ، لأن الحياة في نظرهم نضال مستمر ، ورغبة غير مستقرة ، وسخط على الحاضر ، ونزوع بالآمال الى المستقبل ، فلا يظفر الانسان بلذة إلا عند نسيانه شقاء الحياة وابتعاده بأحلامه عن الواقع . وهذا كله يدل على أن الألم حقيقة الحياة ، وان اللذة لا تحصل للنفس إلا عند خروجها من الألم . قال فخر الدين الرازي : « أما الألم فلا نزاع في كونه وجودياً » ، ثم قال محمد بن زكريا : « اللذة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عبارة عن الخلاص من الألم» ، (فخر الدين الرازي : محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ، ص ٧٥ ـ ٧٦) ، وهو رأي باطل لأن الألم لا ينشأ إلا عن الرغبات التي لم تحقق والشهوات التي لم تدرك ، ولأن الفاعلية ليست بطبيعتها مؤلمة ، بل الفاعلية المعتدلة ملائمة للنفس . إذا وقع بصر الإنسان على صورة مليحة فانه يلتذ بابصارها مع انه لم يكن له شعور بتلك الصورة قبل ذلك حتى تجعل تلك اللذة خلاصاً عن ألم الشوق اليها (فخر الدين الرازي : المحصل ص ٧٦) ، اللذة والألم هما من الكيفيات النفسية الأولية ، فليست اللذة خروجاً من الألم ، ولا الألم خروجاً من اللذة ، بل اللذة والألم كلاهما وجوديان ، ولكل منهما شروط خاصة تدل على انه ايجابي . (راجع : اللذة ، والتعب ، والهيجان ، والحزن) .

الإلهام

في اللاتينية Inspiratio

في الفرنسية Inspiration (Révélation intérieure)

في الانكليزية Inspiration

الإلهام مصدر ألهم ، وهو أن يلقي الله في نفس الإنسان أمراً يبعثه على فعل الشيء أو تركه ، وذلك بلا اكتساب أو فكر ولا استفاضة ، وهو وارد غيبي . ويشترط فيه أن يكون باعثاً على فعل الخير أو ترك الشر . ولذلك فسره بعضهم بالقاء الخير في قلب الغير بلا استفاضة فكرية منه . وهذا يخرج الوسوسة لأن الإلقاء من الله ، أما الوسوسة فمن الشيطان .

وقيل الإلهام ما وقع في القلب من علم ، وهو يدعو الى العمل من غير استدلال ولا نظر . وقد يراد بالإلهام التعليم كما في قوله تعالى : « فألهمها فجورها وتقواها » أي علمها . ولكن التعليم من جهة الله يكون تارة بخلق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العلوم الضرورية في نفس الإنسان ، وقد يكون تارة أخرى بنصب الأدلة السمعية والعقلية . أما الالهام فلا يجب إسناده ولا استناده الى المعرفة بالنظر في الأدلة ، وانما هو اسم لما يهجس في القلب من الخواطر . فينتبه العقل من ذاته للمعنى المطلوب ويفهمه بأسرع ما يمكن ، ولهذا يقال فلان ملهم إذا كان يعرف بمزيد فطنته وذكائه ما لا يشاهده ولا يتعلمه ، ولذلك يفسر وحي النحل بالإلهام دون التعليم .

ومن الإلهامات ما يكون للانسان كالكشف الباطني الذي أشار اليه الغزالي في المنقذ من الضلال ، ومنها ما يكون للانسان والحيوان معاً كالأفعال الغريزية . قال ابن سينا : « من ذلك الالهامات الفائضة على الكل من الرحمة الإلهية مثل حال الطفل ساعة يولد في تعلقه بالثدي ، ومثل حال الطفل اذا أقل وأقيم فكاد يسقط من مبادرته الى أن يتعلق بمستمسك لغريزة في النفس جعلها فيه الالهام الالهي ، واذا تعرض لحدقته بالقذى بادر فأطبق جفنه قبل فهم ما يعرض له ، وما ينبغي أن يفعل كأنه غريزة لنفسه لا اختيار معه » (الشفاء ، الفن السادس من الطبيعيات ، طبعة براغ ١٩٥٦ ، ص ١٧٨) . وقال أيضاً : « وللحيوانات الأخرى وخصوصاً للطير صناعات أيضاً ، فانها تصنع بيوتاً ومساكن لا سيما النحل ، لكن ذلك ليس مما يصدر عن استنباط وقياس بل عن إلهام وتسخير » (المصدر نفسه ص ٢٠١) .

والإلهام أخص من الاعلام ، لأن الاعلام قد يكون بطريق الكسب ، وقد يكون بطريق التنبيه . والالهام ليس سبباً يحصل به العلم لعامة الخلق ويصلح للبرهان والالزام ، وانما هو كشف باطني أو حدس يحصل به العلم للانسان في حق نفسه . قال ابن سينا : « فيمكن أن يكون شخص من الناس مؤيد النفس بشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادئ العقلية الى أن يشتعل حدساً أعني قبولاً لإلهام العقل الفعال » (الشفاء ١ — ٣٦١ والنجاة ٢٧٣) . فالإلهام عنده

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

هو ما يلقيه العقل الفعال في نفس الانسان ، والحدس هو قبول هذا الالهام . وهذا المعنى قريب من المعنى الذي ذهب اليه ابن خلدون في قوله : « فاعتبر ذلك واستظر رحمة الله تعالى متى أعوزك فهم المسائل تشرق عليك أنواره بالالهام الى الصواب » (ابن خلدون . المقدمة ص ٣٠٨) .

والفرق بين الإلهام والوحي أن مصدر الالهام باطني ومصدر الوحي خارجي . بل الالهام من الكشف المعنوي والوحي من الشهودي ، لأنه إنما يحصل بشهود الملك وسماع كلامه ، أما الالهام فيشرق على الانسان من غير واسطة ملك وذلك بالوجه الخاص الذي للحق مع كل موجود . فالالهام أعم إذن من الوحي ، لأن الوحي مشروط بالتبليغ ، ولا يشترط ذلك في الالهام .

وقد فرق ابن سينا بين الوحي والالهام في كلامه عن فروع العلم الالهي ، فقال : « فمن ذلك معرفة كيفية نزول الوحي والجواهر الروحانية التي تؤدي الوحي ، وان الوحي كيف يتأدى حتى يصير مبصراً أو مسموعاً بعد روحانيته ... وان الأبرار الأتقياء كيف يكون لهم إلهام شبيه بالوحي وكرامات تشبه المعجزات » (ابن سينا ، تسع رسائل ، ص ١١٤) .

وقال أيضاً : « ان الأثر الروحاني السانح للنفس في حالتي النوم واليقظة قد يكون ضعيفاً فلا يحرك الخيال والذكر ولا يبقى له أثر ... وقد يكون قوياً جداً ، وتكون النفس عند تلقيه رابطة الجأش ، فترتسم الصورة في الخيال ارتساماً جيداً ، وقد تكون النفس بها معنية فترتسم في الذكر ارتساماً قوياً ... فما كان من الأثر الذي فيه الكلام مضبوطاً في الذكر في حال يقظة أو نوم ضبطاً مستقراً كان الهاماً أو وحياً صراحاً أو حلماً لا يحتاج الى تأويل أو تعبير ، وما كان قد بطل هو وبقيت محاكياته وتواليه احتاج الى أحدهما » (الاشارات ، ص ٢١٦ — ٢١٧) . وهذا يختلف بحسب الأشخاص والأوقات والعادات . فالوحي يحتاج الى تأويل والحلم الى تعبير .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الامتداد

في اللاتينية Extensio , Extentus وهو مشتق من Extendere

في الفرنسية Etendue

في الانكليزية Extension, extent.

الامتداد في اللغة الانبساط . تقول امتد الشيء انبسط ، وامتدّ به السير طال ، وامتدّ النهار تنفّس ، وامتدّ الماء كثر ، وامتد نظره الى الشيء طمح ببصره اليه .

وللامتداد عند الحكماء عدة معان :

١ — الامتداد هو الصورة الجسمية ، أو هو كون الأجسام موجودة في المكان حالّة بجزء منه . قال ابن سينا : « الامتداد الجسماني يلزمه التناهي فيلزمه الشكل (الاشارات ٩٥) . ومعنى ذلك أن الامتداد الجسماني متناهٍ ، والشيء المتناهي يلزمه أن يكون ذا شكل . فالامتداد المتناهي هو إذن ذو شكل .

٢ — الامتداد جزء من المكان ، وهو متناهٍ أما المكان فغير متناهٍ .

٣ — وقد يجيء الامتداد بمعنى البعد كما في قول ابن سينا : « وليس الجسم جسماً بأنه ذو امتدادات ثلاثة مفروضة » (الشفاء ، ١ — ٥) أي أبعاد ثلاثة . راجع قوله في كتاب النجاة (ص ٣٢٧) : « ان الجسم ليس هو جسماً بأن فيه بالفعل أبعاداً ثلاثة » . ومن هذا القبيل أيضاً قول ابن طفيل : « فلم يجد شيئاً يعم الأجسام كلها إلا معنى الامتداد الموجود في جميعها في الأقطار الثلاثة التي يعبر عنها بالطول والعرض والعمق » (حي بن يقظان ص ٦٨) ، وقوله : « ثم تفكر في هذا الامتداد الى الأقطار الثلاثة هل هو معنى الجسم بعينه ، فرأى أن وراء هذا الامتداد معنى آخر هو الذي يوجد فيه هذا الامتداد ، وان الامتداد وحده لا يمكن أن يقوم بنفسه ، كما ان ذلك الشيء الممتد لا يمكن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أن يقوم بنفسه دون امتداد . واعتبر ذلك ببعض هذه الأجسام المحسوسة ذوات الصور كالطين مثلاً ، فرأى أنه اذا عمل منه شكل ما كالكرة مثلاً كان له طول وعرض وعمق على قدر ما ، ثم ان تلك الكرة بعينها لو أخذت وردّت الى شكل مكعب أو بيضي لتبدّل ذلك الطول وذلك العرض وذلك العمق ، وصارت على قدر آخر غير الذي كانت عليه والطين واحد بعينه لم يتبدل » (حي بن يقظان ٦٩) .

٤) وقد يطلق الامتداد مجازاً على ما يمتد من الأشياء حتى يبلغ مدى بعيداً أو قريباً فتقول امتد به السير ، وامتد النهار ، وامتد النهر أو البحر ، وامتد البصر أو الفكر .

٥ — ولقد فرق (ديكارت) بين الامتداد والمكان ، فقال لا فرق بينهما الا من حيث ان الامتداد خارجي والمكان داخلي ، فاذا نظرت الى الحيز من حيث أنه داخلي للجسم سمي هذا الحيز مكاناً ، وإذا نظرت اليه من حيث أنه صورة خارجية للجسم سمي امتداداً . فالحيّز الداخلي هو المكان ، والخارجي هو الامتداد . إلا أننا كثيراً ما نطلق الامتداد على السطح المحيط بالجسم مباشرة أو نطلقه على السطح بصورة عامة فلا يختص بجسم دون جسم ، بل يشمل الأجسام كلها . ويرى (ديكارت) أن الامتداد هو الصفة الأساسية المقومة للمادة . فكما انه لا مادة بدون امتداد ، كذلك لا امتداد بدون مادة .

والامتداد المعقول (Etendue intelligible) عند (مالبرانش) هو المقدار المجرد عن كل كيفية حسية ، وهو موضوع علم الجبر والتحليل الرياضي .

وكثيراً ما يقيد الامتداد في الفلسفة الحديثة فيطلق على المعنى الثاني المذكور سابقاً (الامتداد جزء من المكان) كقولهم الامتداد خط محدود ، أو سطح محدود ، أو حجم محدود ، وتكون نسبة الامتداد في هذه الحالة الى المكان كنسبة المدة الى الزمان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الإمكان

في اللاتينية Possibilitas

في الفرنسية Possibilité

في الانكليزية Possibility

الإمكان في اللغة مصدر أمكن إمكاناً كما تقول أكرم أكراماً ، وهو أيضاً مصدر أمكن الشيء من ذاته ، تقول أمكن الأمر فلاناً وانلان سهل عليه أو تيسّر له فعله وقدر عليه ، وتقول فلان لا يمكنه النهوض أي لا يقدر عليه ، وأمكنني الأمر أي أمكنني من نفسه .

والإمكان في الشيء عند المتقدمين من الفلاسفة هو إظهار ما في قوته الى الفعل ، وذلك أنك إذا تصورت طبيعة الواجب كان طرفاً ، وبإزائه في الطرف الآخر طبيعة الممتنع ، وبينهما طبيعة الممكن ، والمسافة التي بين الواجب والممتنع اذا لحظت وسطها على الصحة فهو أحق شيء وأولاه بطبيعة الممكن . وكلما قربت هذه النقطة التي كانت وسطاً الى أحد الطرفين كان ممكناً بشرط وتقييد فقيل ممكن قريب من الواجب وممكن بعيد عنه (أبو حيان التوحيدي ومسكويه ، كتاب الهوامل والشوامل ص ١٠٠) .

قال ابن سينا : « والامكان إما أن يعنى به ما يلازم سلب ضرورة العدم وهو الامتناع ... وإما أن يعنى به ما يلازم سلب الضرورة في العدم والوجود جميعاً » (ابن سينا ، الاشارات : ٣٤) . « فاعتبار الذات وحدها لا يخلو إما أن يكون مقتضياً لوجوب الوجود ، أو مقتضياً لإمكان الوجود ، أو مقتضياً لامتناع الوجود » (ابن سينا ، النجاة : ص ٣٦٧) ، « ونحن نسمي امكان الوجود قوة الوجود » (الشفاء ٢ : — ٤٧٧ ، النجاة ٣٨٥) .

والإمكان عبارة عن كون الماهية بحيث تتساوى نسبة الوجود والعدم اليها ، أو عبارة عن التساوي نفسه على اختلاف العبارتين ، فيكون صفة للماهية حقيقة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من حيث هي هي (كليات أبي البقاء) . وهذا المعنى الأخير قريب من المعنى الذي ذهب اليه المحدثون في قولهم الإمكان هو صفة للممكن بالمعنى الموضوعي أو الخارجي .

ويطلق الإمكان في اللغة الانكليزية على الأفعال والحوادث الممكنة كما تقول : بحث في جميع وجوه الامكان . ويطلق أيضاً في الفلسفة الحديثة على حرية فعل الشيء ، وهذا المعنى قريب من معنى الوسع والطاقة ، تقول ليس في وسعه أن يفعل كذا أي لا يقدر عليه .

والامكان هو إحدى مقولات الفيلسوف (كنت) ، وهو مقابل للوجود والضرورة ، والقضايا التي يدخل فيها الامكان تسمى عنده بالقضايا الممكنة ، ويقابلها من ذوات الجهة الوجودية والضرورية . وابن سينا أيضاً يسمي القضايا التي يدخل فيها الوجوب والامكان والامتناع بذوات الجهة ، ويجعل الجهات ثلاثاً : الواجب ويدل على دوام الوجود ، والممتنع ويدل على دوام العدم ، والممكن ويدل على لا دوام وجود ولا عدم . والواجب والممتنع يتفقان في معنى الضرورة فذاك ضروري الوجود وهذا ضروري العدم . أما الضروريات فهي كقولنا (كل ب ا) بالضرورة ومعناه أن كل واحد مما يوصف عند العقل بأنه (ب) هو دائماً (ا) ما دام ذاته موجوداً . ومثاله كل متحرك جسم بالضرورة . وأما الممكنات فهي التي حكمها من سلب أو ايجاب غير ضروري ، واذا فرض موجوداً لم يعرض منه محال كما في قولنا كل (ب ا) بالامكان ، فمعنى هذا القول ان كل واحد مما يوصف بأنه (ب) كيف كان فان ايجاب (ا) عليه غير ضروري ، واذا فرض هذا الايجاب حاصلاً لم يعرض منه محال .

والفلاسفة يفرقون بين الامكان المنطقي والامكان الوجودي . فالإمكان المنطقي عندهم عبارة عن كون الشيء خالياً من التناقض الداخلي ، وهو والمعقولية شيء واحد ، حتى لقد عرّف (ليبنيز) هذا الممكن بقوله : كل ما لا يستلزم وجوده تناقضاً فهو ممكن .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والامكان الوجودي يستلزم الامكان المنطقي ، ويستلزم بالاضافة الى ذلك شروطاً خارجية تنقل الشيء من حيز التصور الى حيز الوجود الخارجي . فقد يكون الشيئان أو الحادثان ممكنين في العقل ، ولا يكونان ممكنين معاً في الواقع ، لأن وجود أحدهما بالفعل قد يمنع وجود الآخر . فكل ممكن وجودي ممكن في العقل ، وليس كل ممكن في العقل ممكناً في الوجود الخارجي .

والامكان أعم من الوسع لأن الممكن يكون مقدوراً للانسان ، وقد يكون غير مقدور له . والوسع راجع الى الفاعل ، والامكان الى المحل . وقد يكونان مترادفين بحسب مقتضى المقام .

والامكان العام هو سلب الضرورة عن أحد الطرفين ، والامكان الخاص سلب الضرورة عن الطرفين معاً .

والامكان الذاتي بمعنى التجويز العقلي الذي لا يلزم من فرض وقوعه محال . وهو أمر اعتباري يعقل للشيء عند انتساب ماهيته الى الوجود وهو لازم لماهية الممكن قائم بها ، يستحيل انفكاكه عنها ، ولا يتصور فيه تفاوت بالقوة والضعف والقرب والبعد . لذلك قال فخر الدين الرازي : « الممكن لذاته هو الذي لا يلزم من فرض وجوده ولا من فرض عدمه من حيث هو محال » (فخر الدين الرازي ، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ص ٤٦) .

والامكان الاستعدادي أو الوقوعي أمر موجود من مقولة الكيف قائم بمحل الشيء الذي ينسب اليه لا به وغير لازم له (التهانوي ، الكشاف) .

والعامة يعنون بالممكن ما ليس بممتنع من غير أن يشترطوا فيه أنه واجب أو لا واجب ، وهذا خطأ ، بل الممكن عند الفلاسفة يدل على ما ليس بممتنع ولا واجب . وهذا المعنى أخص من المعنى الذي تستعمله العامة ، فيكون الواجب أو الممتنع كلاهما خارجين عن حظيرة الممكن ، ويكون الممكن نفسه دالاً على غير الضروري .

(يتبع) جميل صليبا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(مراجعة كتاب فيه)

اختصار الجبر والمقابلة

تأليف الشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد المعروف بابن بدر

هذا كتاب في الجبر والمقابلة، أرسله إليّ المستشرق التشيكي الدكتور نيكل Nykl، أثناء زيارته لمدريد عام ١٩٣٣ .

والكتاب مطبوع في مدريد سنة ١٩١٦ باللغتين العربية والاسبانية، ووقف على طبعه (يوسف شانجاس بارس المجريطي) .

وقد سبق وأشرنا الى هذا الكتاب في بعض مؤلفاتنا ..

والطبعة العربية لهذا الكتاب غريبة في أشكال حروفها، تصعب قراءتها، فبعض الأشكال يختلف تماماً عن أشكال الحروف الحالية، فشكل الحرف (د — دال) هو غير الشكل الذي نعرفه . وعصا الحرف (ط) مائلة جداً، وكذلك أشكال الحروف (ج، ح، خ، ك) شملها تعديل بسيط .

والكتاب منسوخ عن مخطوطة نسخها (عبد الصمد بن سعد بن عبد الصمد) من فاس عن مخطوطة قديمة . ويقول في نهاية الكتاب :

« ... أتممت قراءة هذا الكتاب بعد أن كنت فهمته، من غير هذه النسخة، وأصلحت ما ظهر لي فيها من الفساد بسبب فساد هذه النسخة المنقول منها هذه . وذلك في الرابع من شوال عام أربع وستين وسبعمائة هجرية . قال ذلك وكتبه بخط يده الفانية العبد المعترف بذنبه الراجي مغفرة ربه (عبد الصمد بن سعد ابن عبد الصمد) لطف الله تعالى به ـ وذلك (بسجانة القصر) من داخل مدينة فاس . والحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد نبيه وعبده ... »

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولقد أصاب الاهمال تراث ابن بدر، وأحاط الغموض بحياته، فلا نجد شيئاً يذكر عن مآثره في كتب تاريخ العلوم الرياضية، وهو الذي برع فيها، ووقف جهوده عليها، وأخرج فيها مؤلفاً نفيساً هو الكتاب الذي نحاول مراجعته.

وبعد البحث وجدنا أن ابن بدر من علماء إشبيلية من أعمال إسبانيا، ظهر في أواخر القرن الثالث عشر للميلاد واسمه (ابو عبد الله محمد بن عمر بن محمد المعروف بابن بدر).

يبدأ الكتاب بما يدور عليه الجبر من أعداد وجذور ومال، والمقصود من الجذر المجهول (س) ومن المال مربع الجذر ($س^2$). ويوضح كلاً من هذه الأشياء الثلاثة. ويذكر المسائل الست وهي المذكورة في كتاب (الخوارزمي) وكتب غيره من علماء المسلمين والعرب.

فالمسألة الأولى — أموال تعدل جذوراً، أي أن:

$$م\ س^2 = حـ\ س$$

والمسألة الثانية — أموال تعدل عدداً، أي أن:

$$م\ س^2 = ب$$

والمسألة الثالثة — جذور تعدل عدداً، أي أن:

$$هـ\ س = م$$

والمسألة الرابعة — أموال وجذور تعدل عدداً، أي أن:

$$حـ\ س^2 + هـ\ س = ب$$

والمسألة الخامسة — أموال وعدد تعدل جذوراً، أي أن:

$$م\ س^2 + ب = حـ\ س$$

والمسألة السادسة — جذور وعدد تعدل أموالاً، أي أن:

$$حـ\ س + ب = هـ\ س^2$$

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم يأتي على كيفية حل كل من هذه المسائل ، بطريقة لا تختلف عن الطريقة التي نعرفها الآن . وبعد ذلك نجد أبواباً تبحث في الجذور واضعافها وتجزئتها وضربها وقسمتها وجمعها وطرحها . ويقصد من الجذور هنا الأعداد التي تحت علامة الجذر التربيعي من التي لها جذر ، والتي ليس لها جذر أي الجذور الصم .

ومن هذه الموضوعات وما حوته من أمثلة عددية كثيرة ، يتبين أن ابن بدر كان ملماً إلماماً جيداً بنظريات القوى والجذور الصم وكيفية إجراء الأعمال الأربعة عليها مما نجده الآن في كتب الجبر للمدارس الثانوية . وبعد هذا ينتقل (ابن بدر) الى ضرب المجاهيل بعضها في بعض ، والى العلامتين الزائد والناقص وما يسودهما من قوانين حين الضرب وحين القسمة ، وكذلك الى جمع الأشياء والأموال والكعوب بعضها الى بعض ، وطرحها بعضها من بعض ، وقسمتها بعضها على بعض .

وقد أتبع هذه البحوث باباً في معرفة الجبر والمقابلة جاء فيه :

« الجبر : هو الزيادة في كل ناقص حتى لا ينقص ، والمقابلة : طرح كل نوع من نظيره ، حتى لا يكون في الجهتين نوعان متجانسان ... »

أي أنه لو كان لديك المعادلة : $١٠٠ - ١٠ س = ٧٠$

فبالجبر تصبح : $١٠٠ = ٧٠ + ١٠ س$

وبالمقابلة تصبح : $٣٠ = ١٠ س$

وهناك من علماء العرب من عرّف « الجبر والمقابلة » بغير هذا ، إلا أن الاختلاف في التعاريف بسيط جداً ، حتى يمكننا القول : ان « الخوارزمي » ومن أتى بعده من علماء العرب ، « كأبي كامل » و « ابن البناء » و « الآملي » و « القلصادي » وغيرهم ، اتفقوا في تفسيرهم لكلمتي : الجبر والمقابلة .

بعد كل هذا ، أتى « ابن بدر » على تطبيق في المسائل الست وهي ـ على رأيه ـ : « التي يدور عليها جمع الجبر ... »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كما جاء على مسائل أخرى وضعها في أبواب متنوعة ، سماها : باب مسألة العشرات ، وباب في مسائل الأموال ، وباب في الصدقات ، وباب في القمح والشعير وفي التجارة . وقد يرغب القارئ ـ أو بعبارة أصح بعض القراء ـ أن تأتي على أمثلة من هذه الأسئلة :

جاء في باب العشرات : « ... عشرة قسمتها إلى قسمين ، فضربت كل قسم في نفسه ، وجمعت الضربين فبلغ اثنين وثمانين ... »

وجاء في باب مسائل الأموال : « إذا قيل لك : مال طرحت منه ثلثه وربعه وأربعة دراهم ، وضربت ما بقي في مثله ، فعاد المال واثنا عشر درهماً ... »

ومن مسائل باب التجارة : « إذا قيل لك : رجل كان معه مال ، قاسمه رجل وفضله بدرهم ، ثم قاسمه بالباقي رجل ثان وفضله بدرهمين ، ثم قاسم بالباقي رجلاً ثالثاً وفضله بدراهم ، وبقي معه عشرة دراهم . كم المال ... ؟ »

ومن باب الصدقات : « ... امرأة تزوجت ثلاثة أزواج ؛ فأصدقها الأول : شيئاً مجهولاً ، وأصدقها الثاني : جذر ما أصدقها الأول : ودرهماً ، وأصدقها الثالث : ثلاثة أمثال ما أصدقها الثاني وأربعة دراهم ، فكان المجتمع أربعين ... »

ومسائل باب القمح والشعير لا يختلف حلها عن التي تقدمت .

وهكذا سار « ابن بدر » في المسائل ، وقد حلها جميعها ، وكان يرجع المسألة الى حالة من حالات المسائل الست ، ثم يجري عليها طريقة حل تلك الحالة .

ومن غريب الأبواب التي وجدناها في الكتاب : باب الجيوش ، أدخل فيه مسائل تحتاج إلى استعمال المتواليات العددية وقوانين جمعها ، ويقول بهذا الشأن :

« ... وعلة عمل الجيوش وتفاضل الفلمة ، نوع من أنواع الجمع ، وهو إذا تفاضلت الأعداد بعدة معلومة دون التضعيف ، فاضرب التفاضل في عدة الأعداد إلا واحداً ، فما بلغ فاحمل عليه أول الأعداد ، يكن ذلك آخر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأعداد ، واضربه في نصف العدة ـ أعني عدة الأعداد ـ يكن ذلك المطلوب . »

وهنا يأتي « ابن بدر » على قانون جمع المتواليات العددية ، وقد كان معروفاً قبله ، فلو أخذنا المتوالية العددية ٤ ، ٧ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٦ ، فالتفاضل هو ٣ ، وعدة الأعداد في هذه الحالة ٥ .

وعلى هذا مجموع هـذه الأعداد بحسب ما يقول « ابن بدر » كما يلي :

$$٣ \times (٥ - ١) = ١٢$$

$$١٢ + ٤ = ١٦$$ وهو آخر أعداد المتوالية العددية .

$$١٦ + ٤ = ٢٠$$

$$٢٠ \times \frac{٥}{٢} = ٥٠$$ وهو مجموع الأعداد .

وفي الكتاب أيضاً : باب البريد ، وفيه مسائل تتعلق بسير البريد ، وخروجه ، واللحاق به ، ومنها :

« إذا قيل لك : بريد خرج من بلدة ، وأمره أن يسير كل يوم عشرين فرسخاً ، فسار خمسة أيام ، ثم أرسل معه بريداً آخر ، وأمره أن يسير كل يوم ثلاثين فرسخاً ففي كم يوم يلحقه ؟ » .

ولا يخفى على مدرسي الرياضيات بالمدارس الثانوية ، أن هذه المسألة على نمط كثير من المسائل في كتب الحساب الحديثة .

ونأتي الآن الى الباب الأخير ، وقد سماه باب الالتقاء ، ولعـل القارئ يدرك نوع مسائله من المسألة الآتية : « ... إذا قيل لك : رجلان التقيا ، ومع كل واحد منهما مال ، ووجدا مالاً ، فقال أحدهما لصاحبه : اعطني مما معك درهماً ، وهذا المال الموجود يكون معي مثل ما بقي معك ، وقال الآخر : بل أنت إن أعطيتني مما معك أربعة دراهم ، وهذا المال الموجود ، يكون معي ثلاثة أمثال ما بقي معك ، كم كان مع كل واحد منهما ، وكم المال الموجود ... ؟ »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أي أن ص + ١ + ع = س

س + ١ + ٤ + ع = ٣ (ص — ٤)

وهنا فرض «ابن بدر» أن ما مع الأول ص ، وما مع الثاني س + ١ ، والمال الموجود ع .

وعند حل هذه المسألة ، وغيرها من مسائل باب الالتقاء ، وباب القمح والشعير ، خرج «ابن بدر» بمعادلات غير معينة ، وقد أطلق على هذا النوع من المسائل «المسائل السيالة» لأنها «... تخرج بصوابات كثيرة» أو بأجوبة كثيرة .

وقد حلّ «ابن بدر» كثيراً من المسائل التي تؤدي إلى معادلات سيالة بطريق ملتوية ، تدل على قوة فكره ورسوخه التام في علم الجبر .

ويمكن القول ان أكثر المسائل التي أتى بها «ابن بدر» في كتابه ، مسائل عملية تتناول ما كان يقتضيه عصره من معاملات في التجارة ، أو الصدقات ، وإجراء الغنائم ، والمرتبات على الجيوش ، كما تطرقت الى البريد واللحاق به ، وإلى طرق البيع والشراء في القمح والشعير .

وهذه مزية امتازت بها المؤلفات العربية القديمة ، فلقد كان رياضيو العرب يفضلون المسائل العملية والتي تتعلق بحاجات العصر ومقتضياته .

وحبذا الحال لو يتبع المؤلفون هذه الطريقة في وضع المسائل الرياضية ، ففي ذلك ما يعود على الطلاب بأكبر الفوائد ، مما يجعلهم يدركون مكانة العلوم الرياضية من الوجهة العملية ، في نواحي الحياة المختلفة واتصالها الوثيق بأعمال الانسان المادية .

وأخيراً نجد «مسألة من الشاذ[1]» يظهر أنها من وضع «عبد الصمد» الناسخ

(١) في متن المطبوع وفهرسه : (مسألة من شاذ) . ولكن يتضح من قراءة الراموز الذي أثبته الناشر أنها (مسألة من الشاذ) . (المجلة)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأول للكتاب ، وقد وضعت في ذيله ، وهي : « ... إذا قيل لك مائة وزة تعلف في الليلة الواحدة مائة برشالة ، ومات منها كل ليلة واحدة الى أن فني عددها ، كم توفر من الطعام وكم أنفق من الطعام؟ » ولا يخفى ان حل هذه المسألة يتطلب استعمال قانون جمع المتواليات العددية ، وقد جاء الحل كاملاً في الكتاب .

ويقال إن « محمد بن القاسم الغرناطي » في القرن الرابع عشر للميلاد ، شرح كتاب « ابن بدر » شعراً ، ولعله محفوظ في إحدى المكتبات في الغرب .

والآن وبعد أن أتممنا تقديم كتاب « ابن بدر » والتعليق عليه ، يتبين لنا فضل المؤلف على الجبر وسعة اطلاعه فيه ، وقد صاغ قوانينه وأصوله في لغة بليغة وأسلوب أخاذ .

وعلى كل حال ؛ فالكتاب يمثل أثراً من الآثار الخالدة التي تركها العرب للأجيال ، كانت من أهم عوامل تقدم الرياضيات العالية ، وسائر العلوم الطبيعية ، التي قامت عليها الأعمال الهندسية الكبرى ، والنهضة الصناعية الحديثة .

قدري حافظ طوقان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تحقيقات حول

نقد الغزالي

لمذهب المشائين والأفلاطونية المحدثة

- ١ -

مقدمة

منذ عهد بعيد ، لم تقلّ شهرة أبي حامد الغزالي في الغرب عما بلغته في الشرق . فقد عرفته العصور الوسيطة اللاتينية ولما يمض قرن على وفاته تحت اسم Algazel ، فورد له ذكر [1] عند ريموند مارتان Raymond Martin (١٢٣٠ — ١٢٨٤) ، وريموند لول R. Lulle (١٢٣٥ — ١٣١٥) ، ثم عند كاجيتان Cajétan (١٤٦٨ — ١٥٣٤) . وقد كانت هذه المعرفة واردة في الدرجة الأولى عن طريق دومينيكوس غونديسالينوس Dominicus Gondissalinus رئيس الشمامسة بقشتالة القديمة (مدينة Ségovie) : إذ صنع في منتصف القرن الثاني عشر ترجمة لكتاب « مقاصد الفلاسفة » بعنوان [2] *Logica et Philosofia Algazelis Arabis* ؛ وفي الدرجة الثانية عن طريق

---

(١) راجع Bouyges, *Notes sur les Philosophes Arabes connus des latins au moyen - âge* in Mélanges de la Faculté Orientale (Université St. Joseph) Beyrouth VII (1914 - 1921) .

(٢) زعم شمولدرز (*Essai*, 220-1) أن كتاب « معيار العلم » هو الأصل للترجمة اللاتينية الرديئة المنشورة في سنة ١٥٠٦ بعناية « Pétrus Lichtenstein من أهل كولونيا » . وقد نبه على هذا الخلط — وإن كان لا يزل يومئذ جاهلا بما في المعيار — سليمان مونك ; (*Dictionnaire des sciences philosophiques*, 602 (*Mélanges*, 371 والذي أعلمه أن في مدّخرات المكتبة القومية بباريز ترجمة «المقاصد» المطبوعة في البندقية سنة ١٥٠٦ (اطلب Rés. R. 809) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ترجمتين [١] لاتينيتين لكتاب ابن رشد الشهير « تهافت التهافت » تحت عنوان *Destructio destructionum Algazelis* . ومن المعروف أن هذا الكتاب ينطوي على جزء كبير من « تهافت » الغزالي . وعلى الرغم من أن هذه التراجم في جملتها معقدة مغلقة [٢] ، إلا أن هذا لم يمنع أن يكون لها ـ كما هو الأمر في رأي جلسن [٣] ـ « أبعد الأثر وأقواه في السكولائية المسيحية » ؛ وعنده أنها « الينبوع الذي رويت منه فلسفة اللاهوتيين » التي أسماها « الأوغسطينية السينوية » (Augustinisme avicennisant) دالاً بذلك على مبلغ تأثير الفلسفة العربية في أمثال غيوم الأوفرني (Guillaume d'Auvergne) ، وروجه باكون (R. Bacon) ، وجان بيكام (Jean Peckam) .

إلا أن الوجه الذي عُرف به الغزالي في الغرب ، ولا سيما في القديم ، مختلف عن حقيقة الوجه الذي يجب أن يعرف به . فقد كان يُظن أن النظريات والآراء التي أوردها ودعمها في « مقاصد الفلاسفة » دعماً قوياً تمثل نزعته الفلسفية . حتى أن من المحدثين من انساق الى هذا الوهم ، مثل ريتر الذي ذكر في تاريخه الضخم للفلسفة [٤] مذهب الغزالي حملاً على ذلك الكتاب . ومضى الباحثون يحارون في تعليل قضية شائكة أعني ما طلع به أبو حامد في التهافت من نقض وهدم ودك لمعالم ذلك البناء الشامخ الذي بناه في « المقاصد » حجراً فحجراً .

(١) الأولى منها مطبوعة في البندقية (سنة ١٤٩٧) وغير معروفة المؤلف ، إلا أن فيها تفسيراً لأغوسطينو نيفوس . والثانية ليهودي من أهل ڤابولي Calo Calonymos (سنة ١٥٢٧) . وقد نشر Heimann Auerbach ترجمة عبرية مفسَّرة لعلها هي المأخذ لكل منهما .

(٢) راجع ما ورد عن عجمة هذه التراجم و « بربريتها » لدى (Degérando, *Histoire comparée des Systèmes de philosophie*, IV, 225)

(٣) Gilson, *Les Sources Gréco - latines de l'Augustinisme avicennisant*, (*apud* Archives d'Hist. doctr. et littér. du Moyen-âge p.74

(٤) Ritter, *Geschichte der Philosophie* t. VIII, pp. 59-60

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وذهبوا يعجبون كأنهم يتساءلون : هل يجوز لفيلسوف يحترم نفسه أن ينقلب من الضد إلى الضد دون أن يُضيء مصباحه بين يديه فينير البواعث والدوافع لموقفه الجديد [١] ؟ والواقع أن الغزالي قد فعل منذ أن انصرف إلى تأليف كتابيه ولكن مزلة قدم الشارحين في ارتكاب هذا الخطأ هو أن الترجمة اللاتينية (المطبوعة) خلافاً للأصل العربي لا تحتوي العبارة الآتيـة الواردة في آخر «المقاصد» : «فهذا ما أردنا أن نحكيه من علومهم المنطقية والإلهية والطبيعية من غير اشتغال بتمييز الغث من السمين والحق من الباطل . ولنفتتح بعد هذا كتاب تهافت الفلاسفة حتى يتضح برهان ما هو باطل من الجملة» [٢] . ولما لفت مونك [٣] النظر الى أن هذه العبارة موجودة أيضاً في تراجم عبرية مختلفة ، وفي نسخة لاتينية مخطوطة في السوربون (تحت رقم 941) ، ظنّ دوهيم [٤] على حال التردد في أن يقبل الأمر على علاته ، وذهب يتساءل : ألم تُضف هذه الجملة إضافةً لاحقة الى «المقاصد» من قِبَل الغزالي نفسه (أو من قبل أحد تلامذته) بعد ارتداده [«volte - face»] عن موقفه الأول لعلة من العلل ؟ ونحن نظن أن لو لُفت نظره أيضاً إلى ما جاء في مقدمة «المقاصد» تأييداً لخاتمته لبقي شكه قائماً من هذه الناحية .

---

(١) هذا لا يعني أنهم غفلوا جميعاً عن الحقيقة . ونظن أن رونان خاصةً عندما قال في كتابه عن ابن رشد ومذهبه (ص ٩٦ من طبعة ١٨٦٦) : «الغزالي — غيرَ مُدافَع — هو من بين أعلام المدرسة الفلسفية العربية أشدهم أصالة فكر» إنما كان ، لدى حكمه هذا ، متجهاً — وهو على صواب في اتجاهه — إلى المظهر النقدي السلبي عند الإمام (كما يبدو من خلال «التهافت») لا الى المظهر التقريري الإيجابي (كما يبدو من خلال «المقاصد») .

(٢) وردت هذه العبارة في طبعة الكردي (سنة ١٣٣١ هـ) مع تغيير في بعض الألفاظ .

(٣) S. Munk, *Mélanges de Philosophie juive et arabe*, p.370

(٤) Duhem, *Le Système du Monde*, IV, p. 501 - 502

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مهما يكن من أمر ، وسواء أكان الغزالي قد اعتقد في طور من أطوار حياته ما أورده في « المقاصد » من نظريات ـ وهذا رأي ابن رشد ـ أم أنه كتبه منذ البدء ليلخص مذهب الفلاسفة تلخيصاً نيّراً ثم يردّ عليهم ، فإن المسألة ليست بذات خطر كبير من الوجهة العملية . لأن الغزالي اعتباراً من مطلع سنة ٤٨٨ هـ (= كانون الثاني سنة ١٠٩٥) ـ وهي السنة التي فرغ فيها من تصنيف « التهافت »[1] ـ إلى أن لقي وجه ربه[2] ، ظلّ على اتخاذ موقف نهائي وهو معاداته للفلاسفة معاداةً متفاوتة في المسائل التي وردت في هذا الكتاب الذي بهمنا . تشهد على ذلك كتبه التي ألفها منذ العزلة[3] إلى آخر أيامه ، وعلى رأس هذه الكتب « إحياء علوم الدين » و « المنقذ من الضلال »[4] . ونحن لا نجهل أن التصريحات التي وردت في هذا الكتاب الأخير تثير مشكلة

---

(١) راجع مخطوط مكتبة فاتح في اسنامبول الذي يحمل تاريخ « الحادي عشر من محرم سنة ثمان وثمانين وأربع مايه » . وقد قبل هذا التاريخ الأب بويج في صدر الطبعة النقدية للكتاب (بيروت ١٩٢٧) .

Bibliothéca Arabica Scolasticorum, Série Arabe t.II

(٢) توفي الغزالي « الاثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ » (راجع كتاب عبد الغافر الفاسي النيسابوري الذى ينقله ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام ابو الحسن الأشعري» (ص ٥٦ من طبعة دمشق) . وراجع أيضاً الجزء الأول من « وفيات الأعيان » لابن خلكان (ص ٦٦٢ من طبعة بولاق سنة ١٢٧٥) . ويورد فلوغل في طبعة « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » لحاجي خليفة هذا التاريخ : ١٠ تموز ١١١١ . راجع ص ٢٨٥ من

Lexicon Bibliographicum et Encyclopaedicum, éd London,1850

(٣) وقعت هذه العزلة حوالي سنة ٤٨٩ هـ [= ١٠٩٥ م] ودامت نحو عقد من السنوات . يقول في «المنقذ من الضلال» : « ويسّر الله تعالى الحركة الى نيسابور ... في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وأربعمئة . وكان الخروج من بغداد في ذي القعدة سنة ثمانٍ وثمانين واربعمئة . وبلغت هذه العزلة إحدى عشر [كذا] سنة » (راجع طبعة مكتب النشر العربي الثانية ص ١٥٣) .

(٤) راجع ص ١٢٧ من طبعة هذا الكتاب المشار اليها في الحاشية المتقدمة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« الشهادات » ولا سيما قيمة الشهادة الشخصية وقيمة « الاعتراف » في وثائق « التراجم الذاتيـة »[١] (autobiographies) . ونعلم ، زيادةً على ذلك ، أنه وُجِدَ بالفعل بعضُ المؤلفين الذين رَمَوْا أقوال أبي حامد في كتابه الأخير [المنقذ] بأنها « غير صادقة وآراء غير مطابقة للواقع »[٢] . ولكن هذا الزعم وإن صدق ـ على الرغم من أنا لا نقابله إلا بتحفظ شديد ـ[٣] ، فانه لن يقدم ولن يؤخر في طبيعة النقد الفلسفي الذي استرسل اليه الإمام في « التهافت » لا من حيث الأهمية ولا من حيث القيمة ، وهو النقد الذي قيل في أثر صاحبه : إن الضربة التي أصابت منه الفلسفة العربية جعلت هذه الفلسفة لم تقم لها من بعده في الشرق قائمة[٤] .

---

(١) لما درس فرانسوا مورياك حياة راسين ، كان من جملة ما قاله : « إن الكتب والمذكرات اليومية الخاصة التي يتركها الرجل العظيم من بعده ، شدّ ما تخدع في غالب الأحيان من يؤرخ له . حتى ان رسالة نكتبها دون طمع في نشرها بعد موتنا لا تخرج عن كونها إنما كتبناها إلى من نوجهها اليه ، فالأمر يدور فيها لا على إثارة المرسَل اليه ، بل على إدخال السرور عليه ووضع صورةٍ عنا بين يديه . وأعرق المذكرات اليومية في الكتمان ، وادخلها في باب السر إنما هي تأليف وتزويق وكذب . فنحن ننتزع من فوضانا الباطنية مخلوقاً يفيض بالاتساق ، فنمكف على الأنس به . ولئن وُجِد إنسان يتخذ مذكرات شخصية لمحض لذته لا للعصر المقبل (ونحن نشك في وجوده) ، فانه يبقى لهذا الانسان من يُنزل به خداعه : وهو ذاتُ نفسه . »
(François MAURIAC, *La Vie de Jean Racine*, Flammarion, p. 6-7)

(٢) راجع الصفحة ١٥٣ من كتاب الدكتور عبد الدائم ابو العطا البقري : اعترافات الغزالي أو كيف أرخ الغزالي نفسه (سلسلة خلاصة الفكر الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٤٣) وبهذه المناسبة نشير الى أن ابن رشد كان من السابقين الى اتهام الغزالي في صدق نقده (راجع تهافت التهافت ص ١٥٩ ـ ١٦٠) .

(٣) مما يرد على قضية الشك في صدق الغزالي أن كثيراً من اعترافاته هي من الأمور التي لا يُدافَع بها عادةً عن النفس ، مثل تصريحه أنه كان ينشر العلم « الذي به يُكسب الجاه » وقوله دون مواربة ولا حجة : « كان ذلك قصدي ونيتي » .

(٤) *Dictionnaire des sciences philosophiques*, article *Gazali* par Muuk p, 60

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

نعم إن مثل هذا القول مما لا تسيغه التعاليل الحديثة ذوات الصبغة العلمية نظراً للدور المتجاوز الحد الذي يمنحه الأفراد في تطوير حادثة اجتماعية . إذ مما لا شك فيه أن حادثة هامة (مثل سيادة نزعة فكرية في بيئة ما أو انتشار مذهب فلسفي في رقعة من الأرض) مدينة لفعل عوامل سياسية واقتصادية وايديولوجية وديمغرافية في غاية التعقيد . ولكن هذا لا يعني أن النقد الغزالي غير ذي نفع من الوجهة السوسيولوجية ، لأنه يُعتبر « واقعة » من الواقعات من حيث كونه نَظْماً مرتباً من الأفكار كان له دور في جملة العوامل التي أدت الى القضاء على الفلسفة في الشرق .

ولهذا فنحن إذ نعنى بهذا النقد ونتصدى لدراسته ، إنما نفعل ذلك نظراً لما يقدمه من فائدة كبرى لتاريخ المذاهب والأفكار من جهة ، وللتاريخ العام من جهة أخرى . وبهذا الاعتبار تبدو قضية مثل القضية الآتية : هل يمثل كتاب « التهافت » مظهراً إيجابياً من مظاهر الفكر الغزالي ؟ أقل خطراً من التساؤل عن موضوع النقد الغزالي وغرضه ، أو التساؤل عن آليته وعن مغزاه ومداه .

إذن فنحن سندقق في هذه الأمور مقدمين بين يدي بحثنا السؤال الأولي : على من وعلامَ يقع النقد الغزالي ؟ ونستطيع أن نقول منذ البدء إن الغزالي لم يحارب كل الفلاسفة ، ولا هاجم جملة الفلسفة .

١ — فأما عن الناحية الأولى ، فقد صرح الغزالي في رأس المقدمات التي صدَّر بها « التهافت » أن نقده منصبٌّ على إظهار التناقض في آراء أرسطو بحسب ما اختاره من تأويلاتها الفارابيُّ وابن سينا [٨] . وأيَّد ذلك في «المنقذ» حين قال : « ولقد قَرُب مذهب أرسطاطاليس فيها من مذاهب الإسلاميين على ما نقل الفارابي

(١) راجع ص ٨ . وننبه القارىء الى أن كل ما نذكره من أرقام صفحات « التهافت » هو بالاستناد الى طبعة بويج . كما أن كل ما نذكره من أرقام « المنقذ » راجع إلى الطبعة الثانية التي أخرجها مكتب النشر العربي بتحقيق الدكتورين جميل صليبا وكامل عياد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وابن سينا»[١] . على أنه لدى كلامه ، في هذا الكتاب الأخير ، عن أصناف الفلاسفة ذكر الدهريين (الزنادقة) ـ أي الماديين كما نقول اليوم ـ وكذلك الطبيعيين ـ وهم الفيزيائيون قبل السقراطيين ـ ثم الإلهيين وفيهم سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس و «متفلسفة الإسلاميين» على حد تعبيره[٢] .

٢ — وأما عن الناحية الثانية ، فمن الثابت أن الغزالي قد قبل من الفلسفة ـ في مفهومها القديم ـ أقساماً برمتها (كالرياضيات مثلاً) لأنه من الجازمين بأنه «ليس في مقتضيات الهندسة والحساب ما يخالف العقل»[٣] بل «هي أمور برهانية لا سبيل الى مجاحدتها بعد فهمها ومعرفتها»[٤] ومن الناقمين على «من ظن أن المناظرة في إبطال هذا من الدين»[٥] . ثم إن رأيه في المنطقيات صريح : فهو يعتقد أن «أكثرها على منهج الصواب ؛ والخطأ نادر فيها»[٦] . وعلى الرغم من أنه فيما يتعلق بالطبيعيات يرى أن «الحق فيها مشوب بالباطل ، والصواب مشتبه بالخطأ فلا يمكن الحكم عليها بغالب ومغلوب»[٧] ، فإنه لم يشتغل بالرد عليها إلا إلى حد ، كما لم يهتم بمناقشة السياسيات ولا الخلقيات . ولكن الذي عناه من كل ذلك إنما هو «الإلهيات» في مصطلحه . وهو يبادر الى التقرير بأن «أكثر عقائدهم فيها على خلاف الحق ؛ والصواب نادر فيها»[٨] .

(١) راجع ص ٩٤ — ٩٥
(٢) ص ٨٤ — ٨٧
(٣) المقاصد ص ٣
(٤) المنقذ ص ٨٨
(٥) التهافت ص ١١
(٦) المقاصد ص ٣
(٧) المرجع والصفحة نفسها .
(٨) المرجع والصفحة نفسها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولئن اعتبر أن من واجبه «أن يظهر فساد مذهب» الفلاسفة «في هذا الفن ونظائره» فذلك لأنه القسم الذي «يتعلق النزاع فيه بأصل من أصول الدين»[1].

ولقد عدد الغزالي المسائل التي انبرى للرد عليها، فحصرها في المسائل العشرين التي عالجها في كتاب «تهافت الفلاسفة» ونحن نجد من الأيسر دراستها في أبواب كبرى تأتي متفرعة عنها تفرع الفصول. وهذه الأبواب هي ما سنسميه بـ «الكونيات» (Cosmologie)، و «الإلهيات الصرفة» (Théodicée) و علم النفس العقلي» (Psychologie rationnelle) ثم «المبادئ المديرة للمعرفة». إلا أننا نودّ أن نشير إلى أنه ما دام همنا النفوذ الى طيّة النقد الغزالي والوقوف على مغزاه في سبيل تعرّف مدى هذا النقد وتبيّن سر استفاضته، كانت دراستنا بالضرورة ملجأة الى التوكيد على ميكانيكية الطرائق المستعملة في الاستدلال والاحتجاج خلال هذه المسائل. هذا مع الحرص على وضعها ضمن إطارها الزمني وهو عمل يستلزم بحثاً تاريخياً عن الأصول والمصادر.

وبما أن القارئ يتطلع الى أن يعرف سلفاً إلى أين نمضي به، فاننا نوجز منذ الآن النتيجة التي خُيّل إلينا أنها ستعمّ النقد الغزالي في عبارة قصيرة فنقول:

إن النية العميقة التي صدر عنها هذا النقد إنما هي تفنيد مزاعم خاطئة لميتافيزياء مستأثرة تقوم دعواها العريضة على قصر تفسير الكون عليها من دون غيرها، بينما هي تحدُّ من نطاق المعرفة بما ضيقته من حوزة «المعقولية».

---

(١) التهافت ص ١٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قضية أزلية العالم وأبديته [١]

هذه القضية هي إحدى المسائل الثلاث [٢] التي نبّه الغزالي إلى أنها لا تلائم الإسلام بوجه » و « معتقدها معتقد كذب الأنبياء » [٣] . ولذلك أفتى بتكفير القائلين بها من الفلاسفة الذين « خالفوا فيها كافة المسلمين » [٤] .

وقبل أن نخوض في تفاصيل المناقشة التي يسترسل اليها الغزالي مع خصومه ، لا بد لنا من التثبت : هل الأقوال التي يعزوها إليهم أقوال صحيحة ؟ ففيما يتعلق بالفلاسفة العرب ، لا يعسر على المطلع على كتب الفارابي وابن سينا بعد أن يتأمل أقوال الغزالي أن يتعرف في هذه الأقوال وجه شبهها بنصوصها الأصلية ، فيردّها إلى كتبهم ، ويخرج مقتنعاً بحياد المؤلف . وأما فيما يتعلق بالفلاسفة اليونان ، فالظاهر أن الغزالي لم تكن له بهم إلا معرفة سطحية وغير مباشرة . والسبب في ذلك يرجع إلى استغلاق التراجم العربية التي صنعها

---

(١) الأزلية (أو القدم) هو كون العالم « لا بداية لوجوده » ، والأبدية (او السرمدية) هي كونه « لا نهاية لآخره ولا يتصور فساده وفناؤه » (راجع « التهافت » ص ٧٨ س ٥ - ٦) . ويلاحظ أن اللغة العربية – خلافاً لغيرها من اللغات دقيقة في الافصاح عن هذا الفرق . فالفرنسية مثلاً تضطر أن تضيف الى كلمة Eternité أحد الاصطلاحين اللاتينين *a parte ante* أو *a parte post* في سبيل التمييز بين المعنيين . وكذلك اللغة الألمانية فانها تصوغ كلا المعنيين صياغة تركيبية فتقول في الأول Anfangslosigkeit وتقول في الثاني Endlosigkeit .

(٢) المسألتان الأخريان هما : « إن الله لا يحيط علماً بالجزئيات الحادثة من الأشخاص » ؛ و « إنكارهم بعث الأجساد وحشرها » (تهافت ، خاتمة الكتاب ، راجع أيضاً المنقذ ص ٩٥) .

(٣) التهافت ص ٣٧٦

(٤) المنقذ ص ٩٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لمؤلفاتهم المنقولة للسريانية تراجمة لا يحذقون العربية في الغالب . ولذلك فلا بد من الرجوع إلى مذاهب اليونان في هذا الموضوع لاجتلاء الحقيقة في صحة عزوها .

يبدأ الغزالي فيقرر [١] ان « الذي استقر عليه رأي جماهيرهم المتقدمين والمتأخرين القول بقدم » العالم « وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى ومعلولاً له ، ومساوقاً له ، غير متأخر عنه بالزمان مساوقة المعلول للعلة ومساوقة النور للشمس » فكأنّ تقدّم الله على العالم تقدم منطقي « بالذات وبالرتبة » لا تقدم زمني . ثم يروى أن افلاطون قال « العالم مكوّن محدث » ومع ذلك وُجد من شرّاحه من فسّر هذا القول تفسيراً يخالف ظاهره . وذهب جالينوس في آخر عمره (أي فاتحة القرن الثالث [٢]) في كتابه المسمى [ما يعتقده جالينوس رأياً [٣]] الى التوقف في هذه المسألة لأنها غير قابلة للحل .

فيبدو من هذا أن الغزالي جازمٌ في عزوه القول بقدم العالم الى ثلاثة على

---

(١) ت : ٢١

(٢) راجع ص ٦ من Dr. Daremberg, *Galien considéré comme philosophe*, Paris, 1848

(٣) في رأي بول كراوس أن هذا الكتاب هو *De propriis placitis* وهو يُرجع القارىء الى ص ١٥ من مقدمة « ترجمة تفسير جالينوس على طيماوس » المنسوبة إلى حنين بن اسحاق والتي أعدّ مع فالزر Walzer طبعة نقدية لها بعنوان *Galeni Compendium Timaei* تصدر في مجموعة Plato arabis, I وقال كراوس في الذيول التي ألحقها بكتابه عن جابر بن حيان تحت اسم جالينوس : إن من كتب هذا الأخير المذكورة في كتب جابر الـ De propriis placitis تحت اسم « ما اعتقده رأياً » إذ ورد في كتاب البخت [F. 30 b *infra*] ما يلي : « وقد أطلق مثل ذلك جالينوس في النفس وتحير وتخبل ولم يدر مايقول في ذلك حتى قال في كتابه الذي نسميه ما اعتقده رأياً إن النفس لا تدري ما هي » (راجع الصفحات ٣٢٩ – ٣٣٠ من الجزء الثاني في Paul Krauss *Jâbir Ibn Hayyân, Contribution à l'histoire des scientifiques dans l'Islam*, 2 vol. apud : Mémoires présentés à l'Institut d'Egypte et pupliés sous les auspices de Sa Majesté Farouk Ier Roi d'Egypte, tomes 45 et 44 (1943 — 1942).

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأقل من الفلاسفة (أرسطو ، الفارابي ، ابن سينا) وميّالٌ إلى اعتبار افلاطون من هذه الزمرة ـ على الرغم مما اعتور رأيه من تأويل ـ بدليل أنه يعتبر موقف الطبيب الطرسوسي [1] « كالشاذ في مذهبهم » ويقول : « إنما مذهب جميعهم أنه قديم » .

فهنا لا بد لنا من إيراد ملاحظتين : أولاهما تتعلق بعدم الصحة ، والثانية تتعلق بالإغفال وترك النص .

١ ـ عدم الصحة :

إن ادعاء الغزالي أن القول بقدم العالم هي المقالة الشائعة في الفلسفة ادعاء خاطئٌ . بل لعل المقالة المعاكسة هي التي شاعت في الفلسفة القديمة على وجه العموم . حتى إنه ليمكن أن يقال : إنه ما عدا نفراً قليلاً من الفيثاغوريين الذين قالوا باستحالة حدوث العالم ، وبصرف النظر عن رأي أرسطو ، جرت الفلسفة اليونانية القديمة على سنة القول بالحدوث [2] . وتأييداً لذلك لا نرى بأساً باستعراض سريع لتاريخ هذه القضية .

إن الميثولوجيا القديمة في مجموعها معتبرة ، في رأي مؤرخي الفلسفة ، كأنها مذهب واسع في التكوين الألوهي للعالم (théogonie cosmologique) فهوميروس يضع قبل الأشياء قوتين إلهيتين هما : كرونوس (Kronos) وريا (Rhéa) . وهيزيود يُجري تحليلاً لعناصر الكون فيقرر أن « الفوضى » (أو العماء Chaos) هي التي وجدت في الأصل ، ثم اشتُقّت منها (Gaia) وهي المادة

---

(١) كذا سماه جابر بن حيان ويُعرف بطبيب برغام (كلود جالينوس) ، راجع الرسائل التي نشرها كراوس ص ٣٧٤ ولأجل الاطلاع على عرض مسهب لتاريخ حياته انظر الصفحات XLII — XXVII من كتاب

Ackermann, *Histoire Littéraire* (édition Knehn) t. I

(٢) Th. Henri Martin, *Etudes sur le Timée de Platon* Paris, 1841, t.II,191

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأرضية في طور التشكل التي انفصلت عنها العناصر بتأثير « الحب » (Eros) . على هذا النحو ولدت كايا السماء ذات النجوم (Ouranos) فـ (Okéanos) الخ ... ثم إن الأورفيين (Orphiques) هم من القائلين بأنه تحت تأثير كرونوس ، التَوَتْ « الفوضى » على نفسها واتخذت في جوف الأثير الإلهي (Ether) شكل بيضة من الفضة . وهذه البيضة انشطرت شطرين : فالشطر الأعلى منها هو السماء ، والشطر الأسفل هو الأرض . بمعنى أن كل المذاهب التكوينية الأسطورية قبلت أن للعالم بداية أي انه غير أزلي [1] .

نعم إن أوائل المفكرين بعد الطور الأسطوري وهم الطبيعيون الايونيون (physiciens d'Ionie) الذين حاولوا إيجاد مذهب منسجم في التعليل ، التمسوا المبدأ المشكِّل للكائنات . فقال تاليس (Thalès) في القرن السادس قبل المسيح إنه الماء ؛ وقال آناكسيماندر إنه اللانهاية ؛ وقال آناكزيمين (المتوفى حول ٤٨٠) إنه الهواء ؛ وقال هيراقليط إنه النار . ولا ريب أنهم اعتبروا هذا المبدأ ـ وإن كانوا لم يطرحوا جدياً مشكلة أصل العالم ـ أزلياً أبدياً (éternel et indestructible) . ولكنهم لئن فعلوا ذلك ، فإنما هم قد أبدلوا بالألوهية قوى الطبيعة المادية فحسب ، وهم جميعاً يعتقدون أن عالمنا الحالي « حادث سوف ينتهي » لدرجة أن شيشرون [2] يقول : « إن العوالم لا تُحصى ، وهي موجودة معاً ، تأتي الى الوجود ، فتكبر فتموت » . ولئن زعم سمپليسيوس [3] أن كزينوفان برهن على قدم العالم ، فذلك ولا شك تأويل

(١) استمددنا عناصر هذا العرض من الأطروحة الممتازة الآتية : J. Baudry *Le Problème de l'Eternité du monde dans la philosophie grecque de Platon à l'ère chrétienne*, Paris, 1931

(٢) Cicéron, *De Natur. Deor*, I, 70 apud : Baudry *loc. cit* V. 17.

(٣) Simplicius *In Phys.* 22,9 فبحسب اعتقاده يكون الاستدلال هو الآتي : « يستحيل أن تكون للعالم بداية . ذلك لأن كل ما يولد فهو صادر إما عن كائن مشابه وإما عن كائن مخالف . والواقع أن المشابه لا يلد المشابه ، وإلا لاستحالت الحركة ، من حيث لا داعي لحدوثها . وكذلك يستحيل صدور كائن عن كائن مخالف له ، لأن في هذا صدوراً للكينونة عن اللاكينونة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لمذهب فيلسوف كولوفون (Xénophane de Colophon) على طريقة الافلاطونية المحدثة . واستوبه [١] (Stobée) يقرر أن هذا الفيلسوف لم يذهب قط إلى أن عالمنا ما زال موجوداً من الأزل على حالته الحاضرة . وعلى الرغم من أن لبارمينيدس (Parménide) دعاوى اتخذت فيما بعد حججاً للبرهان على مقالة القدم ، فإن العالم معتبر لديه ذا بداية [٢] . ثم إن الفيلسوفين الماديين زعيمي المذهب الآتومي أعني لوسيب الملطي تلميذ زينون الإيلي (في القرن السادس) وديمقريط الأبديري (في القرن الخامس والرابع) بإدخالها فكرة الخلاء قد شقّا الطريق الى النزعة الثنوية التي ظهرت فيما بعد عند آمبذقليس (Empédocle) وأنكزاغور [٣] (Anaxagore) . ومعلوم أن من رأي هذين الأخيرين أن للعالم نهاية كما أن له بداية .

إذن فالفلاسفة « قبل السقراطيين » لم يعتمدوا إلا نظرية الحدوث ـ كما رأينا ـ

---

(١) Stobée *Eclog . Phys* I, 416 والنص في حاشية الصفحة ٢٠ من بودري المذكور آنفاً (راجع الحاشية رقم ١ من الصفحة المتقدمة) .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٣

(٣) المعروف أن امبذقليس الأغريجانتي استأنف النظر في الطبيعيات في القرن الخامس بعد أن قضى عليه بارمنيدس . لكنه استمسك ببعض مبادىء الايليين كمبدئهم القائل : لا تحوّل ولا ولادة حقيقية لأن العدم لا يأتي عنه شيء ، وجلُّ ما في الأمر أن هناك جسيمات صغيرة لكل منها صفات خاصة ثابتة لا تحول ولا تزول ، وهي مُعرّضة لما لا عداد له من التآليف » . (راجع تاريخ الفلسفة لاميل برييه I, 67) إلا أن هذه الجسيمات لا تستطيع من شيء دون فعل « الحب والكراهية » اللذين إنما يُحدثان « الكون والفساد » . بما يجمعان وما يفرّقان من العناصر (راجع ميتافيزياء أرسطاطاليس III, 11, 1000 b 6 et 20) . أما أنكزاغور فمع استمساكه بمبدأ الإيليين القائل : « لا يلد شيء عن لا شيء ؛ ومدار الأمر على جمع وتفريق بين عناصر الأشياء » ، تراه يجعل التفكّر ممثلاً إياه بطروء الحركة الدائرية الصادرة عن الـ « Nous » على الخليط الأول خليط البذور » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وسندرك فيما بعد كيف أن إفلاطون بقي مقتفياً آثار من تقدمه ، وأن فكرة أزلية العالم لم تظهر إلا من بعده ، عند تلميذه أرسطاليس . يقول مؤرخ الفلسفة الشهير زيلّر (Zeller) : « إن فكرة القدم هي على التحقيق فكرة ارسطالية »[1] . أضف الى هذا أن المعلم الأول نفسه يصرّح في كتابه [السماء والعالم] بأن « الناس جميعاً اعتقدوا إلى ما قبل عهده أن للعالم بداية »[2] ويمكننا أن نضيف أنهم طالما اعتقدوا هذا الاعتقاد بعد عهده . فالرواقيون ينفون الأزلية . وفيلون اليهودي احتفظ لنا في مطوله عن [العناية الإلهية] بأدلتهم المنقولة عن نص لثيوفراست (Théophraste) . كما أن الأبيقوريين على الرغم من قولهم بقدم الجواهر لا يترددون في الجزم بأن للعالم الذي تكوّن على سبيل الصدفة من اجتماع الآتومات مبدءاً في الزمان[3] .

من هذا نرى أن تأكيد الغزالي بأن غالبية الفلاسفة قائلون بقدم العالم ضرب من المبالغة . ولئن وسعنا أن نلتمس له العذر عن هذا القول الجزاف بأنه هو الذي كان رائجاً لدى أهل زمانه ، فليس من السهل علينا معذرته على خطأ آخر يتعلق بفيلسوف قال عنه إنه يمثل رأي أرسطاليس ، ونعني به الفارابي . وهذا ما نحاول بسطه ونحن نشير إلى الملاحظة الثانية المتعلقة بالإغفال .

(يتبع) الدكتور حكمت هاشم

---

(١) ص ٢ من Zeller, *Vorträge und Abhandlungen. Die Lehre d'Ar. v. d. Ewigkeit d. Welt.*

(٢) الصفحة ٨٤ من Aristote, *Du ciel* I, 10 p. 279 b l.12-16 (Becker) = الترجمة الفرنسية لبارتلمي سانت هيلير . ومن أجل الاطلاع على مناقشته هذا المقطع ، انظر المقالة النقدية التي أضافها Rudolph على طبعتـــه لـ Ocellus Lucanus, ch 2, sect. 2, 30 pp. 421 — 430

(٣) راجع النقل عن Censorinus, *De die natali*, 4, 9, في كتاب بودري ص ٢٥٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

حملة نابليون على مصر

(وثيقة)

أطلعني الأستاذ الشيخ المغربي رحمه الله ، قبيل وفاته ، على وثيقة خطية تاريخية كتبت في ثلاث صفحات ، من القطع الكبير ، في فراغ وجده الكاتب في نهاية الجزء الأول من « الطبقات الكبرى » للسبكي فاستأذنته في نسخها ونشرها ، فرحب بذلك وأجاز لي نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي .

كان من العادة المألوفة عند المتقدمين أن يدونوا في فراغ الكتب ، وهوامشها بعض الطرف الأدبية والحوادث الخاصة والعامة ، قديمة كانت أو معاصرة لهم . ولا يخلو أكثرها من فوائد يُعمر بعضها ما عمّر الكِتاب ، وتنتشر بمداولته بين الناس ويعتمدها الرواة . وهذه الوثيقة هي من هذا النوع دون بها المدعو : محمد ابن الشيخ عمر ابن الشيخ ياسين الجيلاني ما سمعه في الديار الشامية عن أخبار حملة نابليون الافرنسية على مصر في شهر محرم ١٢١٣ هـ الى يوم جلائهم عام ١٢١٦ هـ .

وهذه الوثيقة على إيجازها صحيحة في جملتها ، لولا مبالغة في عدد جيوش العدو المعتدي وخسائرها في النفوس ، وتتفق هذه المعلومات بخطوطها الأساسية مع ما أورده الجبرتي في تاريخه . وهذا نصها :

جعفر الحسني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم وصلاته وسلامه على خير خيرته من خلقه الكريم وعلى آله وصحبه أولي النجدة والشجاعة وأهل المروأة والبلاغة . أما بعد فيقول الفقير الى مولاه محمد ابن الشيخ عمر ابن الشيخ ياسين المتصل نسبه بالقطب الرباني ذي الكأس النوراني[١] سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلان[٢] : لما كان تاريخ سنة ألف ومأتين وثلاثة عشر عاماً من هجرة من له العز والشرف في غرة محرم الحرام وردت الأخبار الى البلاد الشامية أن طائفة الفرانسة من الكفرة المشركين جاءوا الى مصر وأخذوا الاسكندرية[٣] مع ما يليها من بلاد رشيد ودمنهور البحيرة فجاء خبرهم الى القاهرة فخرجت الى لقائهم الصناجق فالتقوا معهم على أرض امبابه وحصل بينهم قتال عظيم[٤] . ثم الكفرة الملاعين كسروا الصناجق وفرت العساكر أمامهم منهزمين فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم دخلت الكفار الى مصر والقاهرة[٥] وأظهروا العدل والأمان وكل ذلك مكر وخداع ثم استولوا على أموال الصناجق ونسائهم وصاروا يفجرون فيهم واستولوا على قلعة الجبل وصاروا يحصنونها ويهيأون أسباب المنعة .

---

(١) تعبير صوفي يعني كأس المعرفة .

(٢) كذا في الأصل وصوابها الجيلاني أو الجيلي . وهو من كبار الزهاد والمتصوفين ومؤسس الطريقة القادرية تنسب اليه عائلة الكيلاني الدمشقية والحموية . توفي في بغداد سنة ٥٦١ هـ .

(٣) جاء في تاريخ مصر للجبرتي ما نصه : « في يوم الخميس ٨ محرم سنة ١٢١٣ حضر الى الاسكندرية عشرة مراكب انكليزية ووقفت على البعد بحيث يراها أهل الثغر ، وبعد قليل حضر خمسة عشر مركباً . وفي يوم الاثنين ١٨ محرم ١٢١٣ وردت [على الاسكندرية] مراكب وعمارات للفرنسيين كثيرة » .
وجاء في دائرة المعارف الافرنسية أن الحملة الافرنسية كانت مؤلفة من (٣٠) بارجة حربية كبيرة و (٧٢) صغيرة و (٤٠٠) ناقلة و (١٠٠٠٠) بحار و (٣٣٥٠٠) من المشاة و (٢٥٠٠) فارس .

(٤) كانت هزيمة انبابه يوم الجمعة ٢٩ محرم ١٢١٣ .

(٥) يوم ٢١ تموز ١٧٩٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثم في ذلك العام وصلوا الى عريش مصر قاصدين البلاد الشامية فجاؤا الى عريش مصر . وكان حضرة السلطان سليم خان أقام ابراهيم باشا سرداراً للعسكر ثم لما لم يقدر على ذلك عزله وولى حضرة الوزير الوقور الحاج أحمد باشا الملقب بالجزار أصلحه الله ، وجعل له الجنة دار القرار آمين . فأخذ المذكور بهي[1] أسباب الجهاد ورتب عسكراً في غزة والرملة وما والاها ، ثم لما جاءت الملاعين الى العريش فرت العساكر وما نفعت فصارت الكفرة كلما قام العسكر من بلدة يلحقونهم الى أخرى الى أن حاصروا يافا[2] وأخذوها قهراً وسبوا أهلها قسراً فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم لما فرغوا من أمر يافا[2] جاءوا وحاصروا عكا[3] وبها حضرة الوزير الحاج أحمد باشا فلاقاهم بمدافع كالرعود القواصف وقنابر كالشهب المتناثرة وأبطال طالبين الآخرة ، وصابرهم على الحصار ودافعهم عن عكا[3] وما هنالك من الأقطار واستمر الحصار على عكا[3] من شهر شوال الى ذي الحجة الحرام ثم هجموا على عكا[3] بعد أن هدموا جانباً من سورها ودخل منهم جماعة الى داخلها فأعان الله عليهم المسلمين فقتلوا الذين دخلوا فلما أمسى المساء أشعلت الكفار في أرديهم[4] النار ثم أصبح المسلمون فما وجدوا من الكافرين ديار (كذا) ولا نافخ نار فجهز عند ذلك حضرة الوزير الوقور الحاج أحمد باشا من رؤوس[5] الكفا[ر] مقداراً وافياً الى أبواب السلطنة مع باش جوقداره[6] فقوبل من السلطنة بالاكرام والإنعامات الوفية ثم وجه

(١) في الأصل : بيباً .
(٢) في الأصل : يافه .
(٣) في الأصل : عكة .
(٤) كلمة تركية معناها : المسكر .
(٥) في الأصل : رواس .
(٦) جوقدار وجوخدار كلمة تركية بمعنى رسول أو ساعي البريد وباش بمعنى رئيس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

السلطان سليم خان حضرة [1] الوزير الأعظم وزير الصدارة مع العساكر والذخاير الى قطع دابر هؤلاء الكفار فبرز [الى] اسكدار [2] وجاءتنا الى حماة الأخبار بأنه قريب من قونية ثم جاءت الأخبار بأن الكفار الملاعين مقيمين (كذا) إلى حال تاريخه وهو ختام المحرم سنة ألف ومايتين وأربعة عشر عام في عريش مصر وهم يعمرون لهم حصناً لأجل أن يلاقوا عساكر المسلمين فنرجو من الله المعين أن يؤيد هذا الدين ويقطع عنا دابر المشركين وصار الخاج أحمد باشا الجزار يحصن عكا [3] وبنى لها سوراً خارج سورها الأول وأخبر من رآه بأنه سور عظيم وأدخل من داخله مقام نبي الله صالح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام . ثم لما استهل هلال ربيع الأول من سنة ألف ومائتين وأربعة عشر وصل الى حماة أردي همايون [4] صحبة الوزير الوقور ضياء الدين يوسف باشا [5] صدر أعظم ومكث في حماة عشرة أيام وصحبته العساكر الجرارة والذخاير وأرسل في البحر عساكر آخرين مع المدافع وآلات الحروب شيء (كذا) كثير وصحب معه ومع انكجر اغاصي [6] مدافعاً أخر ولكنها قليلة لأجل الاشتهار وإلا فأكثر المدافع والجبخانات [7] سارت في البحر نسأله تعالى النصر لنا ولهم على الكفار آمين . ثم سار الى الشام ثم الى غزة وأرسل الى حصار العريش [8] عساكر الموحدين فأخذوها [9] وقتلوا من هنالك من الكفرة الملاعين وسار بعد ذلك الى الصالحية

---

(١) في الأصل : حضرت .
(٢) أقدم أحياء اسلامبول وأوسعها يقع على شاطىء البوسفور الآسيوي .
(٣) في الأصل : عكة .
(٤) كلمتان تركيتان تعني : جيش السلطاني .
(٥) ترجم له في قاموس الأعلام لشمس الدين سامي ٦ : ٤٨١٧ .
(٦) أي رئيس الأنكشارية .
(٧) لفظة تركية تفيد : الذخائر الحربية .
(٨) بلدة معروفة في أول صحراء سيناء .
(٩) يوم ٢٥ حزيران ١٨٠١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ودخلت المسلمين (كذا) الى القاهرة صلحاً مع الكفار لا بضرب بالصارم البتار ثم بعد ذلك نقضت الكفار الصلح وخرجوا لقتال الوزير وقاتلوه فهرب ولم يقم قدامهم ولا ساعة وولى الأدبار وتبعوه يضربون بالمدافع ثم لما ولى الوزير منهزماً رجعوا وحاصروا من هنالك من المسلمين وعساكر الموحدين وكان في مصر ناصوح (كذا) باشا العظم الحموي المولد والمنشأ فاقتتلوا وظنوا أن الوزير يرسل اليهم عساكر ليقويهم على الكفار فلم يرسل لهم أحد (كذا) . ثم لما طال على المسلمين الحصار أخرجتهم الكفار تحت الأمان ودفعوا الى ناصوح باشا بعض الجمال والذخيرة فرجع الى عند الوزير الى يافا[1] ثم جرت هناك أحوال يطول شرحها ثم بعد نحواً (كذا) من سنة جهز الوزير عساكر أخر مع المراكب وسار الى مصر ثم دخلها أيضاً بغير قتال لكون الكفرة الملاعين ذهب أكثرهم شيئاً في القتال وشيئاً في الطاعون وعلى القول أنهم خرجوا من بلادهم مائتا الف مقاتل[2] وحين أخرجوا من مصر بقي منهم نحو من عشرين ألف فأرسلهم مع الانكليز ....[3] ومكث يرتب أمور البلاد المصرية والى الآن ما جاءنا خبر يكتب . ثم ورد بعد أن رتب أمور مصر الوزير صدر أعظم ضيا يوسف باشا راجعاً على العريش الى الشام الى حماه واستقام بها قريباً من عشرة أيام وكان نصب أوطاقه[4] في المصطبة وتوجه منها الى حلب على الطريق السلطاني ثم الى اسلامبول والله أعلم . » انتهى

---

(١) في الأصل : يافه .
(٢) هنا مبالغة في التقدير راجع حاشيتنا رقم (٣) ص : ٣٠٤ .
(٣) شطب ثلاث كلمات لم نتبينها .
(٤) كلمة تركيه بمعنى خيمة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الترمذي صاحب الجامع في السنن

ترجمته :

هو الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك ، وقيل ابن السكن السُلمي البُوغي الترمذي الضرير ، أحد حفاظ الأُمّة الأعلام وأئمة الإسلام ، السُلمي (بالضم) نسبة الى بني سُليم (مُصغّراً) قبيلة من غيلان . والبُوغي (نسبة الى بوغ) قرية من قرى ترمذ . والترمذي نسبة الى ترمذ مدينة قديمة من بلاد ما وراء النهر - على طرف هذا النهر وهو نهر بلخ - ويقال له جيحون . واليها ينسب الحافظ أبو الحسن أحمد الترمذي من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل المتوفى قبل أبي عيسى الترمذي . وكذا الحافظ أبو عبد الله محمد بن علي المشهور بالحكيم الترمذي صاحب « نوادر الأصول » المتوفى بعده . وكذا الفقيه أبو جعفر بن محمد بن احمد الترمذي المتوفى بعده سنة ٢٩٥ هـ .

ولد الإمام في ذي الحجة سنة تسع ومائتين (٢٠٩ هـ) وتوفي في ١٣ رجب سنة ٢٧٩ هـ ، وعمره سبعون سنة إلا أشهراً ، وجدّه سَورة بفتح السين المهملة أصله من « مرو » ، وانتقل أبّام الليث بن سيّار الى ترمذ فاستوطنها . والإمام أبو عيسى أصبح ضريراً في آخر عمره لكثرة بكائه فبقي ضريراً عدة سنين في آخر حياته . وقيل وُلد أكمه وهو غير صحيح على التحقيق .

شيوخه :

للإمام الترمذي رحلات واسعة ، طاف بلاداً وسمع خلقاً من الخراسانيين والعراقيين والحجازيين . وقدماء شيوخه من الخراسانيين والحجازيين ليس فيهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عراقي ، فسمع قتيبة بن سعيد الثقفي المتوفى سنة ٢٤٠ هـ وأبا مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري المدني المتوفى سنة ٢٤٢ هـ وابراهيم بن عبد الله بن حاتم الهروي المتوفى سنة ٢٤٤ هـ واسمعيل بن موسى الفزاري السدّي المتوفى سنة ٢٤٥ هـ وسويد بن نصر بن سويد المروزي المتوفى سنة ٢٤٠ هـ وعلي بن حجر المروزي المتوفى سنة ٢٤٤ هـ ومحمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب المتوفى سنة ٢٤٤ هـ وعبد الله بن معاوية الجمحيّ المعمر المتوفى سنة ٢٤٣ هـ وطبقتهم .

وقد شارك البخاري منهم في قتيبة بن سعيد وعلي بن حجر . وشارك البخاري ومسلماً وأبا داود أيضاً في الرواية عن محمد بن بشار الملقب بالبُندار ومحمد بن المثنى وزياد بن يحيى الحساني وعباس بن عبد العظيم العنبري وأبي سعيد بن الأشج عبد الله بن سعيد الكندي وأبي حفص عمرو بن علي الفلاس ، ويعقوب بن ابراهيم الدورقي ومحمد بن معمر القيسي ونصر بن علي الجهضمي .

وتفقه بالبخاري في الحديث ، فالبخاري شيخه في فقه الحديث ، وسمع من الإمام أبي داود أيضاً . والإمام الترمذي لعله لم يدخل بغداد ، لأن الخطيب لم يترجم له في تاريخه الكبير ، ولم يثبت روايته عن الإمام أحمد فلعله لم يلاقه وإنما يروي عن طبقة أحمد .

أصحابه وتلاميذه :

حدّث عنه مكحول بن الفضل ومحمود بن نمير وابنه محمد بن محمود وحماد ابن شاكر وعبد بن محمد النسفيون ، والهيثم بن كليب الشاشي واحمد بن علي ابن حسنويه وأبو حامد أحمد بن عبد الله المروزي التاجر وأحمد بن يوسف النسفي وأبو الحارث أسد بن حمدويه وداود بن نصر البزدوي ومحمد بن مكي ابن فوج ومحمد بن سفيان بن النضر ومحمد بن المنذر بن سعيد الهروي وأبو العباس محمد أحمد بن محبوب المحبوبي المروزي راوي كتاب الجامع عنه محدث مرو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وشيخها ورئيسها . وسمع منه البخاري حديثين وهما في جامعه : الأول حديث أبي سعيد الخدري في الطهارة ، والثاني حديث ابن عباس في تفسير سورة الحشر وقال بعد كل منهما : سمع مني محمد بن اسماعيل هذا الحديث . ولا ريب أن سماع مثل البخاري منه وهو أمير المؤمنين في الحديث مفخرة عظيمة له .

ثناء الأئمة عليه :

قال ابن حبان بعد ما ذكره في الثقات : كان ممن جمع وصنف وحفظ . وقال الحاكم أبو أحمد : سمعت عمران بن علان يقول : مات محمد بن اسماعيل البخاري ولم يخلف بخراسان مثل أبي عيسى في العلم والورع ، بكى حتى عمي اه وقال نصر بن محمد الشيركوهي : يقول سمعت محمد بن عيسى الترمذي يقول قال لي محمد بن اسمعيل (البخاري) : ما انتفعت بك أكثر مما انتفعت بي . وهذا من مثل البخاري شهادة في غاية المنزلة في الثناء على صاحبه وتلميذه وربما تكون هذه من توقد ذكائه ، فان التلميذ الذكي ربما ينتفع به الشيخ كثيراً .

وقال الذهبي في الميزان : الحافظ العلم أبو عيسى الترمذي صاحب الجامع ثقة مجمع عليه ، ولا التفات الى قول أبي محمد بن حزم في الفرائض من كتاب الايصال : إنه مجهول ، فانه ما عرف ولا درى بوجود الجامع ولا العلل . وقال الذهبي في سير النبلاء (مخطوط) : وما ذكر ابن حزم سنن ابن ماجه ، ولا جامع أبي عيسى فانه ما رآهما ولا أدخلا الى الاندلس إلا بعد موته اه . وقال ابن الاثير في تاريخه : كان إماماً حافظاً له تصانيف حسنة ، منها الجامع الكبير وهو أحسن الكتب اه . وقال السمعاني في الأنساب : إمام عصره بلا مدافعة صاحب التصانيف ... أحد الائمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث . وقال الحافظ أبو الحجاج المزي في التهذيب : أحد الأئمة الحفاظ المبرزين ، ومن نفع الله به

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المسلمين اهـ، وقال ابن كثير في تاريخه : وهو أحد أئمة هذا الشأن في زمانه ، وقال : وجهالة ابن حزم لأبي عيسى الترمذي لا تضره حيث قال في محلاه : ومن محمد بن عيسى بن سورة ؟ فان جهالته لا تضع من قدره عند أهل العلم ، بل وضعت منزلة ابن حزم عند الحفاظ ، وقال أبو يعلى الخليلي القزويني في علوم الحديث : ... وهو مشهور بالأمانة والإمامة والعلم .

حفظه :

قال ابن العماد في الشذرات (٢ : ١٧٤) : وكان مبرزاً على الأقران آية في الحفظ والاتقان اهـ . قال أبو الفضل المقدسي في شروط الأئمة (ص ١٧) نقلاً عن أبي سعد الادريسي : كان يضرب به المثل في الحفظ اهـ . وذكر المقدسي في الشروط والذهبي في طبقاته والحافظ ابن حجر في التهذيب باختلاف في بعض الألفاظ : عن أبي عيسى الترمذي ، يقول : كنت في طريق مكة وكنت قد كتبت جزأين من أحاديث شيخ ، فمر بنا ذلك الشيخ فسألت عنه فقالوا فلان ، فذهبت اليه وأنا أظن الجزأين معي ، وإنما حملت معي في محملي جزأين غيرهما ، فلما ظفرت سألته السماع فأجاب ، وأخذ يقرأ من حفظه . ثم لمح فرأى البياض في يدي فقال : أما تستحي مني ؟ فقصصت عليه القصة وقلت له : إني أحفظه كله فقال اقرأ فقرأته على الولاء ، فقال هل استظهرت قبل أن تجيء إليّ قلت لا ، ثم قلت : حدثني بغيره ، فقرأ عليّ أربعين حديثاً من غرائب حديثه ثم قال هات فقرأت عليه من أوله إلى آخره كما قرأ ما أخطأت في حرف ، فقال لي : ما رأيت مثلك اهـ .

تآليفه وخصائص كتابه جامع الترمذي في السنن :

وصفوه بأنه صاحب التصانيف الحسنة ، ووصفه بعضهم بأن له تصانيف كثيرة في علم الحديث ؛ ولكن التي ذكروها بأسمائها : الجامع في السنن ، والشمائل ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والعلل الصغرى ، وهذه الثلاثة شاعت وذاعت في مشارق الأرض ومغاربها ، وله كتاب العلل الكبرى و كتاب الزهد و كتاب التفسير و كتاب التاريخ و كتاب الأسماء والكنى .

كتابه الجامع في السنن أحد الأمهات الست التي عليها مدار الإسلام :

قال ابن كثير في تاريخه : وروى ابن نقطة في تقييده عن الترمذي أنه قال : صنفت هذا المسند الصحيح وعرضته على علماء الحجاز فرضوا به ، وعرضته على علماء العراق فرضوا به ، وعرضته على علماء خراسان فرضوا به ، ومن كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي ينطق وفي رواية يتكلم اه وحكاه الذهبي وابن حجر أيضاً مختصراً .

ونقل ابن كثير والمقدمي عن أبي اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري : كتاب الترمذي عندي أنفع من كتاب البخاري ومسلم ، لأن كتابي البخاري ومسلم لا يقف على الفائدة منهما إلا المتبحر ومن هو من أهل المعرفة التامة بهذا الفن ، و كتاب أبي عيسى الترمذي قد شرح أحاديثه وبيّنها فيصل اليها كل أحد من الناس والفقهاء والمحدثين وغيرهم . وقال ابن الأثير المحدث الحافظ : في سنن الترمذي ما ليس في غيرها من ذكر المذاهب ووجوه الاستدلال وتبيين أنواع الحديث من الصحيح والحسن والغريب اه . ويقول صاحب مفتاح السعادة : وهذا كتابه الصحيح أحسن الكتب وأكثرها فائدة وأحسنها ترتيباً وأقلها تكراراً ، وفيه ما ليس في غيره من ذكر المذاهب ووجوه الاستدلال وتبيين أنواع الحديث من الصحيح والحسن والغريب وفيه جرح وتعديل ، وفي آخره كتاب العلل وقد جمع فيه فوائد حسنة لا يخفى قدرها على من وقف عليها . ويقول المقدمي في الشروط : وأما أبو عيسى فكتابه وحده على أربعة أقسام : قسم صحيح مقطوع به وهو ما وافق فيه البخاري ومسلماً ، وقسم على شرط الثلاثة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

دونهما كما بيّنا ، وقسم أخرجه للضدّية وأبان عن علته ولم يُغفله ، وقسم رابع أبان هو عنه فقال : ما أخرجت في كتابي إلا حديثاً قد عمل به بعض الفقهاء الخ .

ويقول الإمام القاضي أبو بكر بن العربي في عارضة الاحوذي في صدد ثنائه على كتاب الترمذي : وليس فيهم ـ أي أصحاب الصحاح ـ مثل كتاب أبي عيسى حلاوة مقطع ، ونفاسة منزع ، وعذوبة مشرع ، وفيه أربعة عشر علما ... وذلك أقرب الى العمل : أسند وصحّح وضعّف وعدّد الطرق وجرّح وعدّل وأسمى وأكنى ، ووصل وقطع وأوضح المعمول به والمتروك ، وبيّن اختلاف العلماء في الرد والقبول ، وذكر اختلافهم في تأويله ، وكل علم من هذه العلوم أصل في بابه ، وفرد في نصابه ، فالقارئ له لا يزال في رياض مونقة ، وعلوم متدفقة متسقة ، وهذا شيء لا يعمله إلا العلم الغزير والتوفيق الكثير والفراغ والتدبير اه . وقال أبو جعفر بن الزبير : وللترمذي في فنون الصناعة الحديثية ما لم يشاركه غيره . حكاه صاحب التدريب . قالوا وجملة ما في الجامع مائة وأحد وخمسون كتاباً .

يقول الراقم : كلام القاضي أبي بكر وغيره وما ذكره السيوطي في قوت المغتذي عن ابن رُشيد وعن الحافظ ابن سيد الناس اليعمري في خصائص كتابه يحتاج الى ايضاح ، فدونك بيانه مع زيادات وتوضيحات :

لا ريب أن كل كتاب من هذه الأمهات في الحديث له مزايا لا تلفى في غيره ، فمن تلك الجهات تقع المزية . ولا تكاد توجد مزية مطلقة لكل كتاب من كل جهة . فكل من أرباب الصحاح أراد إبداعاً في كتابه وأداه ناجحاً موفقاً في مغزاه ، ويحتاج ذلك الإجمال الى تأليف مفرد في الموضوع لكي تُفصل أرجاؤه القاصية ، وإنما أريد في هذه الفرصة السانحة القصيرة ذكر خصائص الترمذي في كتابه الجامع لتلك المزايا المشار اليها في كلمات الأعلام بنوع ايضاح وبسط تكون كالقواعد الكلية في مزاياه :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأول : أنه جمع في كتابه أنواعاً من السنن النبوية وهي تؤول الى ثمانية : (١) العقائد وأصول الديانة . (٢) الأحكام الشرعية من العبادات والمعاملات وحقوق الناس . (٣) تفسير القرآن الكريم بما ثبت عنده من الروايات . (٤) الآداب والأخلاق . (٥) السيرة النبوية وشمائلها . (٦) مناقب أصحاب رسول الله ﷺ حَمَلة هذا الدين المتين . (٧) أبواب التذكير والموعظة من الترغيب والترهيب وهي التي تسمى بالرقاق وبها سماها الإمام البخاري في صحيحه ، وفيها عند الترمذي كتاب الزهد في هذا الجامع ليس له عندي نظير في هذه الكتب الستة . (٨) أشراط الساعة وآياتها ، فكتابه أجمع كتاب من بين الأمهات الست في هذه الأنواع ، وإن كان للبخاري مزية لا تلحق في أبواب المغازي . فالإمام البخاري وإن شاركه في جميع هذه الأقسام في صحيحه بَيْد أن تشدده في شروط الصحة في صحيحه والتزامه ما لا يلزم في كتابه هذا حال دون توسعه في جمع الروايات وسرد كل ما له صلة بالموضوع وتخريج شتى الأخبار ، فبذلك ضاق عليه نطاق موضوعه الواسع . فانظر كتاب الزهد وكتاب الدعوات وكتاب التفسير مثلاً من كتاب جامع الترمذي وقايسها بالرقاق والدعوات والتفسير من صحيح البخاري تجد برهان ذلك بما يشفي صدرك .

نعم توسعه في الأبواب والترجمة في كل باب واستثارة مسائل دقيقة فقهية وأصولية وكلامية من طوايا الأحاديث وثنايا الروايات مما يقضي للبخاري ببراعة مُدهشة وتنبّه عجيب ومقدرة فائقة .

الثاني : انه حكم على الأحاديث بالصحة والحسن والغرابة والضعف ، وهذا في غاية النفع للقارئ ، وفي غاية الأهمية للباحث . هب أنه تساهل في الحكم غير أنه رأيُ إمام حافظ ثقة متفق على جلالته وإمامته . على أن تصحيحه فوق تصحيح الحاكم أبي عبد الله في المستدرك كما حقق بعض المحدثين ، وان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تحسين الترمذي بمدل تصحيح الحاكم ، فلما لم يلتزم شرطاً خاصاً في التخريج تدارك هذا الوهن ببيان درجة الحديث من الصحة والحسن وما الى ذلك .

الثالث : انه تصدى لبيان مذاهب الأئمة وتعامل الأمة ، وبيان هذا الاختلاف في هذا الكتاب يكاد يغني عن الكتب المؤلفة الخاصة في الخلاف ، ككتب أبي جعفر محمد بن جرير الطبري وأبي جعفر الطحاوي ومحمد بن نصر المروزي ومحمد بن المنذر أبي بكر ومحمد بن خزيمة وأبي زكريا الساجي والكياهراسي وغيرهم مما لم نقرأ لها غير الأسماء المجردة في كتب الطبقات . فرواية الحديث ثم تعقيبه ببيان المذاهب الفقهية في غاية الحسن والجمال ، وبه يُعلم حال تلقي الأمة وأساطين الدين لتلك الروايات الحديثة ، وهذا الذي يقوله القاضي أبو بكر ، وبه يتضح ما قاله الامام القاضي أبو زيد الدبوسي من كبار أئمة الحنفية في كتاب الأسرار : ومسألة اختلف فيها كبار الصحابة رضي الله عنهم يجوز فقيها ويصعب الخروج عنها اه . كما حكاه الشيخ عبد العزيز البخاري في كشف الأسرار .

فالترمذي رحمه الله بكتابه هذا يكاد يغني في وقت واحد عن الكتب المؤلفة في الاحكام ، وعن الكتب الخاصة في الخلاف ، وهذه الميزة لكتابه لم يساهمه فيها أحد . والوقوف على مذاهب الصحابة والتابعين علم عزيز نادر . وكذلك العثور على المذاهب المهجورة كمذاهب الأوزاعي امام أهل الشام وسفيان الثوري من أئمة العراق واسحاق بن ابراهيم المروزي من أئمة خراسان قلما يقف عليها أحد إلا بواسطة الإمام الترمذي وكتابه الوحيد .

الرابع : انه جعل مذاهب فقهاء الأمة قسمين ، وخص كل قسم بباب مفرد ويأتي بالحديث المحتج به للمسألة . وهكذا جعل الأحاديث المتعارضة في باب الأحكام في بابين ، وشيخنا رحمه الله سمى القسم الأول بالحجازيين مريداً به مالكاً والشافعي ، والثاني بالعراقيين تنقيحاً للخلاف ، لكون الشافعي غالباً في الأول ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأبي حنيفة في الثاني . وليس المراد بالثاني أبا حنيفة وأحمد خاصة فموافقات احمد للشافعي ربما تكون أكثر ، كما أن موافقات مالك لأبي حنيفة ربما تكون أكثر ، وربما تجتمع مذاهب الأربعة في الثاني كما في باب ترك الوضوء مما غيّرت النار . والامام الترمذي ربما يؤيد أحد القسمين ويرجح تفقهاً أو تحديثاً أو تعاملاً أو يجمع بينهما وكتابه طافح بأمثلته .

الخامس : أنه يذكر أسماء من ذكر في الاسناد بالكنى وتارة عكس ذلك ، والتزم ذلك خصوصاً فيما كان فيه غموض وخفاء ، وهذا علم مفرد من علوم الاسناد أفردوه بالتأليفات قديماً ، وفيه مؤلفات للبخاري ومسلم والترمذي وأبي بشر الدولابي وغيرهم من جهابذة المحدثين ، وكتاب الدولابي كتاب جليل مطبوع في جزئين في دائرة المعارف بالهند من أنفع ما كتب في هذا الموضوع .

السادس : انه زاد باب الجرح والتعديل بعد تخريج الروايات . والإمام الترمذي لما لم يلتزم شرطاً خاصاً في كتابه في إخراج الإحاديث مثل ما التزمه الشيخان البخاري ومسلم ثم النسائي وأبو داود ، بل توسع ما لم يتوسع البقية ، كافأ ذلك ببيان درجة الحديث من الصحة والضعف ، ثم بالكلام من جهة صنعة المحدثين في الرجال . وهذا الباب من أهم ما يحتاج اليه الباحث . وللأئمة البخاري ومسلم وغيرهما الى عهد الحافظ الذهبي وابن حجر والسيوطي كتب كثيرة في الثقات والضعفاء والمدلسين والمجاهيل على أصناف .

السابع : انه ربما يأتي في الأبواب بعد رواية الأحاديث بأبحاث حديثية وفوائد اسنادية في غاية الجودة لا تجدها عند غيره ، من أبحاث الوصل والارسال والوقف والرفع وكون الراوي عنه ﷺ صحابياً أو تابعياً وما الى ذلك من علوم علل الحديث . وله فيها آراء متينة ، وربما تصادم آراء بعض مشائخه كالبخاري وغيره ويرجحها بحجة ناهضة كما أنه ربما يتابع آراءه في بعض

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المشكلات ، وهذا يكفي ما عند غيره من الاعتبارات والشهادات من علوم المحدثين وآدابهم في مصنفاتهم .

الثامن : انه يكتفي غالباً في غالب الأبواب بحديث واحد بطريق واحدة من غير أن يسرد بقية الطرق للحديث أو بقية الروايات في الباب ، خصوصاً في أحاديث الأحكام ، فقلت مادة أحاديث الأحكام في كتابه . بيدَ أنه يتداركه بالإشارة الى أسماء من روى من الصحابة حديثاً في ذلك الموضوع أو ما يلائم ذلك المتن . فيعلم بذلك عدد الرواة من الصحابة لذلك الحديث أو لذلك الموضوع . وهذه مزيّة لها موقعها من الأهمية البالغة في نظر جهابذة النقد والبحث من المحدثين . وهذه ميزة بديعة لكتابه ترتاح لها الأذواق القديمة والأفكار الحديثة جميعاً في وقت واحد . فيقول : وفي الباب عن فلان وفلان . ويستوعب ذلك استيعاباً بالغاً مدهشاً ، ربما يحتاج الباحث في تخريجها الى تصفح مجلدات كبيرة وآلاف من الأوراق وربما يخيب الباحث في الظفر به .

وللحافظ العسقلاني تأليف مستقل في تخريج ما في الباب ، سماه اللباب ، كما حكاه السيوطي في شرح الترمذي قال : ولم أقف عليه . يقول الراقم : وبالأسف اني لم أقف أيضاً عليه مع طول البحث عنه في مكاتب الحرمين والقاهرة وخزائن الآستانة المتدفقة الفياضة . وقد سبق الحافظ العسقلاني شيخه العراقي الى تخريج ما في الباب كما يذكره العراقي في نكته عن ابن الصلاح ، فلعل العسقلاني اقتفى اثر شيخه العراقي في ذلك فلخصه أو استدرك عليه . وبالأسف لم أقف عليه أيضاً . والرجاء من الناظر الكريم الإطلاعُ إذا وقف عليها أو على أحدهما في مكتبة من المكاتب الإسلامية وإن كانت شخصية .

وقد التزم الحافظ ابن سيد الناس اليعمري ثم العراقي في شرحيهما تخريج ما في الباب ، وقد شرعت ـ والحمد لله ـ في تخريجه بكتاب أفردته وراعيت فيه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أموراً مهمة ألفت منها قطعة ، ولو نجز عملي على المنهاج الذي افتتحته أرجو أن يكون له قيمته العلمية عند أرباب الفضل والنُبل .

التاسع : أنه ربما يأتي بتأويل وتفسير للأحاديث المشكلة من عند نفسه أو من كلام غيره من أئمة هذا الشأن ، مثاله : أخرج حديث أبي هريرة في فضل الصدقة من كتاب الزكوة مرفوعاً : ان الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه الخ ، ثم قال : وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات في الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا ، قالوا : قد تثبت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يتوهم ولا يقال كيف . هكذا روي عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك انهم قالوا في هذه الأحاديث : أمِرُّوها بلا كيف ، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة ، الى آخر ما قال رحمه الله .

العاشر : أنه يأتي في الأبواب بالأحاديث الغريبة ويترك الأحاديث الصحاح السائرة بين الناس ، ثم يشير اليها بما في الباب وليس ذلك بعيب .

قال المحقق الكوثري في تعليقاته على شروط الأئمة للحازمي : فانه رحمه الله يبين ما فيه من العلل ، ثم يبين الصحيح في الاسناد ، وكان قصده رحمه الله ذكر العلل ، ولهذا تجد النسائي اذا استوعب طرف الحديث بدأ بما هو غلط ثم يذكر بعد ذلك الصواب المخالف له اه . قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في شرح علل الترمذي : اعلم أن الترمذي خرّج في كتابه الحديث الصحيح والحديث الحسن وهو ما نزل عن درجة الصحيح وكان فيه بعض ضعف والحديث الغريب والغرائب التي خرج فيها بعض المناكير ولا سيما في كتاب الفضائل ، ولكنه يبين ذلك غالباً ولا يسكت عنه ولا أعلم أنه خرّج عن متّهم بالكذب متفق على اتهامه حديثاً باسناد مفرد ، إلا أنه قد يخرج حديثاً مرويا من طرق أو مختلفاً في إسناده وفي بعض طرقه متهم . نعم قد يخرج عن مئ الحفظ وعمن غلب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

على حديثه الوهم ويبين ذلك غالباً ولا يسكت عنه . وقد شاركه أبو داود في التخريج عن كثير من هذه الطبقة مع السكوت على حديثهم كاسحاق بن أبي فروة وغيره ، إلى أن قال : والترمذي يخرج حديث الثقة الضابط ومن يهم كثيراً ومن يغلب عليه الوهم يخرج حديثه قليلاً . ويبين ذلك ولا يسكت عنه .

وقال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي في شروط الأئمة الستة : وكان من طريقته رحمه الله ـ أي الترمذي ـ أن يترجم الباب الذي فيه حديث مشهور عن صحابي قد صح الطريق اليه ، وأخرج من حديثه في الكتب الصحاح ، فيورد في الباب ذلك الحكم من حديث صحابي آخر لم يخرجوه من حديثه ولا يكون الطريق اليه كالطريق الأول وان كان الحكم صحيحاً ، ثم يتبعه بأن يقول : وفي الباب عن فلان وفلان ويعد جماعة فيهم ذلك الصحابي المشهور وأكثر وقلما يسلك هذه الطريقة إلا في أبواب معدودة والله أعلم اهـ .

وقال أبو بكر الحازمي في شروطه .... : لأن الحديث إذا كان ضعيفاً أو مطلعه من حديث أهل الطبقة الرابعة فانه يبين ضعفه وينبه عليه فيصير الحديث عنده من باب الشواهد والمتابعات ويكون اعتماده على ما صح عند الجماعة اهـ .

يقول الراقم : هذا ما تيسر من القول في بيان خصائص هذا الكتاب الجامع من فقه المذاهب ، وعلل الحديث ، وأسماء الرجال والجرح والتعديل ، ومهمات أصول الحديث ، ومسائل المصطلح ، والتنبيه على مراتب الأحاديث ، والإشارات الى وجود الروايات من الصحابة في ذلك الموضوع ، وذكر توجيهات الأحاديث المشكلة ، وتوسع في تراجم الأبواب ، وتلخيص جيد بالاكتفاء على رواية واحدة لكي يتسنى الضبط لمن أراد وغير هذه المزايا التي لا تراها مجموعة عند غيره من أصحاب الأمهات .

تنبيه : لم يذكر أبو عيسى الترمذي في كتابه صراحة مذهب أبي حنيفة ولا سماه باسمه ، وإنما يذكر مذهب أهل الكوفة ، وكثيراً ما يكون معهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أبو حنيفة ، وذلك لأمرين : الأول أنه لم يصل اليه مذهب أبي حنيفة خاصة بالاسناد الموثوق كما وصل اليه مذهب الشافعي القديم من رواية أبي الحسن الزعفراني ، قاله إمام العصر شيخنا الكشميري . والثاني : انه ربما يكون ذلك لما حدث في قلبه من التغير لتأثره بشيخه البخاري في فقه الحديث فلم يستعد قلبه لأن يستلذ باسم أبي حنيفة في كل باب . ولا ريب أن شيخه البخاري كان متأثراً من شيخه اسحاق بن راهويه إمام خراسان ، وكان في طبيعته شيء من الانحراف عن الإمام أبي حنيفة من جهة شيخه عبد الرحمن بن مهدي لأجل ما كان بين شيخه سفيان الثوري وبين أبي حنيفة لأجل المعاصرة التي لم ينج منها أحد إلا الأنبياء الكرام .

مذهبه الفقهي :

من الحقائق الملموسة أن أصحاب هذه الأمهات الست جاء عهدهم وقد انحاز المسلمون في البلاد الى مذاهب الأئمة المتبوعين ، وكلٌ تأثر من بيئته التي نشأ فيها ومن شيوخه الذين تخرّج عليهم ، واذا وافق ذوقَ شيخه ذوقُه انصبغ في آرائه وأفكاره انصباغاً كاملاً . فمن الطبيعي إذا هو تصدى الى تأليف له صلة بتلك الأمور أن تتجلى فيه آراؤه بأجلى مظاهرها ، لأنه أصبح فقيهاً أو متفقهاً قبل أن يصير محدثاً ، وأصبح عاملاً على مسلك قبل أن يصير عالماً به علماً ضافياً . والمرء مهما ارتقى لا تزال آثار بيئته فيه بادية إلا ما شاء الله ، فلا يمكن أن يتجرد من تلك الآثار تجرداً كاملاً . ثم هناك ظروف خاصة وأذواق طبيعية متفاوتة ، فاذا وقع نفور من إمام من الأئمة نشأ في قلبه حجاب من إدراك ذوقه الخاص والإحاطة بمغزاه ، ومقتضيات الطبيعة البشرية لا يخلو عنها بشر ، فالإمام البخاري رحمه الله مهما ارتقى في كمالاته الى الذروة العلياء فتأثره من شيوخه وطبقته غير بعيد . فلا بد إذا هو ألف كتاباً أن يؤلف تأييداً لما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

هو الصواب عنده وعلى الأقل ما هو أحق وأولى . وعلى هذا بقية المحدثين الكرام أرباب الصحاح والسنن .

نعم اذا كان البخاري مثلاً اختار حديثاً خاصاً من بين الأحاديث التي يؤيد كلها تلك المسألة وترك البقية فذلك يدل على أن ذلك الحديث أقوى عنده من البقية . وبالجملة لا بد أن يكون هناك وجه لاختياره من بين تلك الروايات ، ولا يكون رأيه هذا حجة على الآخرين ، ولكل وجهة هو موليها . واذا تقرر هذا نقول : هؤلاء المحدثون الثقات والبارعون الأثبات أمامهم التنزيل العزيز لا تخفى عليهم مدلولاته العامة الواضحة وبين أيديهم أحاديث الرسول عليه صلوات الله وسلامه وعندهم آثار أصحابه البررة الكرام وعند أكثرهم فطنة وذكاء فلا يحتاجون الى تقليد الأئمة المتبوعين تقليد عامة التابعين وإنما يلجأون الى تقليدهم أو اتباعهم في فروع دقيقة ومسائل غامضة غير منصوصة في الكتاب والسنة ، ففي مثلها يتبعون مسلك إمام من الأئمة يوافق ذوقه ببصيرة نافذة على حسب مداركهم وتتفاوت مراتبهم في الرد والقبول فبعضهم فوق بعض ، فلا ريب أن البخاري وأبا داود السجستاني لهما منزلة في الفقه وقدم في الاجتهاد ليست لغيرهما من مسلم والترمذي ، ثم للترمذي ما ليس للنسائي وابن ماجه ، فكهذا تتفاوت منازلهم في الاتباع ولا ريب أن مدارك الأئمة المجتهدين المتبوعين فوق ما يدركه عامة المحدثين فكلام ابن أبي ذؤيب في مالك وكلام ابن معين في الشافعي وكلام الكرابيسي في أحمد وكلام طائفة من المحدثين غير الفقهاء في أبي حنيفة ، إنما كان أكثر ذلك من جهة عدم تقديرهم لمنازلهم ، وقصور مداركهم عن معرفة مداركهم ، أو اختلاف أذواقهم ، ووظيفة المجتهد لا يستقل بادراكها إلا مجتهد مثله . وقول الأعمش سليمان بن مهران الكاهلي الكوفي لأبي يوسف الإمام في مسألة استعجمت على الأعمش ، وجواب أبي يوسف عنها بحديث يرويه عن الأعمش ، وكذا عند جواب أبي حنيفة عن معضلة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أخرى بحديث يرويه عن الأعمش ، بعد ما سكت عنها الأعمش ، مذكور في جامع بيان العلم للحافظ أبي عمر بن عبد البر القرطبي : يا معشر الفقهاء أنتم الأطباء ونحن الصيادلة اهـ . وفي سنن الدارقطني (٢ — ٥٤٥) باسناده عن عبد الواحد بن زياد قال : قلت لأبي حنيفة : من أين أخذت هذا الرجل يعمل في مال الرجل بغير إذنه انه يتصدق بالربح ؟ قال : أخذته من حديث عاصم بن كليب ، وما الى ذلك من مئات الوقائع تشير الى دقة مدارك الاجتهاد وبُعد مدارك المجتهدين ، وإلى أنه قد بدا لهم ما خفي على كثير من المحدثين ، ومنشأ سوء ظن الكثيرين عدم وقوفهم على أدلة المجتهدين ، فانه لم ينقل عن المجتهدين الأدلة ووجوه الاستنباط عن النصوص مثل نقل المسائل عنهم ، واليه يشير كلام الحافظ ابن تيمية في دفع الملام عن الأئمة الأعلام . فكل من قال ان البخاري مذهبه الفقهي كذا ، ومذهب أبي داود كذا ، فكل ذلك من هذا القبيل ، فهؤلاء مع علمهم الواسع في الروايات لم يستغنوا عن اتباع هؤلاء الجهابذة من المجتهدين . فاذا كان مثل أبي يوسف ، وليث بن سعد ، ووكيع ، ويحيى بن سعيد بن القطان ، ويحيى بن معين وأمثالهم ، لم يستغنوا عن مثل أبي حنيفة ، فما ظنكم بهؤلاء أرباب الأصول الستة كيف يستغنون عن اتباع الأئمة المجتهدين ، نعم ذلك في نوازل غامضة ومسائل عقيمة ، لا يهتدي إلى مثلها إلا مثل أبي حنيفة والشافعي .

فلو كان مثل البخاري مع علو كعبه يتبع آراء شيخه اسحاق بن راهويه ، أو الحميدي ، أو الكرابيسي ، وأبي ثور والزعفراني ، أو يوافق الشافعي في مسائل ، فمثل أبي عيسى الترمذي لا بد أن يتبع مذهباً من مذاهب هؤلاء الأئمة وشذوذهم في مسائل عديدة لا يخرجهم عن اتباعهم في البقية ، فأمثال هؤلاء المحدثين — وهم وإن كانوا مجتهدين في مسائل — فهم متبعون للأئمة في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مسائل ، على أن اجتهادهم في تلك المسائل أيضاً ، تابع في أصول الاجتهاد لأولئك الأعلام ، من اختيارهم لتنقيح المناط أو تخريجه أو تحقيقه ، أو اعتبارهم لبعضها وعدم اعتبار بعض ، وما الى ذلك من أصول دقيقة عليها مدار الاستنباط في الأحكام الغير المنصوصة . ليس البحث هنا عن فروض منطقية واحتمالات عقلية ، وإنما البحث عن الواقع ، فليس البحث عن الإمكان والتجويز العقلي ، وإنما البحث عن الحقائق الواقعة . وكمال الاجتهاد المطلق في كل شيء من أمر الدين الغير المنصوص ، لم يتسنّ إلا لأفذاذ من الأمة ، وأفراد من الأئمة الذين خلقهم لهذه المزية العلمية والخدمة الدينية . فأصبحوا نجوماً ثاقبة في دياجر مظلمة من عويصات المسائل والمعضلات العقيمة ، يأوي إلى كنفهم كل حريص بالدين . وهذا البحث طويل لسنا نريد أن نخوض في غماره ، وانما نقتنع بالإشارة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

فعلى ضوء هذا البيان نقول : اختلفت الآراء في أبي عيسى الترمذي . والذي ذكره الشاه ولي الله الدهلوي في الإنصاف ، ما نصه : وأما أبو داود والترمذي فهما مجتهدان منتسبان الى أحمد واسحاق ، وكذلك ابن ماجه والدارمي فيما نرى الخ . وأنا أوافقه في الأولين ، ومما يؤيد هذا أنه لم يذكر بالالتزام صراحة إلا مذهبها ، ولم أصادف في جامع الترمذي له رداً لكلامها ، في حين تجد رداً لكلام الشافعي وغيره في كتابه ، ولذا لم يذكره التاج السبكي في طبقاته مع ولوعه باستيفاء كل من قيل فيه انه شافعي ، أو أمكن ادخاله في عداد الشافعية ، حتى جعل البخاري شافعياً ، بدليل أنه تفقه على الحميدي ، والحميدي تفقه على الشافعي ، وما أوهن هذا الاستدلال .

درجة كتابه الجامع من بين هذه الأمهات :

اتفقت الأمة على أن صحيح البخاري وصحيح مسلم أصح الكتب الستة ، وكذا جمهرة الأمة على تقديم صحيح البخاري على صحيح مسلم من جهة نفس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الصحة ، ثم اختلفت الأقوال فيمن عداهما . وحقيقة ذلك إنما تنكشف ببيان ما ذكره المحدثون من الشروط التي اعتبرها أرباب هذه الكتب ، وحصل علم ذلك من استقراء كتبهم والبحث عن رجالهم ، أو مصادفة شيء من كلامهم تنبئ عن مقاصدهم وأغراضهم . وأول من ألف في شروط الأئمة هو الحافظ أبو عبد الله ابن منده المتوفى ٣٩٥ هـ . ثم الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي المتوفى ٥٠٧ هـ . ثم الحافظ أبو بكر الحازمي المتوفى ٥٨٠ هـ . وقد طبع الأخيران بتعليقات جيدة أنيقة للشيخ الكوثري تحوي غرر النقول ، كما هو دأب تعليقات الكوثري . والأخير أجود كتاب في موضوعه وأوفاه بحثاً وتحقيقاً . فالذي ذكره الحازمي في شروطه ، وما ذكره الحافظ العسقلاني في هَدْي الساري ملخصه : ان الإسلام والعقل والصدق والسلامة من التدليس ، والعدالة في الرواة من الشروط المعتبرة لصحة الحديث عند الكل ، ثم كون الراوي معروفاً بالعناية بالحديث ، وأن يكون حفظه من صدور العلماء لا الصحف أيضاً ، يكاد يكون متفقاً بين الأمة . ثم اختلف صنيعهم في كيفية استنباط مخارج الحديث ، فللرواة طبقات خمس :

الأولى : طبقة في غاية الاتقان والحفظ مع طول الملازمة للشيخ .

الثانية : طبقة دونها في الإتقان قليلة الحظ من الملازمة .

الثالثة : طبقة مثل الأولى في الملازمة ومثل الثانية في الاتقان .

الرابعة : طبقة دون الأولى في الملازمة ومثل الثانية والثالثة في الإتقان .

والخامسة : ضعفاء ومجاهيل .

فالأولى — شرط البخاري في الأصول ، وينزل الى الثانية في المتابعات والشواهد ، وقد ينزل الى الثالثة بغاية القلة . والثانية — شرط مسلم يخرج من الأولى والثانية سواء بسواء في الأصول ، وينزل في المتابعات والشواهد الى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الثالثة مثل نزول البخاري الى الثانية . والثالثة — شرط النسائي وأبي داود يخرجان في الأصول من الطبقات الثلاث . والرابعة — شرط الترمذي ، يروى عن الأربعة سواء بسواء . وعلى هذا البيان يكون جامع الترمذي طبعاً في الدرجة الخامسة . ولكن يقول الحازمي : وفي الحقيقة شرط الترمذي أبلغ في شرط أبي داود ، لأن الحديث إذا كان ضعيفاً ينبه الترمذي على ضعفه ولا يسكت عليه . فإذن يكون تخريجه من باب الشواهد والاعتماد في الموضوع يكون على ما أخرجه الجماعة . قال الراقم : وهذه ميزة الترمذي خاصة ، ولكن أبا داود إذا كان هو يقتنع في كتابه بالطبقات الثلاث ويجتنب حديث الطبقة الرابعة فشرطه إذن أشد وأقوى من شرط الترمذي ؛ وأيضاً نص أبو داود على أنه إذا كان في حديث في كتابه وهن شديد ، فقد بينه كما في رسالته الى أهل مكة . قال الذهبي : انحطت رتبة جامع الترمذي عن سنن أبي داود والنسائي لإخراجه حديث المصلوب والكلبي وأمثالها ، حكاه السيوطي في التدريب . نعم قد يروي أبو داود عن مشاهير الطبقة الرابعة أيضاً وكأنه ينتقي من الرابعة ، وإن كان من جهة الاضطرار ، في الشواهد والمتابعات ، وبالجملة فهما ينزلان أحياناً الى الرابعة . والفرق ان الترمذي لا يسكت وأبا داود قد يسكت ولكنه ينتقي ؛ فقد أخرج من حديث اسحق بن أبي فروة وغيره ، وسكت عليه . فالآن استويا في الطبقة ولكل وجهة هو موليها ، وراجع بعض التفاصيل في كلام ابن رجب الحنبلي في شرح علل الترمذي ، حكاه الكوثري في تعليقات الشروط للحازمي .

والخامسة — لا يخرج عنها إلا أصحاب السنن نادراً في الاستشهاد .

رواية جامع الترمذي :

أشهر راوية لرواية الجامع عن مؤلفه الإمام ، هو الشيخ أبو العباس محمد ابن أحمد بن محبوب ابن فضيل المروزي رحمه الله ، وغالب أصحاب الاثبات لم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يروه إلا عنه ، وقد حكى السيوطي في شرحه عن الحافظ أبي جعفر الزبيدي : أبا سعد هشيم بن كليب الشاشي ، وأبا ذر محمد بن ابراهيم ، وأبا محمد الحسن ابن ابراهيم القطان ، وأبا حامد أحمد بن عبد الله التاجر ، وأبا الحسن الفزاري أيضاً من رواته عن المؤلف الإمام .

اسم الكتاب :

وضح مما أسلفنا أن اسم الكتاب جامع الترمذي وسنن الترمذي ، وكونه معدوداً في الصحاح بأن غالب أحاديثه صحاح ، والمصنف رحمه الله تعالى ـ وإن أطلق عليه المسند الصحيح أيضاً كما حكيناه عن ابن نقطة ـ لكنه لم يشتهر تلقيبه بهذا الاسم ، ولا ينبغي أن يطلق عليه بانفراد ، صحيح الترمذي بعد ما عرفنا حاله ، فممن ذكره من القدماء باسم صحيح الترمذي الحاكم والخطيب ، وكذا سماه بعض العصريين ، وهذا صنيعٌ غيرُه أولى ؛ فان المصنف رحمه الله لم يلتزم الصحة . قال السيوطي في التدريب (ص ٤٥) : ومن أطلق عليها الصحيح كقول السلفي في الكتب الخمسة : اتفق على صحتها علماء المشرق والمغرب ، وكإطلاق الحاكم على الترمذي الجامع الصحيح ، وإطلاق الخطيب عليه وعلى النسائي اسم الصحيح فقد تساهل اهـ .

محمد يوسف البنوري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أعراس الشام

في أواخر القرن التاسع الهجري

انصرفت عناية كثرة المؤرخين والباحثين عندنا ، في كتب الأدب والتاريخ التي ألفوها في القديم والحديث ، إلى ذكر الأحداث السياسية ، وسرد أسماء الخلفاء والولاة والقضاة، وترجمة مشاهير الرواة والأدباء، والمحدثين والعلماء .....، ولكن لم يكن للحديث عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والحضارية ، ولا سيما في العصور المتأخرة ، النصيب الذي أصبحنا نود لو فاز به في مصنفاتهم . وقد يقع الباحث العصري ، في الحين بعد الحين ، على شذرات من ذلك ، مبثوثة في كتب ألفت في موضوعات أخرى ، فمن الخير أن ينبّه إليها من يتفق له الوقوع عليها في غير مظانها ، تمهيداً لجمعها وتصنيفها والإفادة منها عند الكلام على عادات أجدادنا المألوفة في معايشهم وأفراحهم وأتراحهم .....

من ذلك فصل طريف عقده أحد مؤلفي القرن العاشر الهجري (وأواخر التاسع) في وصف حفلات الأعراس في بلاد الشام لعهده وما قبله بقليل ، وذلك أثناء كلامه على البِدَع الشائعة في عصره ، في تضاعيف كتاب ألفه في كرامات الأولياء والتصوف والزهد ....

أما المؤلف فهو علي بن عطية بن حسن بن محمد المشهور بالشيخ علوان [1] ،

---

(١) تجد ترجمة وافية له في ص ص ٢٠٦ – ٢١٣ ، ج ٢ من (الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة) لنجم الدين الغزي ، الذي نشره جبرائيل جبور في بيروت ١٩٤٩ ، وكذلك في ص ص ٧٤ - ٨٠ من كتاب (الجوهر المحبوك في نظم السلوك) للشيخ علوان ، الذي طبعه في دمشق ١٣٢٩ هـ أحدُ أحفاده المرحوم عبد القادر العلواني ، وقد لخص ترجمة جده من (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) لملا علي القاري ، ومن (الفيض الهتان شرح أبيات الجمع للشيخ علوان) تأليف نجم الدين الغزي ، ومن (رحلة) محب الدين الحنفي الحموي ، ومن (خلاصة الأثر في تراجم أهل القرن الحادي عشر) للمحبي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الهيتي[١] الأصل ، الحموي المولد والمنشأ والوفاة ، الشافعي المذهب ، الأشعري الاعتقاد ، الشاذلي الطريقة ، المتصوف الواعظ . ولد في حماة حوالي سنة ٨٧٣ هـ في أرجح الأقوال (أو حوالي ٨٥٧ هـ عند بعضهم) . وتوفي في أوائل شهر جمادى الأولى سنة ٩٣٦ هـ . وله في حماة اليوم ضريح يتبرك به ويزار وجامع يسمى جامع الشيخ علوان[٢] . وتروى له كرامات وأحوال لا مجال هنا للإفاضة في ذكرها .

كان للشيخ علوان كثير من الشعر الجيد ، يعد في شعر الطبقة الأولى في عصره ، ويسمو على نظم أستاذه ابن حبيب صاحب التائية التي شرحها علوان . أما نثره فقد التزم في شطره السجع المصنوع ، ولكن سائره سهل مرسل . وخلف لنا من الكتب حوالي عشرين كتاباً ، طبع القليل منها ، مثل (الجوهر المحبوك في نظم السلوك) و (بيان المعاني في شرح عقيدة الشيباني) ، ولا يزال الكثير منها مخطوطاً . وفي دار الكتب الظاهرية عدد وافر منها ، وكذلك في خزانة آل الأتاسي في حمص ، وخزانة بعض أحفاد الشيخ علوان في حماة . من هذه الكتب ما ألفه بنفسه ، ومنها ما شرح فيه كتب غيره ، وأكثرها في التصوف والعقيدة والفقه الشافعي .

ومن أجل تصانيف الشيخ علوان كتاب (نسمات الأسحار في كرامات الأولياء الأخيار)[٣] . وهو كتاب جليل كبير في التصوف والزهد والتأدب بما كان

---

(١) هيت : بلد بالعراق على شاطىء الفرات الغربي ، غير بعيد عن الرمادي والحبانية (فوق الأنبار) .

(٢) أعلمني بهذا وببعض ما في هذه الكلمة أحد أحفاد المؤلف وهو الأستاذ درويش العلواني ، مدير العلاقات الثقافية في وزارة المعارف السورية .

(٣) في المخطوطة ع – التي سنصفها في متن الصفحة التالية – ورد اسم الكتاب هكذا : (كتاب نسمات الأسحار ، في نبذ من كرامات الأولياء الأخيار ، ويلتحق به ما يناسب الوعظ والتذكار ، ولا يخلو من مسائل فقهية وآثار) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عليه السلف في السلوك ... وقد ألفه في شهر ربيع الأول من سنة ٩٠٦ هـ . وأسلوب المؤلف فيه أسلوب المحاضر المذكِّر الواعظ ، لا الكاتب المتأنق المتصنّع ، ولئن أكثر المؤلف من الاستطراد والتنقل ، فانه يظل أبداً آخذاً بنَفَس القارئ ، يتابعه أنى سار وحيثما ذهب ، ويعجب بعفوية أسلوبه وأصالة شخصيته ، وإخلاصه في موعظته ، وسمو نفسه في دعوته . وفي دار الكتب الظاهرية مخطوطتان من هذا الكتاب : أولاهما (ونرمز لها بحرف ع ورقمها في الدار : عامّ ١٤١٥ تصوف ٩٧) في ١٤٣ ورقة ، في كل صفحة منها ٢١ سطراً (٥ر١٢ × ٥ر١٦ سم) ، على أن الورقات ٨٨ — ١١١ أقل عرضاً وأنصع بياضاً . وفي هامش الصفحات شرح لبعض غريب الألفاظ مأخوذ عن (القاموس) ، وعناوين مفصلة لكل مبحث ومطلب . وفي الصفحة ٢٨٤ ما يلي : (كتبت هذه النسخة من نسخة قال مؤلفها : تم الكتاب .... وكان الفراغ من ترتيبه الثلث الآخر من الليل في العشر الثاني من شهر ربيع الأول من شهور سنة ست وتسع مائة . قال ذلك وكتبه .... علي بن عطية بن حسن الملقب بعلوان .... ووقع الفراغ من كتابة هذه النسخة في آخر شهر الربيع الأول على يدَي .... عثمان بن عباس .) ويلي ذلك أدعية وعزائم يتداوى بها ، وفتاوى وطرائف ليست لمؤلف (النسمات) .

أما المخطوطة الثانية من هذا الكتاب (ونرمز لها بحرف م ورقمها في الدار : عامّ ١٤١٦ تصوف ٩٨) ففي ٢١٦ ورقة ، في كل صفحة منها ٢١ سطراً (٢١ × ٥ر١٥ سم) ، والخط نسخي جميل ، وقد جعلت فيها رؤوس الفصول والمباحث بالحبر الأحمر . وجاء في خاتمة الكتاب : (علقه محمد بن عبد الله ، إمام جامع الشيخ علوان بحماة المحمية ، وفرغ منه يوم السبت لعشر خلون من رجب سنة ألف ومائة وخمس .) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والفصل المتعلق بأعراس الشام الذي أخذناه عن كتاب (نسمات الأسحار) هذا ، وأثبتناه في الصفحات التالية ، وارد في ص ص ٤١١ — ٤٢٧ من المخطوطة م ، و ص ص ٢٦٨ — ٢٧٩ من المخطوطة ع . وقد خلص المؤلف إلى هذا الفصل بعد أن شكا انتشار البدع السيئة في عصره وعكوف القوم عليها . وقد أثبتنا في المتن ما يتعلق بحفلات الأعراس خاصة ، وأشرنا في الهامش الى فحوى معظم الفقرات التي أغفلنا ، إذ كانت مما استطرد المؤلف إليه ، مما لا يتصل بالأعراس عن قرب .

وهذا الوصف لحفلات الأعراس في أواخر القرن التاسع الهجري (إذ ألف الكتاب سنة ٩٠٦ هـ كما رأينا) وصف حيّ طريف جميل ، ويزيدنا رغبة في نشره أننا رأينا في عصرنا هذا ـ أي بعد قرابة خمسمائة عام ـ أنه لا يزال في أعراسنا الشامية ، ولا سيما في الأرياف ، شيء من هذه العادات التي يصفها الشيخ علوان .

وهذا هو الفصل الذي يصف فيه المؤلف أعراس عهده [1] كما شهدها بعينه :

---

(١) بعد كتابة هذه الكلمة وقفنا في الجزء الأول من كتاب (خزائن الكتب في دمشق وضواحيها) ص ص ٥٤ — ٥٨ للمرحوم حبيب الزيات (ط . القاهرة ، بُعيد سنة ١٩٠٠ م) على جزء من هذا الفصل الذي ننشره ، وقد اختاره المؤلف من المخطوطتين اللتين أشرنا إليهما (نظراً لغرابته وما يشتمل عليه من الفائدة التاريخية في تعرّف أخلاق أهل هذه الديار واستطلاع بعض عوائدهم في ذلك العهد) . (ص ٥٤ من الكتاب المذكور) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

علوان يصف أعراس الشام

وأنواع البِدَع في هذا الزمان كثيرة جداً .... ومن أقبح البدع ما حدث في بلادنا في الأعراس ، وذلك أن الشيطان ، لعنه الله ، لما كان جالساً على الصراط المستقيم [١] - والنكاح منه ، فإنه من سنة نبينا ﷺ - أدخل [٢] على من أراده أموراً فظيعة [٣] وأحوالاً شنيعة ، لا بأس بذكر بعضها ، تذكرة للعالم ، وتبصرة للجاهل . فأولها أن النبي ﷺ قال : عليك بذات الدين ، تَرِبَت يداك ، وورد عنه : إياكم وخضراء الدِمَن ، قيل : مَن هي ؟ قال : المرأة الحسناء [في منبت السوء] ، الحديث ، فاذا أراد إنسان نكاحاً لا تراه يسأل لا عن دينها ، ولا عن نسبها ، وإنما يسأل عن جمالها وجهازها ، وهل معها قماش كثير وجهاز ثقيل ، والحاملُ على هذا كله [٤] التساهلُ في الدين ، فإذا ذُكِرت له امرأة متجهزة كثيرة المال أرسل إليها ، وأقبل بكليّته عليها ، والحال أنها مغتابة نمّامة كذابة تاركة للصلاة سيئة الخُلُق ، وهذا فِعْل مَن هو في غاية الحمق ، فإن نَفَس الفاسق سمٌّ قاتل . ثم يرسل بعض الناس لحماً وطعاماً على رأس الحمّال مكشوفاً رياءً وسمعة ، ليقال : هذا عشاء فلان . ثم [٥] يوجه إليهم جماعة من الأغنياء ورءوس الحارات الأغبياء [٦] ، ولا يلتفت الى الفقير والمسكين [٧] . فإذا جرى العقد أبى أهلها أن يكتبوا عقد النكاح [٨] إلا على حرير ، نحو ذراع أو أكثر ، إسرافاً وتبذيراً ..... فاذا قرب

---

(١) أي جالساً يترقب الناس السائرين على الصراط المستقيم .
(٢) في ع و م : فأدخل .
(٣) في ع و م : فضيعة .
(٤) ليست في م .
(٥) ليست في ع ،
(٦) في ع : الأغنياء ، هنا أيضاً .
(٧) في ع : المسكين الفقير ، على الوصفية لا العطف .
(٨) في م و ع : ذلك ، ولكن ناسخ ع صحّح ذلك بما أثبتناه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الدخول ، وحان الوصول ، اجتمع أهلُ محلة الزوج غالبُهم : صغيرُهم وكبيرُهم ، وصحبوا معهم البغال ، وأكثروا الصخب [١] والجدال ، وتوجهوا إلى محلة الزوجة لنقل جهازها ، فيتلقاهم أهل تلك المحلة بالمدافعة ، والمشاقّة والممانعة ، وطلبوا [٢] منهم رءوساً عديدة من الغنم ، وقالوا : إن لم تأتوا بها لا تطيقون [٣] أخذ ما جئتم بصدده . فيقولون لهم : إذا كان الأمر كذلك ، فقوموا بواجب حقنا عليكم من المآكل الكثيرة ..... فيذهب كل فاسق منهم إلى بيته ، وينهر زوجته ، ويأمرها بالقيام إلى تحصيل الضيافة والطعام ، فربما تكون مشتغلة بإصلاح بعض شأنها ، فيلعنها ويلعن آباءها وإخوانها ، وفي الحقيقة ما لعن إلا نفسه [٤] . . . . . وربما يكون الإنسان منهم فقيراً لا يملك قوت ليلة ، أو [ليس] عنده ما يكفي أولاده ، فيتركهم يتضاغَوْن من الجوع ، ويحمل قوتهم في طاعة الشيطان رياءً وسمعة ، نسأل الله العافية . وربما يصنع بيضاً أو لحماً ، وأولاده الصغار يبكون على أمهم ، فلا يدفع إليهم ما يُهدِّئهم ، ويقول : يبقى المقلى ، يعني الإناء الذي يُقلَى فيه ، ناقصاً ، هذا عيب وفضيحة . فلا قوة إلا بالله من أخلاق أهل النفاق ، يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا . فإذا أكلوا السحت أخذوا في الإفك واللعب ، والمداهنة والكذب . هذا وأهل الزوجة قد صفّوا الأثاث في الأطباق ، ونشروا المتاع على الدواب ، ورفعوا الحلي على رءوس الحمالين ، وفرحوا بما يجب الحزن عليه ، وانتشر النساء والرجال ، مختلطين في الأزقة والأسواق [٥] ، رافعين الأصوات بالزغاليط [٦] ،

---

(١) ينبت نسخ ع في الهامش تفسير القاموس فيقول : السخب محركة : شدة الصوة . (كذا) .
(٢) كذا في ع و م والسياق يقتضي المضارعة .
(٣) في م : لا تطيوا . (كذا) .
(٤) يلي هذا كلام طويل في حقوق الزوجة على زوجها في الشرع ، وما جاء في القرآن والسنة من الإيصاء بها والأمر باكرامها والتواضع لها .
(٥) في م و ع : الأزواق وصححت في هامش ع بالسين .
(٦) يريد ما فصيحه الزغاريد ، وعامة دمشق يقولون اليوم : الزلاغيط .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قاصدين المفاخرة والمكاثرة ..... فإذا كان ليلة الدخول ، وقعوا في أمور ، منها الإيلام [١] بالبدعة ، والرياء والسمعة ، وذلك أن بعضهم ربما يكون فقيراً ، فيستدين ويتكلف فوق طاقته ، قاصداً بذلك تكثير الطعام وتحسينه ، لئلا يعاب عليه بتقصيره عن القدر الذي أولم به جاره ..... ثم يشرع في دعوة الغني والوجيه ، ويغفل عن الأرملة والمسكين ، والفقير واليتيم ، أو يكلمهم على لحس الأواني ولقط ما انتثر . وبعض الناس يدعو أكابر العلماء ، وأعيان الناس والأمراء ، ويكلفهم ويحيجهم [٢] ، فلا يطيقون التخلف عن الإجابة لوجوبها ، وقصده مفاخرة جيرانه ومباهاتهم ، فيقول : كان عندي الشيخ الفلاني والأمير الفلاني والكبير الفلاني ، وهذا رياء مذموم . وبعضهم قد اتخذ سنة قبيحة ، وفعلة شنيعة ، فيعزم جماعة مستكثرة ، فإذا أكلوا حبسهم لغرامة أضعاف ثمن ما أكلوه ، ويقول لبعض أصحابه : ناد بالشاباش [٣] ، فيقول هذا المنادي إذا أعطاه أحد شيئاً : شاباش يا فلان . هذا وجماعة من النساء يستمعون صوت المنادي ، فإذا سمّى الباذلَ للنقوط رفعوا أصواتهم [٤] بالزغاليط ، خصوصاً إذا كان المنادى باسمه من وجوه الناس ، ..... فهنالك تقع المفاخرة والمغايرة [٥] بين الأقران ، ويستحوذ عليهم الشيطان ، ويحصل لهم العجب بفعلهم الخبيث ، فينفقون أموالهم رياءً وسمعة في سبيل إبليس وجنوده . ومما ينادي المنادي : أخلف الله عليك يا فلان . وهو الشرفي [٦] ، ويكون

---

(١) من أولم : عمل الوليمة ، لا من آلم : أوجع .

(٢) يريد أنه يحملهم على الاستحياء والخجل من التخلف عن إجابة دعوته .

(٣) شاباش : كلمة فارسية للتعجب أو للثناء ، مثل مرحى بالعربية . (انظر دوزي في ذيل المعاجم العربية ١ / ٧١٤) . وأهل دمشق وضواحيها يقولون اليوم شوباش ، ولكن ينطقون بالواو كحرف (o) في الفرنسية .

(٤) كذا على التذكير .

(٥) يريد بالمغايرة : إثارة الغيرة والنخوة .

(٦) كذا في م و ع . ومراد المؤلف بهذه اللفظة مفهوم من السياق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قد بذل نصفاً ليغرّ غيره ، وفي الحديث النهي عن هذا . . . . . ليت شعري كيف يخلف الله على مَن بذل ماله على هـذا الوجه . . . . . فاذا انقضت الوليمة توجهوا الى الحمّام ، وقد صحبوا معهم شمعاً مستكثراً ، فاذا خرجوا أوقدوه بين يدي العريس متشبهين بالمجوس ، من إظهار شعار النار . على أنه بكفيهم مصباحان أو ثلاثة . ثم يهللوا [1] تهليلاً باللهو واللعب والغفلة وتمطيط حروف الهيللة وإخراجها عن محلها ، كما يُفعَل بين يَدَيْ بعض الفقهاء عند ختم مجالس البخاري ، كما شاهدته وفعلته ، وأسأل الله التوبة والمغفرة ، فإن مما أظهر فقهاء الزمان من البدع أنهم إذا ختم أحد منهم مجلس قراءته أُفرِغت عليه خلعة ثمينة عاريّة [2] رهناً على ما تأخر له عند صاحب القراءة من الدراهم ، ورياء ومنافسة جالبة للمآثم ، هذا والنساء مختلطون بالرجال في مجلسه [3] . . . . . وبالجملة إيقاد الشمع إسراف ، لم يكن في عهده ﷺ ، ولم يُنقَل عن أحد من أصحابه . ثم المصيبة العظمى والداهية الدهياء ، أن نساء المحلة وغيرها يجتمعن في دار ، في الثياب والزينة والخضاب بالحناء [4] والتحلي بالذهب ، بين أيديهن الشموع موقدة ، والوجوه بادية ، والزينة ظاهرة ، لا حجاب ولا جلباب ، فيدخل الزوج للجَلاَ ، بل للعَمَى والظلام ، فيتلقينه بالشمع والزغلطة ، وهنّ سافرات عن وجوههن ، مبديات لزينتهنّ ، فتعضده امرأتان من أقاربه : واحدة عن يمينه وأخرى عن شماله ، فيدخل على النساء الأجانب ، وربما يُدْخِل معه شباناً بالغين من الأقارب ، كأخيه البالغ ومَن في معناه ، فلا حول ولا قوة

---

(١) كذا في م و ع .

(٢) في م : غاية .

(٣) يورد الشيخ علوان بعد هذا كلاماً طويلاً في انتقاد بعض وعّاظ عصره ، الذين يتزينون في ثيابهم وهيئاتهم ، ويكثرون الأشعار والإشارات والحركات ، ويفتنون النساء اللواتي يحضرن مجالسهم ، فيحسدن زوجات هؤلاء الواعظين ، ثم ينعي عليهم مشيهم في مواكب ترفع النساء فيها أصواتهن (بالزغاليط) ويُهلّل فيها بين يديهم .

(٤) ليست في م .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إلا بالله . فهنالك يجلس على مكان رفيع ، فتتقدم كل امرأة اليه ، وتلصق الدراهم بين عينيه ، ورائحة الطيب منها فائحة ، وعينها محدقة اليه لاحة ، وزينتها بادية لائحة ، فإن كان ممن يزعم أنه متدين غض بصره ، وإلا فتح عينيه وأرسل نظره . الله عليكم [١] هل يحلّ هذا الفعل القبيح في دين الإسلام ؟ ! أو نُقِل مثل هذا عن سيد الأنام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ؟ ثم تخرج العروس الملعونة ، هي وماشطتها الشريكة لها في اللعن على لسان رسول الله ﷺ ، فإنه لعن النامصة والمتنمّصة . والنامصة بالصاد المهملة هي التي تزيل الشعر من الوجه ، وهي المسماة بالماشطة ، والمتنمّصة هي التي تطلب فعل ذلك ، وهذا الفعل حرام ، إلا إذا نبتت لحية أو شوارب ، فلا تحرم إزالتها بل يُستحب . والنهي إنما هو في الحواجب ، ومعلوم أن الماشطة تنتف حواجب العروس ، فتشتركان في اللعنة ، لارتكابهما ما نُهي عنه . وأما تحمير الوجه والخضاب بالسواد وتطريف [٢] الأصابع فحرام على الخليّة [٣] ، وعلى غيرها بغير إذن الزوج ، كما نقله الدميري . وكذلك الوشم حرام فعلُه ، وملعون فاعله وطالبه [٤] ، لقوله ﷺ : لعن الله الواشمات والمستوشمات ، وهو أن تُغرَز إبرة أو مسلة أو نحوهما في ظهر الكف أو المِعْصَم أو الشفة أو غير ذلك ، حتى يسيل الدم ، ثم يُحْشَى ذلك الموضع بالكحل ونحوه فيخضر [٥] . . . . . وهي مسألة عامة الوقوع ، خصوصاً في الفلاحين وأهل البوادي : رجالهم ونسائهم .

(١) كأن المؤلف يستحلف قراءه بالله .
(٢) طرّف بنانه : خضب أطراف أصابعه بالحناء ، وفي م : تظريف .
(٣) الخليّة : من لا زوج لها .
(٤) في م : وطالعه .
(٥) يطيل المؤلف بعد ذلك ببيان حكم الشرع في نجاسة الموضع الموشوم ووجوب معالجته وإزالة الوشم منه وعدم صحة صلاة من كان في بدنه وشم الخ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبالجملة تخرج العروس في شيء يقال له الشَّرْبوش [١] ، والذي يظهر لي ، والعلم عند الله تعالى ، أنه وما في معناه مما ظهر في زماننا ، ويلبسه النساء على رءوسهن [و] يسمونه المُقَنْزَع ، مما أخبر ﷺ بوقوعه [٢] ..... رجعنا الى ما كنا بصدده ، فاذا خرجت وامتثلت بين يدي الزوج ، قام لها ، وكشف شيئاً ، يقال له الجلاية ، عن وجهها ، وأخذت تتقصف وتتكسر في حركتها وتتفتل ، وكلما دارت مرة لصق الزوج ومَن معه ، كأخيه البالغ والمراهق اللذَيْن يحرم عليهما النظر إليها في حال المهنة والرثاثة ، فضلاً عن حال الزينة والنضارة ، الدراهمَ في جبهتها وعلى خدَّيها . ثم تذهب الماشطة بها الى بيت ، وتخلع عنها تلك الهيئة ، وتُفْرِغ عليها ثياباً غير تلك الثياب ، وتلبسها عمامة كعمامة القاضي والفقيه والجندي [٣] ، وتمسك سيفاً مسلولاً معها ، فتأتي الى الزوج ، فيأخذ السيف منها ، ويضربها ببطنه على رأسها ثلاث ضربات ، وكل هذا فعل مذموم ملعون فاعله ، ..... وأعظم من هذا أنه إذا دخل البيت ، قامت أم الزوج [٤] ، فنشخت [٥] رجليها مع صدغي الباب ، أي عضادتيه ، ولا تمكّن الزوجين من الدخول إلا بعد انحنائهما من تحت رجليها . فاذا استقرا في البيت تطلع النساء الأجانب عليهما من الكوات ، وجلسن يرقبن أحوالهما إلى الصبح . فإن لم يسمع لهما صوت ، طرقن الباب عليهما ، وحركن عزمهما .

(١) من الفارسية ، سربوش : لباس تضعه النساء على الرأس . وعرف المتأخرون الشربوش وقالوا إنه (شيء يشبه التاج ، كأنه شكل مثلث ، يجعل على الرأس بغير عمامة) وكان لباس الأمراء . انظر دوزي : معجم الثياب ، ص ٢٢٠ وذيل المعاجم العربية ١ / ٧٤٢ .

(٢) يسوق المؤلف بعد ذلك حديثاً في هذا المعنى ، ويطيل في شرحه وتخريجه ويخلص إلى تحريم لبس (القبع المقنزع) . وللتوسع في معنى القبع والمقنزع راجع دوزي : معجم الثياب ص ٣٤٤ وذيل المعاجم العربية ٢ / ٣٠٣ و ٢ / ٤١١ .

(٣) ليست في ع .

(٤) في م : الزوجة ، والسياق يرجّح ما أخذناه عن ع .

(٥) فنشخ : بالخاء عامية ، فصيحها فشح بالحاء (أو الجيم) : فرج ما بين رجليه ، وفي هامش ع (الفشيخ : إرخاء المفاصل ، قاموس) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذا وقد علّمن الزوجة الممانعة ، وحرّضنها على عدم المضاجعة ، وألبسنها سروالاً عقدن عليه كذا وكذا عقدة . وماذا عسى أن أصف من الأحوال الخبيثة الشنيعة ، المباينة للدين والشريعة ؟! والعجب كل العجب من بعض العلماء كيف يعلم هذه الأمور ولا ينكرها ، ولا يُبَرْهِن على السنة ولا يشهرها ، بل ربما يبعث زوجته لحضور هذا المجلس الأثيم ، الموجب للوزر العظيم .....

وبعض الناس يقدم بدعة قبيحة جداً ، ويصنع لعرسه مَرْسحاً [١] ، وفيه منكرات كثيرة من [٢] إضاعة الأموال ، فانه يُحتاج فيه إلى بذل مال كثير في شراء الزيت وأجرة المغنّين ، ويتفق فيه اختلاط الرجال بالنساء ، وسماع الدف المصنّج والغناء ، والفحش والبذاءة والخنا ، وتشبه الرجال بالنسوة [٣] ، وكثرة الضحك الناشئة عن الغفلة والقسوة ، وترك الصلوات والاستهزاء بالدين ، والتمسخر الزائد بمحاكاة كلام العلماء والخطباء ، وكشف العورة ، وأشياء نسأل الله العافية منها بمنه وكرمه ، مما يفضي إلى الكفر ، فربما يلبس المضحك زي الكفار ، ويستهزئ بملابس العلماء الأخيار ، ومن استهزأ بالدين وأهله كفر . وأنواع الكفر كثيرة لا تكاد تحصر [٤] ..... واختلفوا أيضاً فيما لو حضر جماعة ، وجلس أحدهم على مرتفع ، تشبّهاً بالمذكّر أو العالم أو القاضي ، فسألوه المسائل وضحكوا ، وضربوا بالمخراق [٥] ، قال بعضهم : يكفروا . وكذا لو تشبه بالمعلم ، وأخذ خشبة ، وجلس القوم حوله كالصبيان ، وضحكوا واستهزءوا به . وهاتان المسئلتان ونظائرهما يتفقان في المراسح كثيراً ، وفي هذا القدر كفاية .

عبد الهادي هاشم

(١) بتقديم الراء على السين في م و ع ، وقد شاع اليوم تقديم السين .
(٢) في م : في .
(٣) ليس في م قوله : والغناء ..... بالنسوة .
(٤) يمدد المؤلف هنا في لواذ أربع صفحات بعض ما يراه من أنواع الكفر ، ثم يختم هذا الفصل بالفقرة التي أثبتناها في المتن .
(٥) المخراق : المديل أو نحوه يلف ليضرب به ، والمخراق أيضاً ما يلعب به الصبيان من الخرق الملتوية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره

— ٩ —

كتبه :

ألف ابن جني كثيراً من الكتب في الصرف والنحو والعروض والقراءات واللغة والأدب . وقد عني بالبحث عن كتبه من المتأخرين المستشرق الألماني المرحوم بروكلمان كتابه في تاريخ الأدب العربي[1] ، والزميل الفاضل الأستاذ القصاص في رسالته عن ابن جني ، والعلامة الشيخ محمد علي النجار في مقدمة الطبعة الثانية من الخصائص . وقد أهمل كل منهم ذكر بعض كتبه ، وبخاصة الأستاذ القصاص فإنه لم يذكر له إلا ثمانية وثلاثين مؤلفاً . وتتبعنا نحن المظان فجمعنا كل ما عرف الأقدمون والمتأخرون عن آثاره ، والى القارئ الفاضل بيان ذلك .

ذكر ابن جني بعض كتبه في الإجازة التي حفظ لنا ياقوت صورتها في معجم أدبائه ، والتي كتبها أبو الفتح للشيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم قد أجزت للشيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد

---

(١) اهتمّ المستشرق الكبير بكتب الإمام أبي الفتح بن جني ، شأنه في كتب كبار أئمة الإسلام ، وقد أحصى ما عثر عليه في المظان من أسماء كتب الشيخ ، وذكر ما عثر عليه من أسمائها وأشار الى المفقود منها بقوله (لم أعثر عليه) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن نصر أدام الله عزه ، أن يروي عني مصنفاتي و كتبي ، مما صحّحه وضبطه عليه أبو أحمد عبد السلام بن الحسين البصري أيد الله عزه : عنده منها كتابي الموسوم (بالخصائص) وحجمه ألف ورقة ، و كتابي (التمام في تفسير أشعار هذيل) مما أغفله أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري رحمه الله ، وحجمه خمسمائة ورقة بل يزيد على ذلك ، و كتابي (سر الصناعة) وهو ستمائة ورقة ، و كتابي في (تفسير تصريف أبي عثمان) بكر بن محمد بن بقيّة المازني وحجمه خمسمائة ورقة ، و كتابي في (شرح مستغلق أبيات الحماسة واشتقاق أسماء شعرائها) ومقداره خمسمائة ورقة ، و كتابي (في شرح المقصور والممدود) عن يعقوب بن اسحق السكيت وحجمه أربعمائة ورقة ، و كتابي في (تعاقب العربية) وأطرفت به وحجمه مائتا ورقة ، و كتابي في (تفسير ديوان المتنبي) الكبير ، و كتابي في (تفسير معاني هذا الديوان) وحجمه مائة ورقة وخمسون ورقة ، و كتابي (اللمع) في العربية وإن كان لطيفاً ، وكذلك كتابي (مختصر التصريف) على إجماعه ، و كتابي (مختصر العروض والقوافي) ، و كتابي (الألفاظ المهموزة) ، و كتابي (اسم المفعول المعتل العين من الثلاثي) على إغرابه في معناه وهو المقتضب ، وما بدأت بعمله من كتاب (تفسير المذكر والمؤنث ليعقوب) أيضاً أعان الله على إتمامه ، و كتاب (ما خرج عني من تأييد التذكرة) عن الشيخ أبي علي أدام الله عزه ، و كتابي في (المحاسن العربية) ، وإن كان ما جرى أزال بدي عنه حتى شذّ عنها ومقداره ستمائة ورقة ، و كتابي (النوادر المتعة في العربية) وحجمه ألف ورقة ، وقد شذّ أيضاً أصله عني فان وقعا كلاهما أو شيء منهما فهو لاحق بما أجزت روايته هنا ، و كتاب (ما أحضرنيه الخاطر) من المسائل المنثورة عما أملته أو حصل في آخر تعاليقي عن نفسي ، وغير ذلك مما هذه حاله وصورته فليروِ أدام الله عزه ذلك عني أجمع إذا صح عنده ، وأنس بتثقيفه وتسديده ، وما صح عنده أيده الله من جميع رواياتي ، مما سمعته من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

شيوخي رحمهم الله ، وقرأته عليهم بالعراق والموصل والشام ، وغير هذه البلاد التي أثبتها وأقمت بها ، مباركاً له فيه منفوعاً به بإذن الله . وكتب عثمان بن جني بيده حامداً لله سبحانه في آخر جمادى الآخرة من سنة أربع وثمانين وثلاثمائة »[1] .

تثبت هذه الإجازة بعض آثار ابن جني ، وقد أثبتناها بتمامها لتضمنها بعض مؤلفاته ولأنها مؤرخة تفيدنا في دراسة تواريخ مؤلفاته ، ولأنها تربنا من جهة ثالثة قسماً من حجوم بعض كتبه المفقودة .

(وبعد) فنحن نورد فيما يأتي ثبت كتبه كما وجدناه في تنقيباتنا مرتباً على حروف الهجاء ، ذاكرين الموجود منها والمفقود والله الموفق .

١ ــ الألفاظ المهموزة :

ذكره في إجازته السابقة فقال : «وكتاب الألفاظ المهموزة» وقد ذكره ابن النديم في الفهرست وسماه (الألفاظ من المهموزة) ، ولم يذكره بروكلمان في فهرست كتبه . وكان العالم الدمشقي الأستاذ المرحوم السيد وجيه فارس الكيلاني ، والد صديقنا الباحث المدقق الدكتور ابراهيم الكيلاني ، قد نشر في مصر ثلاث رسائل لابن جني [2] إحداها رسالة في ثلاث صفحات عنوانها « عقود الهمز وخواص أمثلة الفعل » ، فلعل هذه الرسالة هي التي ذكرها ابن جني في إجازته .

٢ ــ البشرى والظفر :

ذكره ياقوت في ثبت كتبه ، وقد صنفه لعضد الدولة البويهي ومقداره خمسون ورقة في تفسير بيت واحد من شعر عضد الدولة ، وهو قوله :

أهلاً وسهلاً بذي البشرى ونوبتها وباشتمال سرايانا على الظفر

ولم يذكر هذا الكتاب بروكلمان في كتبه المفقوده [3] .

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء طبعة دار المأمون ١٢ / ١٠٩ - ١١١

(٢) نشرها سنة ١٣٤٣ و سنة ١٩٢٤ بالمطبعة العربية بالقاهرة

(٣) ويسميه الأستاذ القصاص في رسالته ص ٢٢ د بالبشر والظفر » خطأ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٣ ـ التبصرة :

ذكره ابن خلكان في ترجمته [١] ولم يشر اليه بروكلمان في كتبه المفقودة ، ولا عرفت شيئاً فيما بين يدي من مصادر عن هذا الكتاب وموضوعه .

٤ ـ التذكرة الاصبهانية :

ذكره ابن خلكان في ترجمته [١] وأشار اليه صاحب شذرات الذهب في ترجمته أيضاً [٢] ولم يشر اليه بروكلمان .

٥ ـ التصريف الملوكي :

ذكره ابن جني في الإجازة فقال : « وكذلك كتابي مختصر التصريف على اجماعه » ، وذكره ابن النديم في الفهرست باسم (جملة أصول التصريف) وهو مشهور باسم (مختصر التصريف الملوكي) أو (جمل أصول التصريف) كما ذكر الحاج خليفة . ومن الكتاب نسخ كثيرة في مصر [٣] واستانبول وأوربا . وقد طبع مع ترجمة لاتينية في مدينة ليبزيغ سنة ١٨٨٥ بعناية المستشرق هوبرغ G. Hoberg . كما طبع في مصر مذيلاً بشرح وجيز بقلم ناشره الشيخ محمد سعيد النعسان الحموي سنة ١٩١٣ .

وقد شرحه علماء كثيرون ، ومن أشهرهم أبو البقاء موفق الدين بن يعيش [٤] ، ومن شرحه هذا نسخة بدار الكتب المصرية ، ونسخة بمكتبة كوبرلي بالاستانة رقمها : ١٥١١ . ومن شراحه أيضاً أبو السعادات بن الشجري (٥٤٢ [٥]) ،

---

(١) الوفيات ١ / ٣١٣

(٢) ج ٣/ ١٤٠

(٣) انظر فهرس دار الكتب المصرية ٢ / ٦٧

(٤) انظر فهرس الدار ٢ / ٦٠ وبغية الوعاة : ٤٢٠

(٥) انظر بغية الوعاة : ٤٠٨ وكشف الظنون ١ / ٢٨٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والشيخ قاسم بن قاسم الواسطي (— ٦٢٦ [١]) ، وعمر بن ثابت الثمانيني تلميذ ابن جني [٢] وغيرهم .

٦ ــ تعاقب العربية :

قال عنه في الإجازة : « وكتابي في تعاقب العربية وأطرفت به وجمعه مائتا ورقة » . وهذا الكتاب من آثاره المفقودة التي لم أعثر عليها ، فيما بين يدي من الفهارس العامة . وقد ذكره ابن جني مرات في الخصائص ونقل منه كقوله : « وقد ذكرنا في كتابنا الموسوم بالتعاقب من هذا النحو ما فيه الكفاية بإذن الله تعالى [٣] » . وذكره ابن النديم وسماه : « التعاقب في العربية » [٤] ، كما أشار اليه الخطيب البغدادي [٥] ، وابن خلكان [٦] ، وابن سيده باسم المتعاقب [٧] ، وهو تحريف في الطبع . ونقل عنه السيوطي في الأشباه والنظائر وقال عنه : « ألفه ابن جني في أقسام البدل والمبدل منه ، والعوض والمعوّض منه » ، ثم نقل شيئًا من مقدمة الكتاب [٨] . وذكره بروكلمان في كتبه المفقودة .

٧ ــ تفسير أرجوزة أبي نواس :

لم يذكره ابن جني في الإجازة ، ولكن ياقوت ذكره في ترجمة ابن جني ، كما ذكره السيد الندوي في (تذكرة النوادر) باسم « شرح أرجوزة أبي نواس » وقال : إن منه نسخة في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة ، ولم يذكر رقمها [٩] .

(١) انظر بغية الوعاة : ٣٨٠ وكشف الظنون ١ / ٢٨٩
(٢) انظر بغية الوعاة : ٣٦٠ وكشف الظنون ١ / ٢٨٩
(٣) الخصائص ١ / ٢٧٣ ، ٢٧٤
(٤) الفهرست : ١٢٨
(٥) تاريخ بغداد ١١ / ٣١١
(٦) الوفيات ١ / ٣١٣
(٧) المخصص ١ / ١٣
(٨) الأشباه ١ / ١٢٩ ، ١٤٥ ، ١٣٤ و ٢ / ١٢٠ ، ١٧٢
(٩) التذكرة : ١٢٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٨ ــ تفسير تصريف المازني (المنصف) :

قال عنه في الإجازة : «وكتابي في تفسير تصريف أبي عثمان بكر بن محمد بن بقيّة المازني وحجمه خمسمائة ورقة» وقد أشار اليه في مواضع كثيرة من الخصائص ، ونقل عنه في سر الصناعة [١] . وسمّاه ابن خلكان بالمنصف في شرح تفسير المازني [٢] . وذكره ابن الأنباري باسم المنصف [٣] . وكتب عنه المرحوم أحمد تيمور باشا في مجلة المجمع العلمي العربي بحثاً حسناً [٤] . ومن الكتاب نسخ كثيرة منها نسخة كوپرلي ورقمها ١٥١٠ ، ١٥١١ ، ونسخة مكتبة عاطف أفندي ورقمها : ٢٦٣٩ ، ونسخة طوب قبو : ٢٢٨٠ ، ونسخة علي شهيد : ٢٥٩٧ ، ونسخة داماد ابراهيم : ١٠٥٨ ، ونسخة راغب افندي : ١٣٩٤ ، ونسخة المتحف الآسيوي بلينغراد رقمها : ٢١١ / ٥ ، ونسخة في خزانة برلين : ٧١٨ ، ونسخة في خزانة ڤينا : ٢٢٢ ، ونسخة في دار الكتب المصرية ورقمها : ٢ ش . وقد أكثر البغدادي من النقل عنه [٥] ، وقد طبع الجزء الأول منه مؤخراً في مطبعة البابي الحلبي بمصر بتحقيق أستاذنا العلامة ابراهيم مصطفى والسيد عبد الله أمين وفقهما الله لإتمام طبعه .

٩ ــ تفسير العلويات :

لم يذكره في الإجازة وذكره ياقوت في ترجمته فقال : « تفسير العلويات وهي أربع قصائد للشريف الرضي كل واحدة في مجلد (الأولى) هي قصيدة رثى بها أبا طاهر ابراهيم بن نصر الدولة أولها :

(١) انظر صفحات : ٦٢ ، ٩٩ ، ٣٣٣ ، ٤٥٥ ، ٤٦٩ ، ٦٤٥ من مخطوطتنا .
(٢) الوفيات ١ / ٣١٣
(٣) النزهة ٤٠٦
(٤) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣ / ٣٤١
(٥) انظر اقليد الخزانة ص ٣٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ألقِ الرماحَ ربيعةَ بن نزارِ أوْدَى الرَّدَى بقريمك المغوارِ

و (الثانية) هي قصيدة رثى بها الصاحب ابن عباد وأولها :

أكذا المنونُ تُقَنْطِرُ الأبطالا أكذا المنونُ تُضَعْضِعُ الأمْيالا

و (الثالثة) قصيدته التي رثى بها أبا اسحق الصابئ وأولها :

أعلمتَ من حملُوا على الأعْواد أرأيتَ كيفَ خبَا زِنادُ النَّادي

ولم يذكر الرابعة . وذكره ابن النديم باسم (تفسير المراثي الثلاث) وكتاب القصيدة الرائية للرضي [١] . ولم أعثر على نسخ لهذه الشروح في الفهارس التي بين يديَّ ، ولا ذكرها بروكلمان في الكتب المفقودة .

١٠ ــ التلقين :

لم يذكره في الإجازة بل ذكره ابن النديم [٢] والخطيب البغدادي [٣] وابن خلكان في ترجمته [٤] ، ولم يشر اليه بروكلمان ولا عثر على نسخة له في الفهارس المعروفة .

١١ ــ التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري :

ذكره ابن جني في الإجازة وقال : إن حجمه خمسمائة ورقة بل يزيد على ذلك ، وقد ذكره ابن خلكان في الوفيات [٤] ، والزمخشري في الكشاف [٥] ، وابن سيده في المخصص [٦] . وأشار اليه ابن جني في الخصائص [٧] . وعدّه

(١) الفهرست ص ١٢٨
(٢) الفهرست ١٢٧
(٣) تاريخ بغداد ١١ / ٣١١
(٤) الوفيات ١ : ٣١٣
(٥) ٨٢٢
(٦) ١ / ١٣
(٧) ١ / ١٣٠ من الطبعة الأولى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بروكلمان في كتبه المفقودة ، مع أنني عثرت على نسخة فريدة منه في خزانة دار كتب الأوقاف ببغداد ، ونقلت عنها نسخة لنفسي وهو من النفائس المفيدة والنسخة قديمة متقنة كتبها الشيخ أسعد بن المعالى بن ابراهيم بن عبد الله الكاتب سنة ٥٨٠ [١] .

١٢ ــ الخاطريات :

ذكره ابن جني في الإجازة باسم « كتاب ما أحضرنيه الخاطر من المسائل المنثورة مما أمللته » ، وذكره ابن خلكان في الوفيات وسماه « المسائل الخاطريات [٢] » ، وسماه الحاج خليفة باسم الخاطرات [٣] ، ونقل عنه البغدادي [٤] والسيوطي [٥] ، وقال بروكلمان : ان في مكتبة سليم آغا بالآستانة كتابًا له اسمه (الخاطريات) رقم ١٠٧٧ / ٤ ويغلب على الظن أنه هو وأن الاسم محرف [٦] .

١٣ ــ الخصائص :

ذكر في الإجازة أنه ألف ورقة ، ومن الكتاب نسختان بدار الكتب الظاهرية بدمشق رقمها ٦٩ ، ١٠٨ . وبالموصل نسخة رقمها : ٦٥ كما يذكر الأستاذ الدكتور الصديق داود الجلبي [٧] ، وبمكاتب الاستانة نسخ كثيرة منها : نسخ مكتبة لالهلي : ٣٢٤٥ ، ومكتبة داماد زاده : ١٧١٦ ، ومكتبة حميد أفندي : ١٢٨٧ ومكتبة عاشر أفندي : ٨١٧ ومكتبة علي شهيد ٢٠٩٤ — ٢٠٩٥ ومكتبة نور عثمانية : ٤٥٤٥ — ٤٥٤٧ . وفي خزانة غوطا الجزآن

---

(١) انظر الكشاف عن مخطوطات الأوقاف من تآليفي طبع بغداد ص ١٦٢
(٢) الوفيات ١/٣١٣
(٣) الكشف ١/٣٥١
(٤) الخزانة ٢/٤٧ و ٤/١٠
(٥) الأشباه ١/١٥٦ و ٢/١٤٦ ، ٢٤٥
(٦) G.A.L. ١/١٢٥
(٧) فهرس مخطوطات الموصل ص ٤٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الثالث والرابع ورقمها ١٨٦ و ١٨٧ . وفي دار الكتب المصرية ثلاث نسخ الأولى تحوي الجزء الأول وينتهي الى باب « تعلق الأعلام على المعاني » ورقمها : ١٠٩ ، والثانية تحوي الجزء الأول والثاني وبها خروم ، والثاني ينتهي إلى أول باب « في نقض العادة » وكلاهما بخط الحسن بن الفرج بن ابراهيم بمصر سنة ٤٣٠ ورقمها : ١١٠ ، والثالثة هي جزآن في مجلد ورقمها ٥ ش . وقد أكثر البغدادي في خزانة الأدب من النقل عنه [١] . واختصره الجلال السيوطي وسماه (الاقتراح) وقال في أوله : واعلم أني قد استمديت في هذا الكتاب كثيراً من كتاب الخصائص لابن جني فإنه وضعه في هذا المعنى وسماه أصول النحو ، ولكن أكثره خارج عن هذا المعنى وليس مرتباً وفيه الغث والسمين والاستطرادات فلخصت فيه جميع ما يتعلق بهذا المعنى بأوجز عبارة وأرشقها وأوضحها معزواً اليه وضممت اليه نفائس ... [٢] »

وقد طبع الجزء الأول من الكتاب للمرة الأولى في مطبعة الهلال بمصر سنة ١٩١٣ ثم أعيد طبعه ثانية في دار الكتب المصرية بعناية الشيخ الفاضل المحقق محمد علي النجار سنة ١٩٥٢ ، وفقه الله إتمامه .

١٤ ـ الخطيب :

لم يذكره في الإجازة وإنما ذكره ياقوت في ترجمته ولم يشر اليه بروكلمان في الكتب المفقودة ولا عثرت على ذكر له فيما عندي من مصادر .

١٥ ـ الدمشقيات :

لم يذكره في الإجازة ولا ذكره ياقوت ولا غيره في عداد كتبه ، ولكن السيوطي في الأشباه والنظائر قال : « إن ابن النحاس قال في التعليقة : حكى

(١) افليد الخزانة ٤٧ . وانظر مجلة المستشرقين الألمان Z MG. 1910 / 308,

(٢) طبع في الهند سنة ١٣١٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابن جني في كتابه الدمشقيات وهو غير الدمشقيات المشهورة له بين الناس قولاً . . . . . [1] » قلت : وهذا الكلام يفيد أن لابن جني كتابين بهذا الاسم .

١٦ ــ ذو القد :

لم يذكره في الإجازة وإنما ذكره ياقوت وقال : إنه في النحو ، ولم يذكره بروكلمان في كتبه المفقودة ، ولا عثرت على ذكر له فيما عندي من المظان .

١٧ ــ الزَّجْر :

لم يذكره في الإجازة ، ولا ذكره ياقوت وإنما ذكره ابن جني في الخصائص فقال : وقد كانت حضرتني وقتاً فيه نَشْطَة فكتبت تفسير كثير من هذه الحروف في كتاب ثابت في الزَّجْر فاطلبها في جملة ما أثبته عن نفسي في هذا وغيره »[2] ، وقد ذكره بروكلمان في الكتب المفقودة .

١٨ ــ سر الصناعة :

ذكره في الإجازة فقال : « انه ستمائة ورقة » وذكره الحاج خليفة وسماه « سر الصناعة وأسرار البلاغة » ومن هذا الكتاب نسخ عديدة وأفضلها نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وهي جزآن في مجلد واحد عدد صفحاته (٤٠٠) وفي آخر الجزء الأول منها ما نصه : « كتبه محمد بن يحيى بن عبد القوي من أصل نقل من الأصل الذي نقله ابن جني ، وكان الفراغ بدمشق سنة ثمان وثمانين وخمسمائة » ، والنسخة تنتهي بحرف الميم وهي نسخة جد حسنة نفيسة الخط والضبط ورقمها (١٦٨ نحو) .

ومن الكتاب نسخة في المكتبة الإسلامية بالموصل رقمها : ٦٥ كما ذكر

(١) الأشباه والنظائر ١ / ٢٧٤
(٢) الخصائص ١ / ٤٣٩ الطبعة الاولى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ذلك الدكتور داود الجلبي [١] ، ونسخة بمصر منقولة عن نسخة مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة بك بالمدينة المنورة رقمها (١٢٠) [٢] .

وفي مصر نسخة أخرى حديثة بخط محمد أبي النصر الجعفري النابلسي سنة ١٣٣٠ ورقمها ١٦ س [٣] ، وفي بغداد نسخة قديمة منقنة [٤] ، وفي باريس نسخة حسنة رقمها ٣٩٨٨ ، وفي برلين الجزء الثاني من الكتاب يبدأ بحرف الميم وينتهي بآخر الكتاب وهو بخط أحمد بن محمد بن احمد الاشبيلي أبي العباس ابن الحاج المتوفى سنة ٦٣٧ [٥] ورقمها ٦٢٦٩ ، وفي استانبول عدة نسخ منها نسخة في خزانة عاشر أفندي رقمها ٨١٧ ، وأخرى في خزانة كوبرلي رقمها ١٤٦٩ ، وأخرى في خزانة راغب أفندي رقمها ١٣١٧ [٦] . وقد شرع الأساتذة مصطفى ابراهيم ومصطفى السقا ومحمد الزفزاف وعبد الله أمين بطبعه ونشروا المجلد الأول منه جزاهم الله خيراً ، وللإمام أحمد بن محمد بن احمد الأزدي الاشبيلي المعروف بابن الحاج حاشية على سر الصناعة [٧] ، وسنعود آخر هذا المقال الى التوسع في بيان فضل هذا الكتاب وأهميته .

١٩ ــ سر السرور :

ذكره ياقوت ولم يذكره الحاج خليفة ولا بروكلمان ولم أعثر على ذكر له فيما عندي من المظان .

---

(١) كتاب مخطوطات الموصل المطبوع ببغداد سنة ١٣٤٦ ص ٤٥

(٢) فهرس دار الكتب ٢ / ١٧

(٣) فهرس الدار ٢ / ١٧

(٤) انظر كتابنا الكشاف عن مخطوطات الأوقاف ص ١٩١

(٥) هو الامام العلامة أبو العباس الاشبيلي المشهور في عصره بطبين جليلين هما الحديث والنباتات انظر ترجمته في أعلام الزركلي ص ٦٤

(٦) انظر مجلة ZDMG. 1910/211

(٧) بغية الوعاة للسيوطي ص ١٥٦ وكشف الظنون ١ / ٤٧٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٠ ــ شرح الايضاح لأبي علي الفارسي :

ومنه نسخة في خزانة قلبج علي باشا باستانبول رقمها : ٩٣٠ ، والكتاب من الكتب المشهورة عند النحاة القدماء ، قالوا انه ألفه لعضد الدولة بن بويه ، وقد كان عضد الدولة من تلاميذه ، وله ألف الإيضاح في العربية وقواعدها .

٢١ ــ شرح ديوان المتنبي :

شرح أبو الفتح ديوان المتنبي مرتين ، الأولى كبيرة في ألف ورقة ونيف كما ذكر ذلك في الإجازة ، والثانية صغيرة في مائة وخمسين ورقة . وذكر ابن النديم أن اسم الأول (الفسر) ، والثاني (معاني أبي الطيب) [١] . وقال الصابي في (تاريخ الوزراء) : إن ابن جني فسر شعر المتنبي تفسيراً استقصاه واستوفاه ، وأورد فيه من النحو واللغة طرفاً كبيراً ولقب ذلك (بالفسر) [٢] ، وقال ابن خلكان [٣] : ان اسمه (الصبر) ونقله عنه السيد هاشم الندوي [٤] ، قلت : والصواب ما ذكره ابن النديم والصابي ، لأن الفسر في اللغة هو الإبانة والكشف عن المغطى ، وليس في معاني (الصبر) ما يصلح أن يسمى به الكتاب ، فما في وفيات ابن خلكان هو من أغلاط النساخ غالباً .

ومن الشرح الكبير نسخة بدار الكتب المصرية كتبت بقلم معتاد في أواخر ربيع الأول سنة ٥٢٧ [٥] . ويوجد المجلد الثاني منه في مكتبة الاسكوريال باسبانيا ورقمه : ٣٠٩ [٦] ، ويوجد كاملاً في ثلاث مجلدات في المتحفة الاسيوية بموسكو ورقمه : ٢٧٥ [٧] ، وتوجد منه نسخة كاملة في المتحفة البريطانية ورقمها :

---

(١) الفهرست ١٢٧
(٢) تاريخ الوزراء ٤١٧
(٣) الوفيات ١ / ٣١٣
(٤) تذكرة النوادر ص ١٢٧
(٥) فهرس الدار ٣ / ١٩١
(٦) انظر فهرس الاسكوريال الجديد
(٧) في بترسبورغ سنة ١٨٨١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

١٠٤٠ ، ونسخة في خزانة الرباط رقمها : ٣٢٦ ، ويوجد الجزء الأول منه في خزانة برلين ورقمه : ٧٥٦٩ .

وفي المكتبة الأحمدية بحلب الشرح الصغير باسم (معاني أبي الطيب) ، وهو بخط جيد مضبوط بالحركات ورقمه : ١١٥٧ ، والنسخة مكتوبة سنة ٥٨١ ، والشرح مختصر يكاد يقتصر على تفسير الكلمات الغريبة والمعاني المجملة .

وقد ردّ جماعات كثيرون على ابن جني في شرحيه هذين (١) .

٢٢ ــ شرح الفصيح :

ألف الإمام أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني إمام الكوفيين (ــ ٢٩١) كتابه (الفصيح) فتناوله العلماء بالشرح والتعليق عليه منذ زمن مبكر ، ومن أقدم من شرحه إمامنا ابن جني ، ولكنه لم يذكره في الإجازة وإنما ذكره ياقوت والسيوطي وطاش كبري في عداد كتبه ، ولم يذكره بروكلمان في كتبه المفقودة (٢) ، وقد نقبت كثيراً في الفهارس المعروفة فلم أهتد الى ذكر شيء عنه .

٢٣ ــ شرح الكافي :

الكافي هو من كتب الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي (ــ ٢١٥) وقد عني به علماء العروض القدماء فشرحوه وعلقوا عليه ومنهم ابن جني ولكنه لم يذكره في الإجازة ، وإنما ذكره ياقوت فقال : (شرح الكافي في القوافي) وذكره الخطيب البغدادي باسم (شرح القوافي) وذكره ابن خلكان باسم (الكافي في شرح قوافي الأخفش) ، وذكره القصّاص باسم : الكافي في القوافي (٣) .

(١) انظر تذكرة النوادر ١٢٨ ، والبغية ٣٤٨ ومفتاح السعادة ١ / ١٨٩ والوفيات لابن خلكان ١ / ٣٩٤ وخزانة الأدب للبغدادي ١ / ٣٨٢

(٢) انظر البغية ومفتاح السعادة ١ / ١٣٤

(٣) انظر تاريخ بغداد ١ / ٣١١ وابن خلكان ١ / ٣١٣ والكشف ٢ / ١٣١٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٢٤ ــ شرح مستغلق الحماسة :

حماسة أبي تمام الطائي الشاعر الأشهر (ــ ٢٣١) كتاب نفيس مخدوم منذ القديم . وممن خدمه ابن جني فشرحه وعلق عليه وعلى اسماء شعرائه ، وذكره ابن جني في الإجازة فقال : « وكتابي في شرح مستغلق أبيات الحماسة واشتقاق أسماء شعرائها ومقداره خمسمائة ورقة » ، قلت : ويظهر أن لابن جني كتابين على الحماسة أولهما : في شرح مشكل أبيات الحماسة لأبي تمام واسم هذا الكتاب « التنبيه » وهو نيف وأربعمائة ورقة (١) ومنه نسخة في دار الكتب المصرية مكتوبة سنة ٦٨٢ (٢) ونسخة بباريس رقمها : ٣٢٨٥ وثالثة في خزانة طوب قپو رقمها : ٢٣٩٦ ورابعة في خزانة يكي أحمد خان : ٩٦٦ (٣) . وثانيهما شرح أسماء شعراء الحماسة واسمه (المبهج) وقد ذكره ابن خلكان باسم (المنهج) بالنون ولعل هذا من تحريف النساخ ، ومنه ثلاث نسخ بمصر (٤) وقد طبع الكتاب الأول بمصر سنة ١٩٢٧ ، والثاني بدمشق سنة ١٣٤٨ . وقد رد الامام منصور بن مسلم بن علي بن أبي الخرجين أبو نصر الحلبي النحوي المعروف بابن أبي الدميك على ابن جني في شرح الحماسة ، وقال السيوطي في البغية : له تصانيف وردود على ابن جني منها تتمة ما قصر فيه ابن جني في شرح أبيات الحماسة (٥) وما نعرف هذا الكتاب موجوداً . وجمع بين الكتابين (التنبيه) و (المبهج) الامام أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن ملكون الحضرمي

---

(١) تاريخ آداب اللغة لزيدان ٢ / ٣٠٢

(٢) انظر فهرس الدار ٣ / ٦٩

(٣) انظر Revista degli Studü Ojen toli IV, 1715 وبروكلمان : GAL ١ / ٢٠

(٤) انظر فهرس الدار ٢ / ١٨

(٥) بغية الوعاة ٣٨٩ واعلام النبلاء ٤ / ٢٦٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(— ٥٨٤) [1] ، وينقل شارح الحماسة البغدادي كثيراً عن كتاب يسميه إعراب الحماسة [2] ولا أدري ما هو ومن مؤلفه .

٢٥ ــ شرح المقصور والممدود :

ذكره في الاجازة فقال : (وكتابي شرح المقصور والممدود عن يعقوب ابن اسحق السكيت [3] وحجمه أربعمائة ورقة) وقد ذكره ابن خلكان فقال : (وله المقصور والممدود) ، ولم أعثر على ذكر هذا الكتاب في المراجع التي بين يدي .

٢٦ ــ الشعر :

هو كتاب لأستاذه أبي علي الفارسي رواه عنه ابن جني وعلق عليه تعليقات لغوية ومنه نسخة بمكتبة برلين رقمها ٦٤٦٥ .

٢٧ ــ شواذ القرآن :

هو رسالة بحث فيها عن بعض مشكلات اشتكها بعض علماء عصره في إعراب القرآن ورسمه ونقطه ومنه نسخة في برلين رقمها ٦٧٤ .

٢٨ ــ علل التثنية :

لم يذكره مترجموه ومنه نسخة في مكتبة ليدن رقمها ١٤٥ .

(للبحث صلة) الدكتور محمد أسعد طلس

---

(١) تذكرة النوادر ١٢٩

(٢) انظر اقليد الخزانة للراجكوتي ٤٤

(٣) الامام أبي يوسف يعقوب بن اسحق المعروف بابن السكيت (— ٢٤٤) عدة كتب لغوية وصرفية أجلها إصلاح المنطق ، والأضداد والقلب والابدال وقد طبعت ، أما كتاب المقصور والممدود فلم يعثر عليه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

التعريف والنقد

كتاب نقد الشعر

لقدامة بن جعفر

عُني بتصحيحه س . أ . بونيبا كر

طبع في مطبعة بريل في مدينة ليدن

صدّر الأستاذ بونيبا كر كتاب نقد الشعر بتمهيد أشار فيه الى ترجمة قدامة ابن جعفر المدوّنة في دائرة المعارف الإسلامية وأضاف الى هذه الترجمة بعض أمور تتصل بقدامة نفسه وبكتابه ثم ذكر الأقسام التي يشتمل عليها كتاب نقد الشعر وهي ثلاثة : قسم ذكرت فيه عناصر الشعر الأربعة : اللفظ والمعنى والوزن والتقفية ، وقسم ذكرت فيه نعوت الشعر ، وقسم اختصه قدامة بعيوب الشعر

ومن المهم أن نشير الى رأي المصحح في كتاب نقد الشعر من حيث بعض مصادر هذا الكتاب ففي رأيه أن قدامة أخذ عن آراء الفلاسفة اليونانيين مثل جالينوس وأفلاطون والرواقيين، وأرسطاطاليس وأيّد رأيه هذا ببعض أقوال قدامة وبشواهد من كتابه وكما أخذ قدامة عن الفلاسفة اليونانيين فقد أخذ عنه كثير من الكتّاب جاءوا بعده ولكن الأستاذ المصحح لم يستطع أن يقطع هذا الأمر وإنما وقف فيه موقف الشك . ثم ذكر الكتب التي رجع اليها في تحقيق كتاب نقد الشعر مثل كتاب الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء وكتاب الموازنة وكتاب الصناعتين وكتاب زهر الآداب وكتاب العمدة وكتاب سرّ الفصاحة وغيرها من الكتب ، ثم أتى على ذكر المخطوطات التي استند اليها في تحقيق نقد الشعر وأكثرها في دور كتب أوروبة وأميركة ثم ذكر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بعض المصطلحات التي لجأ اليها لتسهل على القارئ معرفتها ويبيّن المراجع التي رجع اليها .

هذا أبرز ما جاء في التمهيد الذي وضعه الأستاذ المصحح وترجمه سعد الدين توفيق وفي آخر الكتاب فصل طويل باللغة الانكليزية بسط فيه « بونيباكر » أشياء كثيرة تتعلق بترجمة قدامة بن جعفر وبكتابه وقد لخّص في هذا الفصل طائفة من آراء قدامة وتضمّن هذا التلخيص بعض مناقشات وايضاحات وتوسّع صاحب الفصل في الكلام على تأثير الفلاسفة اليونانيين في كتاب نقد الشعر وعلى تأثير هذا الكتاب في الكتب التي جاءت بعده .

ولا بأس بعد هذا كله بأن نعلن بجودة طبع الكتاب وبحسن ورقه .

أما الكتاب نفسه : نقد الشعر فان شهرته تغني عن الزيادة في الايضاح والتعريف فقد حبس قدامة مجهوده فيه على تخليص جيّد الشعر من رديئه لأن الناس في رأيه يخبطون في علم الجيّد من الشعر من رديئه منذ تفقهوا في العلم فقليلاً ما يصيبون .

واذا كان الناس يخبطون في مثل هذا الأمر على أيام قدامة بن جعفر فكيف يكون خبطهم فيه على أيامنا هذه ومن المؤلم أن اتساع العصر في مذاهب الثقافة وسرعة الحياة والاهتمام بتكاليفها كل هذا قد زاد في الخبط الذي ألم منه قدامة في الماضي فلم نعد نعتني باللفظ حتى أصبحنا نعتقد ان هذا الاعتناء إنما هو من عرض الأمور لا من جوهرها ولم نعد نعرف ما لوضع اللفظ في مواضعه من جليل الشأن في أمور الفن ذاتها وفي الحياة كلها فأكثر ما نشهد في عصرنا هذا مما نسميه سوء التفاهم إنما هو ناشيٌ عن سوء فهمنا لوجوه اللفظ وما أصدق ما قاله إمام من أئمة كتاب الغرب من أن البشر يتناحرون لأنهم لا يتفاهمون . إن وضع اللفظ في مواضعه رأس قواعد الفن ومن هذا يتبيّن لنا خطأ هؤلاء الكتّاب الذين يفردون في بعض كتبهم أبواباً يشحنون فيها ألفاظاً مجرّدة ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

متقاربة في المعاني حتى يسهل على القارئ الاستعانة بها في مقتضى الحال فكأنهم لا يعلمون أن اللفظ لا تظهر محاسنه أو مساويه إلاّ في مواضعه من الاستعمال أما تجريده من هذه المواضع فما هو إلاّ علامة موت هذا اللفظ .

فاذا علمنا هذا كله أدركنا جلائل فوائد كتاب نقد الشعر ولا سيما خوضه في عيوب اللفظ وقد بلغ من قلة عنايتنا باللغة في العصر الذي نعيش فيه أن بعض الشباب من شعرائنا قد بطلت في معتقدهم مسئلة اللغة ، معنى هذا أنه يجوز لشاعر هذا العصر أن يقرن لفظاً بأي لفظ يريد وأن يضيف لفظاً الى أي لفظ يشأ سواء أكان في ذلك شيء من التناسب أم لم يكن ولست أدري كيف يكون مصير الذوق الفني إذا رسخت أمثال هذه الآراء في الأذهان ، لا بل كيف يكون مصير اللغة نفسها .

من هذا كله نعرف فضل جعفر بن قدامة ونظرائه من الأئمة في ترويض أذواقنا على المحاسن ومن هذا كله ندرك أسفنا على شيوخ اللغة الذين كانوا في أوائل هذا العصر وفي أواخر العصر الذي فات واقفين للكتّاب والشعراء بالمرصاد ينبهونهم على كل انحراف عن الذوق في اللغة والشيخ اليازجي في مقدمتهم . رحمهم الله أوسع الرحمات .

الكميت بن زيد الأسدي

تأليف الدكتور أحمد صلاح الدين نجا

دار المصر للطبع والنشر

وضع رئيس الجامعة اللبنانية الأستاذ فؤاد افرام البستاني مقدمة لكتاب : الكميت بن زيد الأسدي ، ذكر فيها توجّه هذا العصر نحو التوسع في الدراسات الأدبية وتنويع موضوعاتها بحيث انصرف الكتّاب الباحثون الى التعمق في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

دراسة أديب واحد أو تحليل مظهر مستقل من مظاهر الأدب فازداد بذلك الضبط في الدرس والدقة في الأحكام .

من هذه الدراسات كتاب الكميت الذي يشتمل على وصف جامع لشاعر الهاشميات ويوضح أثره في مجتمعه من نواحي الدين والسياسة والأدب ويصور حقبة عصيبة في تاريخ الإسلام .

يتضمن كتاب الكميت قسمين : درس المؤلف في القسم الأول حياة الشاعر وفنه ودرس في القسم الثاني مختلف آرائه في السياسة والدين ، واذا أردنا أن نعرف خلاصة الرأي في الكميت بن زيد فلنسمع ما قاله الدكتور نجا :

« لقد كان الكميت بن زيد أحد الشعراء السياسيين الذائعي الصيت وأول من انبرى بجراءة وعنف للدفاع عن حزب مضطهد ، بينما كان زملاؤه لا يجرأون على رفع أصواتهم في وجوه السلطات التي كانت تهددهم تارة وترهبهم تارة أخرى ، زد على ذلك فلقد كان أول شاعر دعم آراءه ببراهين دامغة وحجج وسخر بأعدائه وشهر بهم وانتقص شأنهم ، غدا الموت على بعد خطوات منه في المرة الأولى ولكنه ما عتم أن أدركه أخيراً وأودى به ، كل ذلك بسبب وفائه لعقيدته واستماكه بعروتها » .

هذه صورة تلخص لنا على اختصارها عقيدة الكميت في السياسة ودفاعه عن هذه العقيدة وموته في سبيلها .

لا شك في أن الذي يطالع كتاب الكميت يشعر لأول وهلة بجهد صاحبه في البحث والتنقيب على أصول حديثة تشبه الأصول التي يجري عليها أساتذة الغرب ، فهو قد استنفد وسعه في الرجوع الى المصادر المشتتة وتمحيصها حتى ظهرت آثار الحياة على كل فصل من فصول الكتاب فانه لما أفاض في الكلام على البديع في شعر الكميت وعلى تقليده شعراء الجاهلية في وصف الطبيعة وبعض حيوانها وعلى تجديده لمذاهب الشعر من حيث زهده في الغزل وسخريته بالوقوف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

على الأطلال والبكاء والاستبكاء وفّى هذه الموضوعات كلها حقّها من البحث .

واذا كانت مباحث القسم الأول من الكتاب على هذا الشكل الذي أشرت اليه فقد أستغني عن الإشارة الى مباحث القسم الثاني منه لأن روح البحث تكاد تكون واحدة في القسمين .

إلاّ أنه يؤسفنا أن يتفاوت أسلوب الكاتب في بعض مواطن من كتابه وإذا كانت طائفة من الانحرافات عن اللغة لا تذهب برونق هذه الدراسة المتينة فهل عليّ من حرج إن نبهت على بعض هذه الانحرافات ، من ذلك جمع الكاتب نيّة على نوايا والمعروف انها تجمع على نيّات ومن ذلك استعماله التحاوير ولم أهتدِ الى حقيقة معناها أو استعماله النضوج بدل النضج الذي نصّ عليه بعض كتب اللغة أو استعماله التعيس بدل التاعس والتعِس ومن ذلك خروجه ببعض الألفاظ عن أصل معناها مثل ايراد الانكماش في معنى الانقباض على حين أن معنى هذه المادة الإسراع ومن ذلك اختلال بعض التراكيب مثل قوله : يسرّان الى بعضهما على حين يجب أن يقال في هذا المقام : يسرُّ بعض الى بعض أو يتسارّون[1] .

على أني لست من رجال اللغة حتى أجزم فعسى أن يجد أهل اللغة مسوّغًا لما ظننته من فاسد الاستعمال .

وإني لأغتنم هذه الفرصة للإشارة الى رأي استفاض في عصرنا هذا فقد نعتقد انه يجوز لنا الانحراف عن جوهر اللغة وأصولها في بعض الأوقات على سبيل التطور والذي نعرفه أن التطور يفيد الانتقال من وجه كامل إلى وجه أكمل فما هو الكمال في الخروج بألفاظ عن أصل معانيها إنّا نعلم أن الاسلام خرج بطائفة من الألفاظ عن معانيها في الجاهلية وجعل لها معاني إسلامية لم

(١) النوايا : الصفحة ٢٠١ . التحاوير : الصفحه ١٤٥ . النضوج : الصفحة ٣١ . التعيس : الصفحة ٦٠ . الانكماش : الصفحة ٨١ . يسران الى بعضهما : الصفحة ٧٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تكن لها من قبلُ فلا شك في أن أمراً مثل هذا الأمر أدّى اليه التطور لأن الإسلام جاء بأفكار حديثة لم تكن لها ألفاظ تدلّ عليها فلا بدّ لهذه الأفكار الحديثة من ألفاظ حديثة ولكن أيُّ عذر لنا اليوم في استعمال رضخ له بمعنى خضع واطراح هذه المادة المألوفة الخفيفة فاذا جاز لكل واحدٍ منا أن يحوّل معاني الكلم عن مواضعها جرياً على ما نسميه التطور فلست أدري الى أين تصير لغتنا بعد حين من الدهر فاذا كانت اللغة كريشة في مهبِّ الريح فلا ريب في أن العصر الآتي يكاد لا يفهم لغة العصر الحاضر فتصبح اللغة حينئذٍ فوضى والعياذ بالله .

أحاديث القرية

أقاصيص وذكريات

مارون عبود

لما كان الشدياق الكبير في لندن شهد مشاهد كثيرة فيها ، من جملتها التمثيل وقد وصف مسارحه وألعابه أدقّ وصف ، ونقد طول الوقت في بعض الألعاب ، فذكّره طول بعض المشاهد طول بعض الروايات فقال :

« فلو قصروا الوقت وأجادوا اللعب لكان أولى وهذا كالتزام بعض المؤلفين عندهم لنوع يسمى : « نوفل » وهو أن يجعلوا الكتاب ثلاثة مجلّدات فيسفسفون ويدققون ويأتون بالغث والثمين » .

لم يألف الشدياق فنّ الرواية على الرغم من اجتماع كل عناصرها له كالاختبار والتصوير والتحليل واللغة وما يشابه ذلك ، انّه يرى في الرواية الغث والثمين وقد يجوز لنا أن نرى في القصة ما رآه الشدياق في الرواية على تباعد هذين النوعين .

استفاضت القصة في أدبنا كثيراً وأخذ بعض الكتّاب يميلون اليها ، منهم من تهيأت لهم أسبابها ومنهم من يخبص فيها خبصاً فيعتقد أن القصة عبارة عن حكاية يحكيها الإنسان في مجلسه لقتل الوقت ، على أنّ للقصة فنّاً خاصاً لا مجال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

للخوض فيه في هذا المقام فقد تحتاج الى البساطة والصدق والدراسة والتصوير واللغة وغير ذلك فاذا كانت القصة مجرّد صف كلام فالاستغناء عنها أولى وقد نجد أن فريقاً من الأدباء في أوروبة طفقوا يسأمون الرواية ولست أدري هل يسأمون القصة أيضاً فقد ملّوا هذا النوع من اختراع الأشخاص والحوادث فيها وأحبّوا أن يواجه الكاتب القرّاء مواجهة بحوادثه الخاصة فهم يفضلون المذكرات على هذه الأنواع الأدبية ، وهل أنا على حق إذا دخلت في مذهب هؤلاء الأدباء فاذا كنت أرى في بعض روايات الغربيين وقصصهم آيات بيّنات في التحليل والدراسة والتصوير فلست أرى في أدبنا من هذه الأمور شيئاً ذا بال .

أمّا أقاصيص الأستاذ مارون عبود ففيها شيء مما يراه الشدياق في الروايات وفيها شيء مما يريده الذين فضّلوا المذكرات ، لقد حاول الأستاذ عبود على نحو ما دلّ عليه عنوان قصصه أن يصور مجالس القرى في لبنان وأحاديث أهلها وما يدخل في هذه الأحاديث من التصورات والأفكار وأساليب المخاطبات كما حاول أن يثبت فيها طائفة من ذكرياته ، ولم يخلُ هذا كله من الطبع أحياناً ومن التصنع أحياناً فكما ظهرت آثار الطبع في خطبة المرحوم جدّه في قصة الاستسقاء فقد ظهر شيء من آثار التصنع في قصة أولى معاركه الأدبية .

أمّا اللغة الشائعة في هذه القصص فأكثرها ملائم لروح القصة مثل هذه التعابير البسيطة : خف ربك يا رجل ... تسأل خاطرك ... جبر خاطره ... وهي لا تخلو من تعابير عامية تعمّدها الأستاذ مثل : يا ضيعان تعبي ... اضحكوا في عبّكم ... وقد أفضى التصنع في بعض القصص الى التصنع في بعض التعابير مثل قوله : ضرب الدابّة بعصا لسعي رأسها فخلتها عصا موسى تستحيل ثعباناً عند ذكر فرعون .

على أني أرى براعة الأستاذ مارون عبود في آفاق أدبية ثانية ، فما أزال أذكر براعته في كتابه : بديع الزمان الهمذاني .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مجلة كلية الآداب والعلوم

تصدرها كلية الآداب والعلوم ببغداد

أصدرت كلية الآداب والعلوم في بغداد العدد الأول من مجلّتها وقد صدّر هذا العدد عميد الكلية الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري بمقدمة دلّت على فهم دقيق لمهمة الجامعة في الحياة ، فليس هدف الكليات الاقتصار على نشر الدراسات الجامعية ، وإنما هدفها بعث روح البحث والتتبع وتقوية ملكة النقد ، حتى تنتقل الجامعة من التقليد الى الإنتاج والإبداع ، فتجد السبيل الى حلّ مشاكل البيئة التي تعيش فيها ، مشاكل الاجتماع والاقتصاد وغيرهما .

لم تعدْ الجامعة في عصرنا هذا مركز تدريس لتوزيع الشهادات والإجازات في آخر كل سنة ، وإنما هي بمثابة مركز يعين على حرية الفكر واستقلاله ، وعلى توسيع آفاق هذا الفكر ، فالجامعات في أكثر بلاد العالم تهدي المجتمع سواء السبيل في الحرية والاستقلال ، وترشده الى كل ما ينمّي مظاهر الحياة فيه . والجامعة التي ما تزال تحبس مهمتها على التدريس وعلى توزيع الإجازات ، دون أن تعنى بالتدريب على الانتاج والإبداع ، إنما هي جامعة مقصِرة في غايتها السامية ، فقد آن للجامعات في بلاد العرب أن تفطن الى حقيقة مهمتها ، وأن تعمل على اداء رسالتها ، وإذا كان المال في أكثر هذه الجامعات هو الذي يحول دون الوصول الى هذه الغاية ، فلا عذر للحكومات في التضييق على جامعاتها .

هذا ما أوحته الينا مقدمة الأستاذ العميد ، وإذا أردنا أن نعرف جلالة قدر الموضوعات التي اشتملت عليها مجلة كلية الآداب والعلوم في بغداد لزمنا أن نذكر عناوين هذه الموضوعات ، وهذه هي مباحث العدد الأول من المجلة :

إحساس الشعراء العرب بالألوان والأصوات : للأستاذ الدكتور جميل سعيد وكيل عميد كلية الآداب والعلوم ورئيس قسم اللغة العربية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أحكام الرسول في الأراضي المفتوحة : للأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي وكيل رئيس قسم التاريخ .

المعاهد الخيرية النسوية القديمة في العراق : للدكتور مصطفى جواد الأستاذ في قسم اللغة العربية بدار المعلمين العالية .

التصنيع والتقدم الاقتصادي : للدكتور محمد جواد العبومي أستاذ مساعد في قسم الاقتصاد .

روسيا السوفيتية والشرق الأوسط : للدكتور جعفر حسين خصباك الأستاذ المساعد في قسم التأريخ .

رأي في موضوع علم النحو : للدكتور مهدي المخزومي المدرس في قسم اللغة العربية .

قصة الابستاق : للأستاذ أحمد ناجي القيسي المدرس في قسم اللغة العربية .

نظرة في تاريخ الأدب المسرحي — المسرحية اليونانية : للدكتور علي الزيدي المدرس في قسم اللغة العربية .

هذا ما تضمّنه العدد الأول من مجلة كلية الآداب والعلوم . واذا كان المجال لا يتسع لتلخيص هذه المباحث الجليلة بأجمعها ، فلا أقلّ من الإشارة الى مبحث واحد منها انتخبته عرضاً وهو : إحساس الشعراء العرب بالألوان والأصوات .

بيّن الأستاذ الدكتور جميل سعيد وكيل عميد كلية الآداب والعلوم في مقاله هذا أن إحساس الشعراء العرب في موضوعات الطبيعة لا يقل عن إحساس الغربيين ، وانتقل من هذه الفكرة العامة الى التخصيص والتفصيل ، فأشار الى محاولة شعرائنا إعادة أصوات الطبيعة في شعرهم ، كدويّ البحر وخرير الماء وهديل الحمام وغير ذلك وذكر الصلة بين حديث الشاعر عن هذه الأصوات وبين خوالج نفسه على نحو ما فعل ابن الرومي الذي كان يمزج الطبيعة بشبابه وحبيبه ، وما يقال في أصوات الطبيعة يقال في ألوانها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولم يغفل الأستاذ عن توضيح ما لبيئة الجغرافية من أثر في شعر الطبيعة عامة ، وفي الحديث عن الأصوات والألوان خاصة ، ويظهر هذا الأثر واضحاً في اللغة ، فان اللغة غنية غنىً عظيماً في كل ما يتصل ببيئة أهلها من حيوان أو نبات أو أشكال جغرافية كالجبال والرمال والأودية وأشباهها ، ثم أفاض الكاتب في الاستشهادات فذكر شعراً كثيراً للشعراء الذين كثرت في شعرهم صور الطبيعة في أصواتها وألوانها .

لا ريب في أن الشعراء العرب قد اتصلوا بالطبيعة من قديم العصور ولم ينفصلوا عنها ، ونستطيع أن نقول إن شعراء الجاهلية قد أعطوا جزيرتهم أكثر مما أعطتهم ، أعطتهم الشيح والقيصوم والسدر والسلم والعرفج والرند والعرار فجعلوا من هذا النبات في شعرهم حدائق غلباً .

والقرآن نفسه لم يكن بعيداً عن حسّ الطبيعة ، أفلا نذكر الآيات الكريمة التي تشير الى انفطار السماء وانشقاقها ، والى انتثار الكواكب وانكدار النجوم وتكوير الشموس وتفجير البحار وتسيير الجبال ونسفها وعسعسة الليل وتنفس الصبح وعصف الريح الصرصر العاتية والى السدر المخضود والطلح المنضود والظل الممدود والماء المسكوب والسحاب المركوم والبحر المسجور .

ولا حاجة بنا الى الإشارة الى بركة البحتري وبحيرة ابن الساعاتي والى عواصف صقلية وسردانية في رحلة ابن جبير ، إلاّ أنّه يمكننا أن نقول ان شعراء الافرنجة وكتّابهم اتصلوا بالطبيعة بحواسّهم وأرواحهم فخلقوا لها قلباً يشعر شعورهم ، وعيناً تبكي بكاءهم ، وصدراً يفرح فرحهم ، فشاطروها آلامها وشاطرتهم آلامهم ، وإذا دعا بعض شعرائنا الحمام ليقاسموه الهموم ، أو عاتبوا شجر الخابور لأنه مورق لم يجزع على ابن طريف ، فهذا النوع من الاتصال الروحي بالطبيعة قليل في شعرنا ، لقد كانت الطبيعة في أدبنا لذّة الحس ولم تكن لذّة الروح فاذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

احتاجت الطبيعة في أدبنا الى شيء فانها تحتاج الى الحياة حتى تصبح مثل الأحياء فتعيش عيشتهم وتشعر شعورهم .

واذا اغتنمت هذه الفرصة لأستطرد مثل هذا الاستطراد فجدير بي أن أرجع الى مبحث الدكتور جميل سعيد لأقول فيه ان صاحبه الأستاذ قد أدّى رسالته الجامعية أحسن تأدية . لم يكن مقاله تدريساً جامعياً لا غير وإنما خرج فيه عن التقليد الى الإبداع فأتى فيه بكل طريف .

ويؤسفني جداً أن يضيق بي المجال للتنويه بمباحث المجلة كلها وبمجهودات أساتذة الكلية الأفاضل . والشيء الذي لا بدّ من الثناء عليه في هذا المقام إنما هو نشر مباحث لطائفة من أساتذة الكلية باللغة الانكليزية ، وليس في هذا الأمر ما يدخل الضيم على القومية العربية ، فقد آن أن يعرف رجال أوروبة وأميركة أساتذتنا ، وأن يطلعوا على نتائج خواطرهم ، لأن جهلهم بمجتمعنا العربي يجعلهم يتصورون هذا المجتمع في أقبح الصور ، فينتفع بهذا التصور الفاسد عدوّ العرب نفسه ، آن لرجال أوربة وأميركة أن يعرفوا مجتمعنا العربي أصح معرفة حتى ينسخوا من أذهانهم ما علق بها من الأباطيل والأضاليل .

شفيق جبري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أيُّ غدٍ ؟

كتاب ألفه الأستاذ قسطنطين زريق ، وطبعته « دار العلم للملايين » في بيروت فجاء في ١٩٠ صفحة من القطع المتوسط

ومؤلف هذا الكتاب من أعمق رجال العرب تفكيراً ، وأقدرهم على البحث العلمي في شتى العوامل المؤدية الى نهضة قومية صحيحة في بلادنا العربية . فالذي يقرأ من مؤلفاته كتاب « الوعي القومي » ، ثم يقرأ هذا الكتاب ، يجد فيهما تحليلاً دقيقاً لما ينتاب أمتنا من أدواء ، ووصفاً صادقاً لما تحتاج اليه من دواء .

والمؤلف الفاضل قلق لما يرى في مجتمعنا من مشاكل ومن اضطراب في تفكير الأفراد ، وفي أخلاقهم ، وفي الأساليب الملتوية التي يعالجون بها شؤونهم الخاصة ، وشؤون المجتمع العامة سواء أكانت اقتصادية أم سياسية أم اجتماعية أم ثقافية .

ولهذا راح يرسم في كتابه هذا صورة دقيقة حكيمة لما يجب أن يكون عليه الفرد والجماعة في مستقبل أمتنا العربية . فتناول بالبحث المفكر العربي وواجباته ، والمجتمع التقدمي وصفاته ، والتنظيم وعوامله ، ومجتمعنا العربي وحقائقه وعلله وما يصلح له من تربية ، ثم ماهية الثقافة الحديثة وبعدنا عنها وما ينبغي لنا اقتباسه منها ، وأخيراً سبيلنا الى أفضل ثقافة ننشدها لأمتنا العربية .

والمؤلف ، على ما هو واضح في كتابه ، من المؤمنين مثلنا بالقومية العربية ؛ فهو حين يبالغ في كشف القناع عما في مجتمعنا من عيوب وشوائب ، لا يبغي من ذلك إلا الدعوة الى تجنبها ، لكي نستطيع العيش في بلادنا عيشة مستقلة كريمة ، ولكي يكون في وسعنا مقارعة الاستعمار والصهيونية بالوسائل التي تلجأ اليها الأقوام المتحضرة في مكافحة العادين عليها ، وأهم هذه الوسائل سلامة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

التفكير ، ودقة التنظيم ، وصحة التثقيف ، والتحلي بقويم الأخلاق وصادق الوطنية . ومن الواضح أنه متى أخذت أمة من الأمم بهذه الوسائل الأساسية حصلت فيها قوة معنوية ومادية تدرأ عنها طمع الطامعين بسيادتها السياسية وبخيراتها الاقتصادية .

الشهابي

علم الأمراض الباطنة

(الجزء السابع)

أمراض الغدد الصم والتغذية والتسممات

تأليف الدكتور حسني صبح

أستاذ الأمراض الباطنة وسريرياتها في كلية الطب وعضو المجمع العلمي العربي

مطبعة الجامعة السورية ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٦ م

هو الحلقة السابعة والأخيرة من تلك السلسلة القيمة التي اكتملت بها تلك الموسوعة العربية في الأمراض الباطنة التي تعد بحق الأولى في بابها من حيث سهولة اللغة وفصاحتها ومن حيث الإحاطة بأحدث ما كتب في هذا الموضوع ومن حيث تخير المصطلحات الطبية المألوفة القريبة من الفهم والدلالة على المقصود ومن حيث غزارة المادة ووفرة الرسوم والصور وجودة الورق والطبع . فهي عقد فريد ازدانت به لغة الضاد العلمية . سد به زميلنا الأستاذ حسني صبح فراغاً كبيراً يستحق عليه أفضل الثناء .

يحوي هذا الجزء ثلاثة كتب : الأول منها في أمراض الغدد الصم ، ويبحث في كلياتها ثم في علامات اضطرابها ثم في عللها مبتدئاً بالغدة النخامية ثم الدرق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومجاوراته ثم الكظرين ثم غدد التناسل ثم التيموس والغدة الصنوبرية وينتهي في التناذرات الغدية المشتركة ٠

ويبحث الكتاب الثاني في أمراض التغذية مبتدئاً بكميات هذا المطلب ثم يبحث في اضطراب تطور الفليكوجين وماءات الكاربون ثم في اضطراب تطور البروتئينات ثم الادهان ثم يبحث في نقص التغذية والعلل الناجمة عن عوز الفيتامينات ٠

ويبحث الكتاب الثالث في التسممات والعلل الناجمة عن العوامل الكيمياوية ٠ فيدرس السموم الغذائية والحيوانية المنشأ ٠ ثم يبحث في الانسمام بالسموم المعدنية والنباتية والعضوية ثم في الانسمامات المختلفة الأخرى كالانسمام بالغازات والأشعة وبفرط الفيتامين وغيرها ٠

وفي ختام هذا الجزء فهرس المواد مرتباً على الحروف الهجائية ، ومعجم المصطلحات العربي الافرنسي ، ومعجم المصطلحات الافرنسي العربي ٠ وأخيراً جدول التصويب ٠

وقد جاء هذا الجزء في ٥٦٦ صفحة ٠ متقن الطبع صقيل الورق ينطق بفضل مؤلفه ٠ وبالجهد الكبير الذي بذله لإخراجه والذي نرجو أن يستمر بلا انقطاع لإخراج ملاحق له سنوية تحوي كل ما يدخل على موضوعه من تطور وتجدد كيلا يفقد فائدته ، وكي يحتفظ بجدته ، ويؤتي أكله كل حين ٠

الدكتور أسعد الحكيم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عمدة التفسير
عن الحافظ ابن كثير
(٧٠٠ – ٧٧٤)
اختصار وتحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر

امتاز الحافظ العماد بن كثير – كالإمام محمد بن جرير الطبري – بتفسيره القرآن بالقرآن ، وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وبذكر ما ورد من الأحاديث في معاني الآيات بأسانيدها ، مع العزو إلى مخرجيها أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد ، وأعظم بهذا التفسير الذي يجدد لك فهم القرآن بلسان عربي مبين ، فتعلم معانيه بمفرداته وأساليبه علماً يدعوك الى العمل ، ويدنيك من الصدر الأول ، ويعرفك الأسباب التي وردت الآيات في شأنها ، والمقاصد العليا التي أنزل القرآن من أجلها ، بالإفصاح عن معاني التنزيل ، والبعد عن الإغراب في الإعراب ، وتكثير الوجوه والمحتملات اللفظية ، وعن الاشتغال بعلوم ومباحث أخرى لا يتوقف عليها فهم الآيات الكريمة ، ولا الاهتداء بهدى القرآن ، وقد ترك ابن كثير الشيء الكثير من القصص الاسرائيلية ، ونبه على كذب البعض منها ، ولكنه أورد بعضاً آخر بلا تحقيق ولا تمحيص . وما زال علماء الحديث أمثاله يحذرون في كتبهم مما وضعه الوضاعون ، حتى صارت الإسرائيليات مضرب المثل عندهم في الكذب ، ولعل هذا هو مراد الحديث : وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج .

وقد عني العلامة المحدث الشيخ أحمد محمد شاكر الشهير باختصار تفسير الحافظ العماد بن كثير وتحقيقه ، والأصل مطبوع عدة طبعات في مطابع بولاق والمنار وغيرهما ، فرأى الأستاذ أن يعاد طبعه طبعة علمية محققة ، يرجع فيها إلى النسخ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المخطوطة منه ما أمكن ، وإلى دواوين السنة التي ينقل عنها المؤلف ، وإلى كتب رجال الحديث والتراجم ، لتصحيح أسماء الرجال في الأسانيد ، وهم كما قال شيء كثير وعدد ضخم . وقد بدا للأستاذ المختصر أن يعيد طبع الأصل محققاً مدققاً كهذا المختصر ، ولكنه قدمه على الأصل لأنه أيسر وأقرب . وقد تصفحنا هذا المختصر فوجدنا محققه يعود إلى الأصول الخطية لا سيما « مخطوطة الأزهر » التي جعلها العمدة في التصحيح ، ويحافظ على مزايا تفسير ابن كثير من إيراد الشواهد القرآنية التي يؤيد بعضها بعضاً ، ومن إثبات آراء المؤلف في الترجيح ، ومن اعتماد أصح الأحاديث ، وأقواها اسناداً ، وأوضحها لفظاً ، والاكتفاء بذكر الحديث عن الصحابي راويه ، وحذف المكرر من أقوال الصحابة فمن بعدهم من الأئمة ، ونفي كل الأخبار الاسرائيلية وما أشبهها ، والاستغناء عن أكثر ما أطال به المؤلف من الأبحاث الكلامية ، والفروع الفقهية ، والمناقشات اللغوية واللفظية ، والاقتصار على موضع الشاهد من مطولات الأحاديث مع رسم الآيات المفسرة وفقاً للمصحف العثماني ، وإثبات رقمها عليها ، إلى آخر ما أوضحه في مقدمته .

وكنا نرجو من الأستاذ الصديق الجليل أن يضع لنا في رأس كل صفحة جملة تعبر عما تضمنته تلك الصفحة من تفسير ، جرياً على قاعدة أستاذنا صاحب المنار المنير ، وأن يعتمد في التصحيح على النسخة المخطوطة من هذا التفسير ، المحفوظة في خزانة الكتب بالحرم المكي الشريف ، التي اطلع عليها السيد الإمام صاحب المنار في موسم الحج سنة ١٣٤٤ هـ ، قال رحمه الله في خاتمة الطبع : « وهي من حيث الصحة والتنقيح لا نظير لها في هذا العصر ، فقد كتبت في عصر المؤلف ، بل قبل وفاته » . هذا وقد كتبنا إلى صديقنا الأستاذ المختصر بما لاحظناه ، فأجابنا بأنه يرى أن كتابة المواضيع في رؤوس الصحف غير محببة ومن النادر أن يقرأها أحد ، (قال) : فلذلك لم أتخذ هذه الخطة في أي كتاب . وبأن نسخة مكة التي اعتمدها الإمام السيد رشيد رضا في التصحيح كأنها ممثلة في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

طبعته . (قال) : وقد تبين لي أن نسخة الأزهر أصح منها جداً كما بينت في مقدمتي ، ثم وجه الأستاذ الأنظار إلى أنه قصد بعمله في (عمدة التفسير) أن يكون عوناً سهلاً لطبقة المثقفة المتوسطة لفهم القرآن الكريم على الوجه الصحيح .

ونحن نوجه أنظار هذه الطبقة المثقفة ، بل سائر الطبقات إلى مثل هذا التفسير ، فإن القرآن الحكيم هو الذي هدى سلفنا الصالح إلى الجمع بين مصالح الروح والجسد ، فالمسلمون الأولون بعد أن سمت عقولهم بالتوحيد ، وزكت نفوسهم بضروب الأخلاق والعبادات ، عنوا أشد العناية بالعلوم والفنون النافعة التي عدّها الإسلام من الفروض ، فكانوا بذلك خير أمةٍ أخرجت للناس ، وساسوا الأمم سياسة لم يشهد التاريخ لها مثيلا ، وقد قال سبحانه : « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه » سورة الجاثية الآية ١٢ ، وهذا التسخير تسخير تمكين وانتفاع ، واكتشاف واختراع ، وقال : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً » وهذا خطاب عام لأمة القرآن يدعوهم ويوجّه نظرهم إلى ما خلق تعالى في جوف الأرض من كنوز ومعادن ، ويرشدهم إلى الاستفادة منها ، ويثبت أن جميع ما استحدثته أمم الغرب من القوى البرية والبحرية والجوية هو مما أرشد إليه الإسلام ، فردّه رد لنصوص القرآن ، وتعطيل لأحكامه ، وتجريد لهذه الأمة من كل ما يعزّز قوتها ، وينمي ثروتها ، ويحمي حوزتها ، ويدفع عوادي الشر عنها .

و (عمدة التفسير) يفسر الآيات الكريمة بالظاهر المتبادر منها ، ويشرب قلوب الطبقة المثقفة النيرة حب الدين ، ويبعث فيهم روح النشاط والاغتباط به ، ويحملهم على العمل بأحكامه ، والوقوف عند حدود أوامره ونواهيه .

أثاب الله تعالى الأستاذ الكبير « الشاكر » على حسن صنيعه ، وبارك في حياته ، وأدامه لخدمة الكتاب والسنة موئلاً وذخراً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(القرآن والترجمة)

تأليف الأستاذ عبد الرحيم محمد علي النجفي

هذه رسالة مفيدة في مباحث من القرآن الكريم وترجمته إلى لغات العالم الشرقية والغربية ، قد اشتملت على ثمانين صفحة في هذا الموضوع ، وأهديت إلى العالم المؤرخ الشيخ آغا بزرك الطهراني مؤلف (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) و (طبقات أعلام الشيعة) وقدم لها الأستاذ الشيخ محمد أمين زين الدين النجفي مقدمة وجه النظر فيها إلى إعجاز القرآن في مبانيه ومعانيه ، وأشار فيها إلى اختلاف الآراء في ترجمته الحرفية ، وصرح بالاتفاق على ترجمته التفسيرية ، وختمها ببيان موضوع هذه الرسالة .

قلت : من فوائد هذه الرسالة أن القرآن الكريم قد ترجم إلى أكثر من سبعين لغة عالمية شهيرة ، وإن زعيم القاديانية في لاهور نشر ترجمة القرآن وتفاسيره بتلك اللغة على نحو شوّه به الحقائق حيث حاول تطبيقها على عقائد أصحابه . وان المترجمين الأجانب منهم من هدفه العام ، هو نشر هذا الركن القويم من أركان الحضارة الإسلامية التي سادت العالم مدة ألف عام ، ومنهم طائفة غرضها من ترجمته الاعتراض على ما ورد فيه من حكم وقواعد عامة لنظم الحياة . وإن أول ترجمة صدرت إلى اللاتينية (عام ١١٤٣) ثم ذكر دراسة العربية في أشهر عواصم أوربا ، والحركة الصليبية ، واختلاف علماء الأزهر في ترجمته ، وآراء كبار علماء الحياة والدين في القرآن ، وشهاداتهم له ، ومنها شهادة كوك الكاتبة الأميركية ، وقولها : إن هذا الكتاب ليس ملكاً لأمة دون أمة ، فقد نزل للناس كافة ، ثم عدّ اللغات التي ترجم إليها ، وأقدم ترجمة منها ، وما تلاها ، ومنها ما رتب ترتيباً تاريخياً ، وترجمه الى الكجرانية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحاج غلام علي بن اسماعيل المعاصر ، وذكر أنه شرع في تصنيفه عام (١٣٠٥) وفرغ منه بعد خمسين سنة (١٣٥٥) وهي السنة التي قدمه فيها إلى الطبع ، ثم ترجمات المستشرقين وشروحهم . وجاء في (ج ١) من « خزائن الكتب في الخافقين » لفيليب دي طرازي : « وتلتها ترجمات وطبعات غيرها ، أحصينا منها مائة وعشرين ترجمة في خمس وثلاثين لغة شرقية وغربية » ثم وصف المصاحف النفيسة في خزانة الأستاذ فيليب ، ومصاحف في خزانة ابنته بباريس ، قال : « أما دور الكتب الأميركية فهي تفتخر باحتضانها لطائفة كبرى من نسخ القرآن الكريم المخطوطة النفيسة في قدمها ، وشكل خطها ، ونوع ورقها ، وجمال تذهيبها .

وختم الأستاذ المؤلف رسالته بقوله : « لقد قرأت يا عزيزي ما عرضته لك من هذه التراجم الضخمة للقرآن ، وعلمت أن هذا هو حال الغرب وعلمائه بالنسبة له ، فما أحرانا نحن المسلمين بالعناية به ، في إنشاء المتاحف الكبيرة ، والمعارض العالمية الشهيرة ، ـ وقد سبقونا ـ تعرض خطوطه ومخطوطاته وعلومه وفنونه وشروحه على اختلاف أنواعها وعصورها ، وأصول قراءاته وترتيله وترجماته بأجمعها ، والحث على ترجمته إلى اللغات التي لم تعرف عنه لحد الآن شيئاً . » أقول : لي كلمتان في هذا الموضوع أولاهما في التبليغ وثانيهما في الإعجاز ، أما التبليغ فالمعقول فيه أن تبلغ دعوة الإسلام لكل أمة بلغتها ، فاذا أشربتها قلوبهم تعليم عامتهم بالعربية ما تصح به عبادتهم ، وتدرس الخاصة القرآن والعلوم الدينية ، والفنون العربية والأدبية بلغة العرب . وقد انتشرت العربيه في القرن الأول وما بعده تبعاً للإسلام في قارات الأرض الثلاث (آسية وافريقيا وأوربا) ودخلت أمم كثيرة في العروبة والإسلام فصاروا عرباً ديناً ولغة ، وعبادة ومعاملة ، والقرآن هو الذي جعلهم أمة واحدة كما جاء في الكتاب المبين : « إن أمتكم هذه أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون » . ولو استغنى الأعاجم من المسلمين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عن لغة القرآن بترجمته الى لغاتهم لبطل التعبد بتلاوته ، والأخذ بهدايته ، ولعطلت عبادة الصلاة والحج وغيرهما بلغته ، وماذا يبقى يا ترى ؟

وأما الإعجاز فقد توالت الأزمان والقرآن يتحدى أهلها بالإتيان بقرآن مثله في جملته ، أو في بعض أنواع إعجازه من نظمه وأسلوبه ، وهدايته وتأثيره وعلومه ، وما ألفه أمراء البيان ، فهو يوقف على مواضع من حقيقة القرآن ومجازه ، ويجلي للناظر مطالع من إيجازه وإعجازه ، فما على دعاة الإسلام وحماته إلا العمل بما هداهم اليه هذا الوحي الإلهي ليقيموا الحضارة الإنسانية الفضلى على أنقاض المدنية المادية العاتية .

والشكر لمؤلف (القرآن والترجمة) الشاب النبيل على عنايته بهذا المبحث الجدّ ، وخدمته لهذا الكتاب العزيز ، « الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » .

جوهر الدّين ، ومنظومة إلى عموم المسلمين

تأليف عبد الحميد الخطيب

كنا وصفنا بعض الكتب التي ألفها الأستاذ الخطيب في مجلة المجمع العلمي ، وهذه رسالة ألفت في (جوهر الدين) أي مقاصده العليا ، وأعلاها التوحيد الخالص ، الذي كان عليه السلف الصالح . وقد أهدى رسالته إلى الشباب الناهض المتعلم ، وإلى الرجل الطيب القلب السليم النية ، وغرضه من إهدائها إلى هذين الصنفين ، أن ينشأ الطلاّب ـ لا سيما الذين يتربّون ويتعلمون في المدارس الإلحادية أو التبشيرية ـ على معرفة الله تعالى ، وعبادته وحده لا شريك له ، ومن ذلك التوكل عليه ، والإنابة اليه ، والاستعانة به ، والدعاء له ، والخوف منه ، والرجاء فيه ، واليك عناوين فصولها بعد خطبة الكتاب : حقيقة العبادة ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تجنب الشرك ، لا سلطان إلا بالله ، الإقرار بالوحدانية ، ما ينافي التوحيد ، تقلص الإيمان من القلوب ، سوء فهم الشفاعة ، معنى الوسيلة ، الصلة بالله تعالى ، التبرك بالأشجار والتمائم ، الاستسلام للأوهام ، الثقة بالله وحده ، حب الله ورسوله ، حقيقة الإيمان ، أركان الإسلام ، ما يجب معرفته عن الله ، مقاصد الإسلام ، إلى عموم المسلمين .

وقد عزز هذه الفصول وأيدها بالاستشهاد بالآيات الكريمة ، والأحاديث النبوية ، فكانت نوراً يسعى بين يدي القارئ ، يغذي وجدانه ، ويزيد إيمانه ، فينشأ موحداً توحيداً نقيا من الشوائب ، بعيداً عن البدع والزوائد ، لا سيما إذا بَعُد عن كتب الإلحاد التي تفسد عقائد الأمة وأخلاقها ، وتذهب بمقوماتها ومشخصاتها ، وهما مادة حياتها .

وأما العوام الذين وصفهم المؤلف بطيب القلب وسلامة النية ، فيجب أن يبتعدوا عن كتب التخريف والتحريف ، التي تزيد الأمة ضلالاً وخبالا ، وهذا نصح وتذكير من المؤلف للقراء ، فان الكتب الوافدة على البائعين كالسيل الطامي ، تارة يقذف بالدر الذي يجعل قلادة النحر ، وتارة يرمي بالخزف أو الجيف التي تفسد برائحتها الصحة العامة وجوّ البلاد الصافي . وأمّا القصيدة فهي مؤلفة مما يقرب من سبعين بيتاً ، وموضوعها إيقاظ المسلمين من غفلتهم ورقادهم ، وأولها : أيها المسلمون طرًّا أفيقوا من سبات أودى بكم للدمار

ومنها : أفلا تعملون للخلاص بجدّ من قيود الرضا بالاستمرار

جزى الله الأستاذ المؤلف خير الجزاء ، وزاده إحساناً وتوفيقا .

هذا وقد وقعت أغلاط مطبعية سهلة ، فمنها ص ١٩ ليقربونهم : « ليقربوهم » . ص ٢٠ قل لو كنت أعلم الغيب : « ولو كنت » . ص ٢٨ الاثى : الليثي . ص ٣٥ عالم : عالماً . ص ٣٧ ولتجزيهم : « ولنجزينهم » . ص ٤٠ أمر الله كتابه : في كتابه .

محمد بهجة البيطار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

نجوى

ديوان شعر للأستاذ عدنان مردم بك

طبعة دار المعارف بمصر ١٩٥٦ ، في ١٥٥ صفحة

كتبنا كثيراً في دواوين الشعراء المعاصرين ، ورجونا دائماً أن يطبعوا دواوينهم ، ليظهروا على الأدباء بهذه الألوان الجديدة التي يفيض بها شعرهم ، فهي جديرة بالبحث والدرس ، ينظر اليها الناقد المؤرخ على أنها مظهر من مظاهر التطور والتغير ، والتأثر أو التقليد ، والابداع أو الاتباع ، ويحكم على أساليب البيان فيها ليقول في قربها من عمود الشعر العربي الجزل الفصيح أو بعدها عنه .

ولقد طاب رجاؤنا فصدر ديوان جديد لشاعر معاصر ، هو ديوان (نجوى) للشاعر عدنان مردم بك ، نتناوله اليوم بالنقد لنرسم السبيل التي سار فيها ، والبيئة التي تأثر بها ، والألوان التي يضمها الديوان ، فهي كثيرة ، منها المرأة ، والأسرة ، والوطن ، والتاريخ ، والطبيعة ، كأنها ألواح مصفوفة يُعيي حصرها في أبواب ، فهي تدخل في باب النسيب والغزل والوصف والرثاء والمديح ، ولكن على أساليب المعاصرين .

فالمرأة فيها على ألوان صارخة من جسدية صاخبة ، تجدها حيناً في الذكرى والحنين والحب والأنين ، تصل بين الشاعر وبينها وشائج كثيرة ، وتجدها أحياناً في حلبة الرقص لا تصلها بالشاعر إلا روابط الفن ، فرسمها في ثلاث رقصات ، وجعلها خلال ذلك كالريشة تتراءى في مهب الهواء ، أو المنهوك أقعده الجهد ، أو الغصن عابثته الرياح ، فاذا تدافع الراقصان كانا كموجه تقاذفتها البحار أو كسفين تختلج ، فيها دلال وفيه شوق ، وبها جميعاً بحة النغم وغصة الهوى ، فكأنها روحان في جسم تحوطهما ذراع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهذا الشعر في الرقص يذكرنا بشعر سمعه الفتى في بيت أبيه الشاعر خليل مردم بك قاله في الرقص وذهب في الأسماع وردّدته الأضلاع ، وتقلب على صفحات الكتب والمختارات ، فكان انطلاقة نحو فن جديد في الوصف أخذ به الشاعر الشاب فوفق ، وكم كنا نود أن يملك القراء طبعة لديوان الأب الشاعر ، ليعرفوا أية زهرة غرس هذا البستاني في حديقة شعره ، فجاءت تنم عن عطر كثير وأدب وفير .

وأما الطبيعة فقد دخلها شاعرنا في طائفة الشعراء من دمشق كما دخلها الحمدانيون في حلب قبل عشرة قرون ، فوصفوا ما فيها من طبيعة حية وميتة . ووصفها هؤلاء الدمشقيون فألموا بكل دقيقة من هذا البلد الأخضر في قلب الصحراء ، ترويه العيون والأنهار ، وتجري سواقيه في خيال الشعراء كما تجري خلال البيوت ، فترقص الأنغام والألوان والرعشات في الطبيعة وفي الشعر تتجاوب كالأصداء في واد سحيق ، وكأن شعراءنا حملوا الألواح للرسم لا للشعر ، فوقفوا في محراب الطبيعة يتغنون بآيات الله إعجاباً وحبا .

أجل ، دخل شاعرنا الأستاذ عدنان مردم بك في هذه الطائفة ، وأمسك ألواحه بيد صَناع متمكنة ، فجعل الرياح تتناوح كأنها ثكلى ، والشقائق تطبق الأجفان وتلوي بالرؤوس ، والصفصاف كأنه في يوم عبوس قد خلع برد العروس ، ولبس مطارف الحزن والأسى . والأرض في صمت المريب تحكي بوحشتها الخليل أمضّه فقد الخليل ، وتساقطت الأوراق وتناثرت بدداً كجناح طير حطّ من لغب أو كفراشة ترامت على قبس ملتهب . وتلاحظ أن الصور حزينة يائسة رومانطيقية ، ولكن الديوان كذلك في أكثر الصفحات ، فهو ما يكاد يضحك حتى يكتئب وما يكاد يرقص للجمال والحب حتى تعروه ذكريات أليمة ، فيها فقد أخيه هيثم ، وبعد ابنه عنه ، فكأن الجانب الممض قد ملك شاعريته وأمسك بلسانه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولعلّ شاعرنا تأثر بما في الشرق من ميراث في الأدب حزين ، أو حال في الانتداب الماضي لا يضحك المخلص ولا يسر الوطني ، فذهب في مدرسة المهجر كل مذهب ، وسبح في سماء العاطفة الباكية كما سبح فوزي المعلوف وغيره ، فاستمع اليه يناجي ابنه :

بنيَّ وأنت نعم الذخـــــر في الدنيا على الدهر
أكان وأنت مني الشطـــــر في وجديَ ما يزري
وهل من ريبة إنْ حـــــنَّ شطر القلب للشطر
وما ذنبي إليك وقـد عقدتُ عليك أطماعي

وهذا شعر حزين ، فيه وصف أخ فقيد ، وولد بعيد ، وأب ملتاع ، قد جعله إلى أوصاف ثلاثة أعلام في التاريخ يكسوها الحزن كذلك ، وهؤلاء الثلاثة هم أبو العلاء المعري ، وعيسى بن مريم ، ويوسف العظمة . يرى البؤس سبيله الى حياة هؤلاء ، تلف سيرهم أشواك البشر وشروره ، وتفعم نفوسهم ببطولات تصعد مع الخلود إلى سماء لا تبلغها سماء . فالمعري لم تخدعهُ الحياة ، وإنما أدرك ما للشيطان فيها من أثر ، وما للناس من غباء ، فنظم الآلام أغنية ردّدها في لحن حزين جمعت أجمل الآي وأطيب السور ، ويوسف العظمة بذل نفسه فداء الوطن ، فهوى كالنسر المهيض والفريسة غالها الجزار ، فانطوى علم أغر وموطن ونفار . وقضى لينشر الوطن تاريخه المعطار ، وأصبح في شعاب ميسلون ودمشق منارة التضحية والحرية . وأما عيسى بن مريم فقد هدى الناس في دنيا كأنها جهنم شهوة يرسفون فيها بأغلال المطامع ، فأعطى العالم ما أعطى وأغاث الكون من كروبه ، وتجرع السموم في سبيله .

ويطول القول إن عرضنا للغزل والنسيب ، فالمرأة كما قلنا في صور صارخة تفتك وتضلّ ، ولكنها ليست أجمل ما في الديوان ، فالشاعر وصّاف ، حسن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الديباجة سليم الأسلوب ناصع البيان ، رقت معانيه وصحت مبانيه ، فأصبحنا نرجو على يده ويد مدرسته بياناً بعيد إلينا البيان ، وشعراً يرد الينا العصور ، لنترنم بهذا الشعر كما نترنم بذاك الشعر . فالشكر للشاعر على ما أبدع وللناشر على ما صنع ، فقد جريا في حلبة الإتقان كل مجرى فكان لها ما أرادا .

الدكتور سامي الدهان

حول كتاب « نظرية أعمال السيادة »
للدكتور عبد الفتاح ساير داير

هذا الكتاب جدير بأن يتخذ مكانه كمرجع علمي عربي موثوق ، كبير القيمة والشأن ، من أجل تنوير القضاء بما استقر عليه الاجتهاد ، ومن أجل ترصيخ قواعد الحقوق على يد الفقه في موضوع هو أحوج ما يكون إلى ذلك ، موضوع أعمال السيادة .

وأعمال السيادة هي التي نسميها في فقهنا الإداري « المقررات الحكومية » ، وهي أعمال السلطة التنفيذية التي تخرج عن رقابة القضاء ، فهي لا تخضع للإبطال ، ولا يمكن التعويض على المتضررين منها . ومن هنا كان بحثها بالغ الخطورة ، لأن أكثر الفقهاء لا يقبلونها وإن كان القضاء هو نفسه أول من أضفى عليها هذه الحصانة قبل أن تجيئها بالتشريع . ولقد كان من نتيجة التفاعل المستمر بين الفقه والاجتهاد أن تقلصت حدود هذه الأعمال وضاق نطاقها حتى لا تشمل غير الأعمال ذات الطابع السياسي الدبلوماسي مما يتعلق بشؤون الحكومة مع المجلس النيابي أو مع الدول الأجنبية والمنظمات الدولية . وهنا بالذات تبرز قيمة الكتاب الذي نحن بصدده ، لأن مؤلفه تتبع نظرية أعمال السيادة بادئاً بأصولها مرافقاً تحولها حتى وصلت الى طورها الأخير ، فلم يترك رأياً لفقيه فرنسي أو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مصري ولا حكماً لمحكمة فرنسية أو مصرية عادية أو إدارية ، مما يتناول هذا الموضوع بسبب ، إلاّ أتى عليه في دراسته بالمناقشة والتدقيق والرأي الشخصي بالنتيجة . وذلك ما اضطره الى الرجوع إلى أكثر من مائة مؤلف أو رسالة أو مقال علمي ، وإلى عدد لا ينتهي من قرارات القضاء العادي والإداري في مصر وفرنسا ، حتى أنه أتى على قرارات القضاء المختلط الذي كان قائماً في مصر قبل بضع سنين ، فجاء كتابه جامعاً مانعاً ، فيه صدق النقل والرواية وعمق التحليل والنقد ، يعالج الموضوع من ناحيتيه النظرية والعملية معالجة وافية ، حتى تبلغ المادة العلمية وحدها في الكتاب حوالي ثمانمائة صفحة (من قياس $17\frac{1}{2}$ إلى ٢٥ سم) .

وبعد ، فإن « لجنة الحكم » التي ناقشت هذه الرسالة مكونة برئاسة الأستاذ الدكتور توفيق شحاتة ، وعضوية الأستاذ الدكتور وحيد رأفت والعميد الدكتور عثمان خليل ، وهم جميعاً من أشهر أساتذة الحقوق العامة في مصر . ولقد حكمت هذه اللجنة بتقدير درجة « جيد جداً » للرسالة ، واقترحت طبعها على نفقة جامعة القاهرة ، وإن شهادة أهل العلم بالمؤلّف على هذا الوجه ، ووصول المؤلِّف من ثم إلى مرتبة التدريس في جامعة عين شمس المصرية ، كل ذلك دليل على القيمة العلمية للكتاب الذي يستحق عليه الدكتور عبد الفتاح ساير داير كل الشكر والتهنئة ، فقد أضاف الى المكتبة الحقوقية الإدارية العربية نتاجاً عالياً وثروة غالية .

الدكتور مصطفى البارودي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة
(الجزء الثاني — تاريخ مدينة دمشق)

تأليف الصاحب عز الدين بن شداد المتوفى سنة ٦٨٤ هـ . عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه الأستاذ الدكتور سامي الدهان عضو المجمع العلمي العربي ، طبعه المعهد الافرنسي للدراسات العربية بدمشق ، عدد صفحاته (٤٧٢) صفحة من قطع الوسط ، طبع في بيروت سنة ١٩٥٦

إن قلم المرء مرآة أخلاقه ، وأظهر ما نرى أو نلمس من خلال ما وصل الينا من تآليف ابن شداد وفاؤه لأصحابه وبره بهم وبوطنه . أحاطه الملك الظاهر بيبرس برعايته وشملته عنايته ، فقابل إحسانه بأحسن منه ووفاه حقه وشكر إنعامه وخلد ذكره في كتابه (الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر) . وأخلص لوطنه فكتب عنه تاريخه الجليل (الأعلاق الخطيرة) الذي نحن بصدده . وخص دمشق التي نعم في ربوعها مدة عشر سنوات ، بقسط وافر من هذا التاريخ ، لما لقيه من أهلها من حسن وفادة ورعاية ، واعترافهم بعلمه وفضله ، فقدموه وصدروه ، فأبدع فيما كتب وصدق بما رسم .

عرفنا تآليف ابن شداد من النصوص المنقولة عنها ، وأما أصولها فقد فقدت وبقيت مجهولة الى أن سخر لها من يبحث عنها في مجاهل دور الكتب الغريبة فعثر في بعضها على أجزاء مشتتة من هذا التاريخ ، فجمع شملها وأخرجها تاريخاً كاملاً كما وضعه مؤلفه ، بتحقيق دقيق وطبع أنيق كما هي عادة هذا المجاثة في كل ما حقق ونشر . ومن حسن الصدف أن يكون هذا المجاثة هو زميلنا الدكتور سامي الدهان الذي هو أيضاً كابن شداد مواطن حلبي ونزيل دمشق . وكان قد مضى على إقامته فيها عشر سنوات لما نشر هذا القسم من تاريخ دمشق فاهتم بعمله رسالة ابن شداد وأدرك بغيته ، وشاركه الإحسان مما أوجب علينا شكره والثناء العاطر على جهده .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تلهف كل من اشتغل في تاريخ بلاد الشام على فقدان تآليف ابن شداد ، وتمنى لو اطلع عليها وأفاد منها وخاصة منها (الأعلاق الخطيرة) لكثرة ما اعتمده المؤرخون ونقلوا عنه . نقل النعيمي في كتابه (الدارس في تاريخ المدارس) كل ما كتبه ابن شداد حرفياً عن مدارس دمشق ومساجدها . ولما اطلعنا على هذا القسم منه وجدناه بحق من أجل تراثنا وأنفع كتبنا ، فهو حلقة الاتصال بين تاريخ الحافظ ابن عساكر وتاريخ النعيمي ، جمع فيه خطط دمشق وكل ما كتبه عنها السلف ، وأضاف اليها وزاد عليها فصولاً لم يفطنوا إليها . فجاء الكتاب شاملاً حافلاً ، ومن أوسع ما كتب العرب في هذا الموضوع ، جمع فيه المؤلف ثروة تاريخية لا نجدها عند سواه ، لأن ابن شداد علم ما لم يعلمه غيره من المؤرخين لاتصاله الوثيق بالملوك والأمراء ورجال الدولة ومشاركته الحكم واطلاعه على خفايا الأمور وأسرارها . فجمع بين السياسة والقلم ، وقلما يتأتى مثل ذلك لغيره من العلماء .

وقد ظهر لي أثناء مطالعتي هذا التاريخ وبالمقارنة بينه وبين ما نقل عنه النعيمي في الدارس في تاريخ المدارس بعض الملاحظات من الفائدة الإشارة اليها ، منها ما جاء في ص (١٧٨) : « وكان ازجه لاطياً فاضربها وغلا أزجه وكله » صوابه : « فأخربها وعلاً أزجه وكله) . وفي ص (١٦١) : « مسجد السبعة » صوابه « الشبعة » وهي قرية معروفة في أول المرج . وجاء في ص (١٩٦) : حاشية (٤) : أن رباط وجيه الدين بن سويد قد سقط ذكره في كتاب الدارس مع أن النعيمي قد ذكره بوصف واسع في ٢ : ١٩٣ رقم ١٨٧ باسم الرباط التكريتي . ويوجد في ص (٢٠٥) : اختلاف في سلسلة مُدرسي المدرسة الخاتونية عما نقله النعيمي عن ابن شداد كان يحسن الإشارة اليه . ويصحح ما جاء في ص ٢٢٠/١٦ : كما يأتي : (... وبقي فيها مستمراً الى أن توفي ثم وليها ... » . ويضاف الى ص ٢٢٧/٧ الجملة الآتية : « ثم من بعده

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

جمال الدين يوسف الى أن توفي ... » . ويضاف أيضاً الى ص : ٢٥٨ / ١١ العبارة التالية : « فأول من ذكر بها الدرس الشيخ ... » .

نرجو لهذا السفر النفيس انتشاراً واسعاً ونشكر للزميل المحقق الدكتور الدهان جهده وعنايته .

تاريخ العرب قبل الإسلام ـ الجزء الرابع (القسم السياسي)

تأليف الدكتور جواد علي

من مطبوعات المجمع العلمي العراقي . في (٤١٨) صفحة من قطع الوسط

هذا الجزء كأجزائه السابقة غني بمادته العلمية وانتظام سبكه نتيجة استقراء طويل وبحث عميق . وقد وفق المؤلف بعد جهد إلى أن يستخلص من المصادر المشتتة المشوشة عناصر منسقة ومتحدة . كوّن منها بعد أن جردها من شوائب الأوهام وحدة تاريخية بالمعنى الصحيح انتزع بها إعجاب العلماء والباحثين .

استأنف المؤلف في هذا الجزء دراسته عن تاريخ العرب السياسي قبل الإسلام . وخصه بالدويلات العربية كمملكة الحيرة في العراق والغساسنة في بلاد الشام ، والإمارات العربية الغربية وأنظمتها السياسية ، وأفرد بحثاً لأنساب أشهر القبائل العربية والعدنانية . وتناول بحثه أيام العرب في جاهليتهم وما يمكن استخراجه منها للأبحاث التاريخية . واختتم فصوله باستعراض حالة العرب السياسية في القرن السادس للميلاد بوجه عام ، وبيّن ما كانت عليه حالة العالم المتصل بالبلاد العربية وكيف دبت الشيخوخة بالأمبراطوريتين العظيمتين الساسانية والبيزنطية وحلت بهما بوادر الانحلال مما مهد للإسلام الإجهاز عليهما وحلوله مكانهما .

نشكر المؤلف على هذه الدرة الثمينة التي أتحف بها الثقافة العربية وأعانه الله على إنجاز تاريخه هذا الذي سيبقى دعامة ونقطة انطلاق لكل باحث .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تاريخ العرب قبل الإسلام ــ الجزء الخامس (القسم الديني)

تأليف الدكتور جواد علي

يقع في (٤٣٦) صفحة من قطع الوسط ، نشره المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٥

بعد أن أنهى المؤلف في الجزء السابق القسم السياسي من تاريخ العرب قبل الإسلام باشر في هذا الجزء البحث في حياة العرب الدينية قبل الإسلام ، وهذه ناحية تاريخية هامة يكتنفها ــ على قلة مصادرها ــ الغموض والتشويش كما هو حال كتاب الأصنام لابن الكلبي وغيره ممن عالجوا الموضوع ، ويعوز أخبارها الإيضاح والتنسيق ، ولا يتيسر كشف ما غمض منها إلا لمن خصه الله بعلم واسع ورأي ثاقب يفرق بين الغث والسمين ، وينفذ الى الحقيقة أو يلامسها ، وقد توفر كل ذلك للدكتور الباحثة مؤلف هذا الكتاب الذي أتحفنا بسفر شامل ألم بالموضوع من جميع نواحيه . عالج أبحاثه معالجة العالم لم يجزم برأي أو اجتهاد بل ترك في كثير من المواضع الباب مفتوحاً لمن يرغب أن يلجه ، ولكل مجتهد نصيب .

لا بد لي في هذه المناسبة من بيان بعض الملاحظات البسيطة التي بدت لي أثناء المطالعة ، منها ما جاء في ص (٤٨) : فسر تامار بتدمر ، مع أن المتفق عليه الآن أن تدمر هي غير تامار ، الأولى تقع في بادية الشام ، والثانية في البلقاء . وفي ص (٤ ق) : ضف جدة وصوابها ضف الدجلة . وفي ص (١١٤) : الشارق هي هنا اسم فاعل لا صفة وتطلق على الشمس حين تشرق . وفي ص (١٥٣) : بعل شمين رب السماء وصوابها رب السماوات بالجمع . وفي ص (١٥٥) : بل أي بعل ، مع انهما إلهان مختلفان لا إله واحد . ولا نشارك المؤلف قوله في ص (١٦٣) : انه ليس لمعابد الشام وفلسطين هندسة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

معينة خاصة ، مع أن المعابد السورية لها طابعها الخاص تتميز به رغم تأثرها بالهندسة اليونانية والرومانية . وفي ص (٢٨٥) : اللون الأبيض هو شعار الحزن في الحجاز والشام حتى الآن ، مع أن الحقيقة شعار الحزن في الشام هو السواد كما في العراق .

ونكرر شكرنا للدكتور المؤلف نفع الله به أمته وزاد في حسناته .

تاريخ المستبصر

في صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز لابن المجاور الشيباني الدمشقي

اعتنى بتصحيحه وضبطه ونشره الاستاذ أوسكر لوفغرين (Oscar Löfgren)

وهو في جزئين من القطع المتوسط ، طبعا في مدينة ليدن في سنتي ١٩٥١ و ١٩٥٤

عُثر بين المخطوطات العربية التي جمعها كلود شيفر (Cl. Scheffer) المحفوظة في المكتبة الوطنية في باريز على نسخة من هذا التاريخ وصفها بلوشه (Blochet) في فهرسه بعنوان : (تاريخ لطيف يشتمل على ذكر أكبر بلاد المعمورة تأليف جمال الدين أبو الفضل يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور الشيباني الدمشقي) وعُثر على نسخة ثانية أحدث عهداً من الأولى في المتحف البريطاني ووصفت في الفهرس باسم (تاريخ المستنصر ، تاريخ لطيف يشتمل على أكبر البلاد المعمورة تأليف الشيخ المسند المحدث المؤرخ جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب .... الخ) ، وعرفه بمثل ذلك سبرنجر (Sprenger) ومثله دير نبورغ (Derembourg) ثم صحح اسم الكتاب ميلز (Meles) في بعض مذكراته وعرفه بتاريخ (المستبصر) لا (المستنصر) كما توهمه غيره ، وأقره على تصحيحه ج . فيران (G. Ferrand) وقد أيد ذلك ما جاء في العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية لأبي الحسن الخزرجي فيما نقله عن تاريخ المستبصر لابن المجاور .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد اهتم بهذا المخطوط منذ العثور عليه عدد من المستشرقين وأعلنوا عنه بأبحاث طويلة ونقلوا الى لغاتهم فصولاً منه . وكتب في عام ١٩١٩ المرحوم فران بحثاً وافياً عنه في المجلة الآسيوية الافرنسية بين فيه قيمة هذا المخطوط العلمية وفوائده من الناحيتين الجغرافية والعمرانية .

وقد عرّف المؤلف بموضوع كتابه بقوله : « إن مكة زادها الله شرفاً أم القرى ومسرة الأرض المعمورة ، وأحب بلاد الله الى الله ورسوله في السنن المشهورة ، ثم إن أيمن ما حولها من البلدان وأبركها مملكة اليمن المخصوص بالبركات الثلاث النبوية في جواهر السنن ، منبع الحكمة ومعدن الفقه والإيمان من سالف الزمن . فخصصت هذين القطرين في هذا الكتاب بذكر ما يتعلق بهما في هذا الفن من بيان البقاع والبلاد والمدن والجبال والبحار وشرح المنازل والمغاني ومقادير المسافات في المفاوز والمغار ، ثم تصوير كل بقعة منه حتى كأنك تراها رأي العين وتوقف بها على أرجائها فيغنيك ذلك عن الأين في البين . ولا يعدم كل بقعة من نادرة جرت فيها من الأخبار وشعر نظم في سلكها قديماً من الأشعار . » وهذا الوصف هو أصدق تعريف بموضوع الكتاب وما تضمنته صحائفه .

إن نسبة هذا الكتاب لابن المجاور الشيباني الدمشقي المتوفى سنة ٦٩١ هـ هي برأيي نسبة خاطئة ، وأعجب كيف لم ينتبه اليها ناشر هذا التاريخ أو غيره ممن تقدموه في وضعه وتدقيقه ومنهم علماء أعلام مثل (فران) و (بروكلمان) مع أن من يمعن النظر في المتن يظهر له خطأ هذه النسبة لأسباب عديدة منها :

١ — خلو الكتاب من ذكر القطر الشامي مع أن المؤلف أكثر من ذكر بغداد وخوارزم وخراسان والري وكشك والهند والسند وغيرها من بلاد المشرق مما يستدل منه على مبلغ علاقة المؤلف بهذه البلاد ومعرفته لها دون بلاد الشام ويؤيد ذلك قوله في ص ٤ : (حدثني هندي بالهند) ، وفي ص ٦٤ : (حدثني محمد ابن رزق الله قال لي : هل ترون في خراسان كوكب سهيل ؟ قلت : لا والله) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفي قوله ص ١٨٩ عن النسيج الفتوحي : (ولبس جميع نساء العرب وجميع التركمان والكرد واليازج ونساء أهل سيستان الى الآن منه) .

٢ — ترديد المؤلف كثيراً من الأشعار الفارسية وبعضها من نظمه وذكره أيضاً مصطلحات فارسية كقوله في الكلام عن الأديم المدبوغ ص ١٣ : (ويسميه العجم أديم خوش وفي كشك من أعمال الهند كذلك) ، وقال عن الحرباء ص ٢٣٤ : (ويسميه أهل خراسان آفتاب پرست ويسمى في زاولستان سكند) ، وقال أيضاً في ص ٢٣٥ : (ويسميه أهل نهاوند ركثرله) .

٣ — ذكر في ص ٩٧ : (قال لي أخي أحمد بن محمد بن مسعود) وذكر في ص ٢٥٢ : (كتب والدي محمد بن مسعود بن علي بن احمد بن المجاور البغدادي النيسابوري لجعفر بن عبد الملك بن عبد الله بن يونس الخزرجي الجرجاني يهدده ويهيبه) .

لم يبق بعد الشواهد التي أوردناها شك بأن ابن المجاور المؤلف هو غير سميه المعاصر له ابن المجاور الشيباني الدمشقي الذي نسب اليه هذا التاريخ ويمكننا أن نهتدي الى اسم المؤلف بتعريفه : (بابن المجاور البغدادي النيسابوري) ونلحقه بنسب والده محمد بن مسعود بن علي ... تمييزاً له عن ابن المجاور الشيباني الدمشقي .

مع الاعتراف بصعوبة تحقيق هذا المخطوط لفقدان عناصر المقابلة للاستعانة بها والاهتداء إلى أوجه الصواب لبعض الأعلام والألفاظ فقد كان بالإمكان تلافي أكثر هذه الأخطاء لو تعهدته يد خبيرة بشؤون الجزيرة العربية وأكثر اطلاعاً على ماضيها وحاضرها .

لا تنفي هذه الطبعة رغم جهود الناشر المشكورة عن إعادة طبعه مرة ثانية بعناية وتدقيق يؤمنان الفائدة التامة من نشر هذا التاريخ القيم .

ومما يؤخذ على الناشر أهماله تنظيم فهرس للأعلام والأماكن وغيرهما من مستلزمات النشر في عصرنا الحديث .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

M. J. J. Rager — Les musulmans algériens en France et dans les Pays Islamiques — Paris 1950.

المسلمون الجزائريون في فرانسة والديار الإسلامية

تأليف جان جاك راجه

نشر كلية الآداب في الجزائر . وهو في (٣٥٣) صفحة قطع الوسط

طبع في باريز سنة ١٩٥٠

عالج المؤلف في هذا الكتاب ناحية هامة من حياة مسلمي الجزائر وهجرتهم الى فرنسة والديار الإسلامية ، وبحث العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية التي حملتهم على هذه الهجرة الواسعة . دعم المؤلف دراسته باحصاءات صحيحة استقاها من مراجعها الرسمية زادت في فائدة الكتاب وقيمته العلمية .

نسب المؤلف الهجرة الى الديار الإسلامية في القرن التاسع عشر أي بعد الاحتلال الافرنسي إلى عوامل دينية وأنفة المسلمين من الخضوع الى سلطان دولة غير مسلمة ، فاقتصرت الهجرة الى تونس ومراكش ومصر وولايات الدولة العثمانية .

وبعد أن تم احتلال القطر الجزائري وتمركز المستعمر فيه حالت السلطات الافرنسية دون هجرة أهاليه الى خارج البلاد لتوفر للمستعمرين اليد العاملة التي تحتاجها مشاريعهم الزراعية والصناعية ، فعمدت لذلك إلى إفقار السكان باغتصاب أراضيهم وإشاعة الجهل بينهم لترغمهم على طلب الرزق والعمل في مزارع المستعمرين الشاسعة ومعاملهم الواسعة . ولكن تكاثر السكان واستعمال الآلات الزراعية خلق أزمة عمل وانتشرت البطالة في طول البلاد وعرضها مما حمل القادرين على العمل على أن يبحثوا عن مورد جديد خارج البلاد يعوض عليهم ما فقدوه في بلادهم فتسربوا الى فرنسة التي كانت تشكو قلة اليد العاملة وغلاء أجورها ، فرحبت المصانع الافرنسيه بهذه الهجرة وشجعتها حتى بلغ ، حسب الإحصاء الأخير ، عدد المهاجرين الجزائريين الى فرنسة في عام ١٩٤٨ (٢٣٠،٠٠٠) عامل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إن المنصف الذي يطالع هذا الكتاب يتجلى له من خلال الاحصاءات البؤس المخيم على الشعب الجزائري ، هذا البؤس الذي تعمده المستعمر وهيأ أسبابه وتفنن بأساليبه ، لا يسعه إلا أن يرى في ثورة الشعب الجزائري الباسل القائمة على جلاديه جواباً طبيعياً على ظلم الاستعمار وتعسفه ، ودفاعاً مشروعاً عن كيانه ودوام بقائه .

وفي الكتاب وثائق ومعلومات قيمة لدراسة تاريخ الجزائر الحديث فيها عون للباحث وفائدة للقارئ يشكر عليها المؤلف .

بطولات من تاريخنا

تأليف : محمد سليم رشدان

طبع في بيروت سنة ١٩٥٦ ، نشرته دار الحكمة وهو في (١٩٥) صفحة من القطع الصغير

جمع المؤلف من قصص بطولات العرب كل طريف ، ودون من مآثرهم الخالدة كل تليد ، وصوّر مواقفهم الرائعة بأسلوب لطيف وأسبغ عليها ظلالاً من الخيال أبرز معها ما يسترعي الانتباه ويذكي الحماسة في النفوس . ويهدف المؤلف من هذا الكتاب ـ كما كان هدفه في كتابه في ظلال النبوة ـ إلى أن يظهر لمن تنكروا لتاريخهم مآثر العرب ويعيد لذاكرتهم مواقف السلف وما حملت من دروس وعبر لعل الذكرى تنفعهم . وقد بلغ الكاتب بجهده غايته إذ جمع في كتابه بين المتعة والعظة ، وبين الأدب الرفيع والتوجيه القومي الصحيح فنفذ بها الى الأعماق وزود بأطيب الزاد من بأذنه صمم .

تُلقي عناوين فصول الكتاب : طلائع المجد ، ورجل يطلب الشهادة ، والحاكم العادل ، وفاتحون رحماء ، ولا يبيع دينه بدنياه ، وقدوة لكل زعيم ، وأمير لا يعين على معصية ، نوراً على موضوع الكتاب وهدف مؤلفه وعقيدته .

لا يخلو الكتاب من أخطاء مطبعية أو زلة قلمية يدركها القارئ . نشكر للمؤلف جهده وسمو غايته .

جعفر الحسني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

آراء وأنباء

المولد والعامي في علوم الزراعة والمواليد [1]

يطيب لي أن أحمل من دمشق الى القاهرة تحية السوري الى شقيقة المصري ، بل تحية العربي الى أخيه العربي . أعزّ الله لغة القرآن بجهد أدباء مصر وعلمائها الأعلام ، وأعزّ أرض الكنانة بل الوطن العربي كله بجهد المخلصين البررة من أبناء مصر العزيزة : رئيساً وحكومةً وشعباً .

وبعد لقد كثر الكلام في القديم والحديث على ما سموه ألفاظاً مولدة وألفاظاً عامية ، وعلى ما يجوز وما لا يجوز استعماله منها .

ومن المتعارف أن ما يسمى كلام المولدين هو الألفاظ التي لم يضعها أو لم يصطلح عليها عرب الجاهلية وصدر الإسلام ، أي أنها تلك التي استعملت بعد أواخر القرن الثاني الهجري في الأمصار ، وبعد أواسط القرن الرابع في جزيرة العرب ، وهي آلاف مؤلفة من الكلمات ، لم تذكر المعجمات أكثرها ، أو ذكرت بعضها ولكنها خصته بقولها هذا كلام مولد أو كلام عامي أو بقولها هذه لغة مصرية أو شامية أو مثل ذلك .

وقد كان هذا المجمع الموقر اتخذ قراراً قال فيه : المولد هو اللفظ الذي استعمله المولدون على غير استعمال العرب وهو قسمان : قسم جروا فيه على أقيسة كلام العرب من مجاز أو اشتقاق أو نحوهما ، كاصطلاحات العلوم والصناعات وغير ذلك ، وحُكمه أنه عربي سائغ .

---

(١) بحث ألقاه الأمير مصطفى الشهابي نائب رئيس المجمع العلمي العربي في حفلة افتتاح الدورة الثالثة والعشرين لمؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقسم خرجوا فيه على أقيسة كلام العرب ، إما باستعمال لفظ أعجمي لم تعربه العرب ، وقد أصدر المجمع في شأن هذا النوع قراره « قرار التعريب » ؛ وإما بتحريف في اللفظ أو في الدلالة لا يمكن معه التخريج على وجه صحيح ، وإما بوضع اللفظ ارتجالاً . والمجمع لا يجيز النوعين الأخيرين في فصيح الكلام . انتهى .

ويرى الزملاء الأعلام أن المهم في هذا الموضوع إنما هو تمييز ألفاظ القسم الأول التي أجاز المجمع استعمالها ، من ألفاظ القسم الثاني التي لم يجز استعمالها في فصيح الكلام . فالمتشددون من كتاب العربية في القديم والحديث يتحاشون استعمال جميع الكلمات المولدة والعامية ، إيثاراً للسلامة ، وذهاباً الى أن فصحاء العرب لم ينطقوا بها ، وبذلك تخسر لغتنا الضادية ثروة من الألفاظ الحسنة . أما المتساهلون فقد يستعملون من المولد ألفاظاً سائغة ، وقد يستعملون أيضاً ألفاظاً لا وجه لها البتة ، ويكون في تساهلهم هذا مجال واسع للأخذ والرد .

وها كم بعض الأمثلة على ذلك :

فكلمة الفِراسة أي صناعة غرس الشجر لم ترد في المعجمات في مادة غَرَسَ . بل وردت عفواً في التاج واللسان في الكلام على مادة : خَرَجَ ، واستُعملت في الكتب الزراعية القديمة . وهي مصدر على وزن فِعالة صيغت قياساً من الفعل الثلاثي غَرَسَ . وليس فيها تحريف في اللفظ ولا في الدلالة ، فهي إذن من الألفاظ التي سوّغ المجمع استعمالها في القسم الأول من كلامه على المولد . وعلى الرغم من ذلك كنت قرأت لأحد الكتاب مقالاً ينكر فيه استعمال مصدر الفِراسة لأنه لم يُذكر في المعجمات ، حتى لكأن هذه المعجمات قد اشتملت على جميع ما في لساننا من كلم .

ومن المصادر التي يستعملها الفلاحون الشاميون بمعنى القطع والتقليم والتقضيب مصدر الزّبارة ، فهم يستعملونه على الأخص في تقليم الكروم فيقولون :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

نحن ذاهبون إلى الزيارة وقد زيرتُ كرمي . وعدم ورود هذا الفعل في المعجمات ليس دليلاً على وجوب اطراحه ما دام جامعاً لثلاث صفات : صحة القياس ، وشيوعه في قطر عربي ، ووروده في كتب قديمة يُعتد بها كمفردات ابن البيطار «مادة قفر اليهود» ، وكتاب الفلاحة اليونانية لقسطا بن لوقا ، وكتاب نفح الطيب «كلام الغزال ج ٧ ص ٣٧٢» وغيرها .

وها كم كلمة باقة فأنتم تعلمون أنها في كتب اللغة للبقل ، وأن الطاقة للزهر . ولكنني وجدت الباقة مضافةً الى الزهر في كثير من الكتب القديمة ولا سيما في الأغاني وفي نهاية الأرب . وكلمة (Bouquet) الفرنسية لها مدلول الطاقة والباقة جميعاً . والتمييز في لساننا حسن ، ولكن هل من الضروري يا ترى أن نتشدد في اتباع نص المعجمات على الرغم من شيوع الباقة لحزمة الزهر ، أم من الأصلح تضمينها أيضاً هذا المعنى ؟

وهناك أسماء أعيان كثيرة تنطق بها العامة ، ولا ذكر لها في المعجمات ولكنها ذكرت في كتب الزراعة والنبات والمفردات الطبية القديمة . فمعظم هذه الأسماء جدير بأن يقره المجمع ولا سيما عندما يكون ساريا على الألسنة ، ففي أحراج سورية ولبنان مثلاً شجر اسمه الشُّوْح ، واسمه العلمي تَنُّوب قيليقية ؛ وكلمة شوح هذه شائعة في قطرنا ، ولا وجود لها في معاجمنا ، ولكنها موجودة في مخطوطات يرجع عهدها الى أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي .

وفي أحراجنا أيضاً نوع من البلوط اسمه المَلُّول نراه الى جانب نوع ثان اسمه السِّنْدِيان ؛ فاذا رجعنا الى القاموس المحيط نجد فيه ذكراً للسنديان ولا نجد ذكراً للملول . فهل تفسير ذلك عند المتشددين أنه يجوز لنا استعمال الاسم الأول لأن الفيروزابادي عرفه أو نقله عن الفارسية ، ولا يجوز استعمال الاسم الثاني ، على الرغم من اشتهاره ، لأنه معدود عندهم من كلام العامة ؟

وثمة أسماء أعيان عديدة تبدل اليوم مدلولها . ولا بد لنا من تضمينها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المعاني الجديدة ، مثالها كلمة « الفل » فهي تطلق في المعجمات ، وفي كتب المفردات القديمة ، على نبات طبي لا صلة له بالنبات المشهور الذي يسمى عليًا باسم الياسمين الزنبقي ، وهو تلك الأزهار البيض التي يجعلها زهّارو القاهرة عقوداً جميلة تستهوي الحسان ، مثلما تستهوينا مناداة الزهريين لها بقولهم « فل يا فل » . فالدلالة الحديثة لهذه الكلمة لم يذكرها إلا الزبيدي في مستدرك التاج والخفاجي في شفاء الغليل . فهلا يكون من واجبنا تضمين كلمة الفل هذا المعنى المشهور ، وأن ندع أطباءنا الأعلام يفتشون عن عقارهم القديم في مظانه ؟

ومثل الفل الفلفل في مصر والفليفلة في الشام والقيقب والازادرخت والزيزفون والسلجم والشيلم والكشمش وغيرها فكلها أسماء تبدلت مدلولاتها في أيامنا هذه عن مدلولاتها في المعجمات .

ومن أسماء النباتات الشائعة التي لم تذكرها المعجمات ولكنها وردت في كتب قديمة أو حديثة البامية المشهورة ، والنيل وهو نباتيًا نوع من جنس الخطمي ، والفتنة تطلق على نوع من السنط ، والدفران وهي كلمة سريانية تطلق على عرعر الشام ، والمذر وهي شامية يطلقونها على نوع من البلوط مشهور في أحراج اللاذقية وجبل العلويين .

أما النباتات والحيوانات المشهورة التي مهدها أمريكة أي لا ذكر لها في معاجمنا فعددها كبير : كالتبغ والبطاطس والبطاطة الحلوة والبنادورة « القوطة والطماطم » والذرة الصفراء « الذرة الشامية » والونيلية والكاكاو والجوافة والديك الرومي « أو الحبشي أو الهندي » واللامة الخ . فكلها تحتاج الى تثبيت في معاجمنا الحديثة .

وأما نباتات العالم القديم المشهورة التي جهلها أجدادنا ولم يذكروها في معجماتهم ولا في كتبهم العلمية فعددها أكبر من النباتات التي مهدها أمريكة ومنها المندرين وليمون الجنة « جريب فروت » والشاي والكاكي والقشدة والفول السوداني (ويسمى فستق العبيد في الشام) والأوكالبتوس والكينا وتوت الأرض

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(فراولة) وزعرور اليابان (بشملة في مصر وايكي دنيا في الشام) الخ الخ ٠ ٠

والشادوف في الزراعة أداة للسقي تستعمل في مصر منذ أيام الفراعنة الأول ٠ وقد نُقلت كلمة الشادوف هذه الى الفرنسية ، وأُثبتت في معجماتها ، على حين أن معجماتنا خالية منها ٠

وكذلك الساقية تطلق في مصر على ضرب من الدواليب يُستعمل في رفع الماء ٠ فقد اقتبس الفرنسيون هذا الاسم وضموه الى لسانهم ، وأثبتوه في معجماتهم ، على حين أننا نعده بهذا المعنى من ألفاظ العامة ٠

واذا انتقلنا الى ألفاظ المعاني المشهورة نجد منها لدى العامة عدداً لا يستهان به ٠ وليس كل هذه الألفاظ مرذولاً يجب تجنبه ؛ ولو كان الأمر كذلك لما عاش بعضها قروناً ، ولما ورد ذكرها في كتب قديمة أصحابها معروفون بسلامة لغتهم ٠ فابن العديم مثلاً استعمل في تاريخ حلب كلمة النَّصْبة بمعنى الفَرْشة ، والقَسْطل بمعنى الأنبوب المعدني ، وكلاهما مشهور بمعناه في أيامنا هذه ٠ واستعمل عبد اللطيف البغدادي في كتاب الإفادة والاعتبار كلمة فَسْخ ، وابن العوام الإشبيلي كلمة مَلْخ ، وجمعاهما على فُسُوخ ومُلُوخ ، وأطلقاهما على المفسوخات والمملوخات أي الأغصان الحشيشية التي برزت لها جذور ، فهي تُفصل عن نباتاتها وتُزرع ، كمفسوخات الخرشف « الخرشوف » وكثير من نباتات التزيين ٠ والفلاحون يسمون واحدتها فَسْخة ومَلْخة ٠

ومن الألفاظ المشهورة في مصر والشام الشَّتْل والشتلة تُطلقان فيهما على الفَرْس والفَرْسة ، ولا سيما على ما يُزرع منها في الأصص أو في المستنبتات ، ثم يُنقل الى مستقره في البستان أو في الحديقة أو المبقلة ٠ وقد اشتقوا من فعل شَتَلَ اسم مكان هو المَشْتل يطلقونه على المنبت والمستنبت فالشتل سريانية عندي أدلة على أنها قديمة في مصر ولا سيما في الشام ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذه كلمات جئت بها على سبيل التمثيل وعندي مثلها مئات . ومن الواضح أنها تختلف عن الكلمات العامية الأعجمية أو المحرفة في لفظها أو في دلالتها ، وهي التي لا يمكن فيها التخريج على وجه صحيح كقول القدماء سنجقدار وطبردار وشاهنشاه ، وقول المعاصرين باشمهندس وحكيمباشي وياور وأجزاجي ويوزباشي وجفتلك وأشباه هذه الألفاظ التي يمكن إبدال كلمات عربية منها بلا مشقة .

والزملاء الأفاضل أعرف الناس بأن الحاجة ماسة الى نخل الألفاظ المولدة والعامية « ولا سيما تلك التي جمعها دوزي في معجمه » والى عرض نخيلها على المجمع الموقر ، ليقر الصالح من تلك الألفاظ فلا يجد الكتاب حرجاً في استعمالها سواء أكانوا من المتشددين أم كانوا من المتساهلين .

وهذا العمل شاق . ولكنه لا يستعصي على جهابذة العلم واللغة في أرض الكنانة التي طالما أنبتت علماء أثباتاً عزت بهم لغة القرآن .

الشهابي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تعديل النظام الداخلي للمجمع العلمي العربي

كان المجمع العلمي العربي قد نظر ، في إحدى جلسات السنة الماضية ، في نظامه الداخلي ، واقترح تعديل بعض مواده . فوافق مجلس الوزراء السوري على ذلك ، وصدر المرسوم ٤٧٢ المؤرخ في ١٦ من شباط ١٩٥٧ باقرار ما اقترحه المجمع . وفيما يلي نص هذا التعديل :

١ — تعدل المادة الرابعة من المرسوم رقم (٢٣٥٠) تاريخ ١/١١/١٩٤٨ وتصبح على الشكل التالي :

إذا قرر المجمع العلمي العربي ملء المحل الشاغر طلب الرئيس في جلسة عادية الى الأعضاء العاملين أن يرشح من يشاء منهم أحد العلماء الذين تتوفر فيهم الشروط المطلوبة ، ويكون الترشيح ببيان كتابي بمنزلة المرشح العلمية وصفاته الأدبية يرسله العضو الى رئاسة المجمع العلمي خلال شهر واحد اعتباراً من تاريخ طلب الترشيح . ولا يقبل الترشيح إلا إذا زكى المرشحَ عضوان عاملان . ولا يجوز أن يرشح أو يزكي العضوُ العامل أكثر من مرشح واحد لملء شاغر واحد وليس له أن يجمع بين التزكية والترشيح .

٢ — يضاف الى المادة السادسة من المرسوم المذكور الفقرة التالية :

يدون أمين السر العام ضبط هذا الاجتماع المتعلق بانتخاب أحد المرشحين عضواً عاملاً في سجل خاص موقت الى أن يستطلع الرئيس رأي المرشح المنتخب ، فاذا وافق صراحة دوّن الضبط نهائياً في سجل ضبوط الجلسات .

٣ — يضاف الى المادة (٣٠) الفقرة التالية :

وعضوا اللجنة الإدارية اللذان تنتهي مدة تعيينهما يثابران على القيام بأعمالها الى أن يصدر القرار الوزاري القاضي بتعيين خلف لهما .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

اجتماع اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

كنا وقفنا الجزء الأخير من هذه المجلة، الصادر في ١ كانون الثاني ١٩٥٧، على مؤتمر المجامع اللغوية العلمية العربية الذي انعقد في دمشق، ونشرنا فيه ما ألقاه أعضاء المؤتمر من أبحاث ومقترحات، وما أقر بعد الدراسة من توصيات.

وكان من بين توصيات المؤتمر تأسيس اتحاد للمجامع اللغوية العلمية العربية، ينظم الاتصال بينها وينسق أعمالها ...

وقد أقر مجلس جامعة الدول العربية هذه التوصيات، وعهد إلى الإدارة الثقافية في التمهيد لعقد الاجتماع الأول لهذا الاتحاد، وكان من ذلك أن تقرر عقده في القاهرة، يوم السبت ٢٣ آذار ١٩٥٧ والأيام التي تليه. أما موضوع البحث فيه فهو دراسة مشروع قانون لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، كانت الإدارة الثقافية قد أعدته وبعثت به الى أعضاء الاتحاد للنظر فيه.

وكان المجمع العلمي العربي قد عقد جلسة خاصة بدراسة هذا المشروع، ورغب إلى وفده الى اجتماع الاتحاد الأول بسط ما يراه المجمع في بعض مواد المشروع. وقد شخص إلى القاهرة الأساتذة: الأمير مصطفى الشهابي والسيد شفيق جبري والدكتور جميل صليبا لتمثيل المجمع العلمي العربي في هذا الاجتماع الأول لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية.

ونثبت فيما يلي المشروع المعروض الآن على البحث:

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مشروع قانون اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

الفصل الأول : تكوين الاتحاد وأغراضه

المادة الأولى — اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية هيئة لغوية علمية مركزية مقرها .... ، يتكون من المجامع اللغوية العلمية في كل بلد عربي ، ومن الشعب التي تتكون في كل قطر عربي ليس فيه مجمع . وغاية الاتحاد تنظيم الاتصال بين المجامع العربية وشعب الاتحاد وتنسيق جهودها ورسم مناهج العمل لتحقيق نهضة لغوية شاملة تمكن الأمة العربية من مسايرة ركب الحضارة الانسانية العالمية في تطورها في مختلف جوانب الحياة ، لكي تستعيد اللغة العربية سيرتها الأولى التي وسعت الشرائع والعلوم والحضارات القديمة ، وتتجارى في العصر الحاضر مع اللغات العالمية المماثلة .

المادة الثانية — يدير الاتحاد مجلس مؤلف من ثلاثة أعضاء عن كل مجمع تختارهم المجامع لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد ، وعضو مراقب عن كل شعبة في دول الجامعة العربية التي لم ينشأ فيها مجمع بعد تختاره الشعبة للمدة نفسها ، وعضو مراقب عن الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية تختاره لكل اجتماع ، ويتمتع الأعضاء والمراقبون بما يتمتع به أعضاء الاتحاد ، ومجلس الاتحاد هو السلطة العليا فيه .

المادة الثالثة — تكون اجتماعات مجلس الاتحاد قانونية بحضور أكثر من نصف الأعضاء ، وتؤخذ القرارات بأغلبية الحاضرين من الأعضاء ، وفي حالة تساوي الأصوات يرجح جانب الرئيس .

المادة الرابعة — ينتخب مجلس الاتحاد من بين أعضائه رئيساً ، ونائباً له من كل مجمع ، عدا المجمع الذي ينتخب منه الرئيس ، وأميناً عاماً وأميناً للصندوق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويكون انتخابهم لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد . ويراعى أن يكون الأمين العام وأمين الصندوق مقيمين في مقر الاتحاد .

المادة الخامسة — يقوم الأمين العام بتصريف الأمور الإدارية وتنفيذ قرارات المجلس .

المادة السادسة — يجتمع مجلس الاتحاد مرة كل سنة على الأقل ، ويحدد مكان الاجتماع وزمانه بقرار من المجلس . وكذلك يجتمع المجلس كلما طلب الاجتماع مجمعان أو أكثر .

المادة السابعة — يضع مجلس الاتحاد لائحة داخلية تنظم أعماله .

الفصل الثاني : اختصاصات مجلس الاتحاد

المادة الثامنة — العمل على تنفيذ أغراض الاتحاد وتحقيق أهدافه .

المادة التاسعة — دراسة الميزانية السنوية وإقرارها .

المادة العاشرة — عقد مؤتمر المجامع اللغوية العلمية العربية بصورة دورية مرة كل ثلاث سنوات ، وتقرير الاجتماعات والمؤتمرات الأخرى التي يعقدها ويدعو اليها أو يشترك فيها الاتحاد .

المادة الحادية عشرة — تحديد الموضوعات التي تعرض في تلك الاجتماعات أو المؤتمرات وتنظيم اعداد الدراسات المتعلقة بها .

المادة الثانية عشرة — الاتصال بالمجامع اللغوية العلمية لتنسيق جهودها ، وتتبع نشاطها ، وتوجيه هذا النشاط بما يتفق وأهداف الاتحاد .

المادة الثالثة عشرة — الاتصال بوزارات المعارف والتربية والتعليم في الأقطار العربية وبالإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية والاتحاد العلمي العربي ، وبالهيئات والجمعيات اللغوية والعلمية لتبادل الأبحاث والدراسات والأشخاص وتنسيق الأعمال وتنظيم الصلات .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المادة الرابعة عشرة — دراسة المقترحات التي ترد من الشعب أو الهيئات العلمية أو الأفراد والعمل على تنفيذ ما يقر منها .

المادة الخامسة عشرة — دراسة توصيات مؤتمرات المجامع اللغوية العلمية العربية ومتابعة تنفيذ ما يتقرر منها نهائيا .

الفصل الثالث : تكوين الشعبة واختصاصاتها

المادة السادسة عشرة — تتكون الشعبة في كل قطر عربي من :

١ — المجمع اللغوي العلمي في الأقطار التي فيها مجامع .

٢ — هيئة تختار أعضاءها وزارات المعارف والتربية والتعليم في الأقطار التي لم تنشأ فيها مجامع بعد ـ ويراعى في اختيارهم أن يكونوا من العلماء المبرزين وذوي اختصاص في الموضوعات التي تعنى بها المجامع ، مثل : اللغة والمصطلحات والتآليف والترجمة والتحقيق والنشر الخ .. بحيث تكون هذه الشعبة نواة لمجمع ينشأ في القطر حين تسمح إمكانياته بذلك .

المادة السابعة عشرة — يدير الشعبة مكتب مكون من ثلاثة أعضاء على الأقل تنتخبهم الشعبة وهم : رئيس وأمين عام وأمين صندوق .

المادة الثامنة عشرة — تقوم الشعبة بتنفيذ أغراض الاتحاد وتسعى الى تحقيق أهدافه وذلك بالطرق الآتية .

١ — الاتصال بالجهات الرسمية والأهلية المختصة لتنفيذ مقررات الاتحاد .

٢ — تنظيم اجتماعات ومحاضرات وندوات وحلقات دراسية وإصدار نشرات ومطبوعات علمية .

٣ — تقديم اقتراحات للاتحاد ، سواء أكانت من أعضاء الشعبة أم من الهيئات والأفراد بعد دراستها .

٤ — تقديم تقرير سنوي عن أعمال الشعبة الى مجلس الاتحاد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الفصل الرابع : مالية الاتحاد والشعب

المادة التاسعة عشرة — تتكون مالية الاتحاد من الموارد التالية :

١ — الإعانة المالية السنوية التي تقدمها الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ٠

٢ — الإعانات المالية التي تقدمها الحكومات ٠

٣ — مساهمة الشعب ٠

٤ — الهبات المسموح بها التي تقدمها الهيئات والأفراد ويوافق على قبولها مجلس الاتحاد ٠

٥ — ما يدخل صندوق الاتحاد من اشتراكات وإيرادات كإيرادات المجلة التي قد ينشئها الاتحاد ٠

المادة العشرون — تتكون مالية الشعب من الموارد الآتية :

١ — الاشتراكات ٠

٢ — المنح الحكومية ٠

٣ — الهبات المسموح بها التي تقدمها الهيئات والأفراد ويوافق على قبولها مكتب الشعبة ٠

٤ — الموارد الأخرى ٠

الفصل الخامس : تعديل قانون الاتحاد

المادة الحادية والعشرون — يجوز لمجلس الاتحاد أن يعدل هذا القانون بموافقة ثلثي أعضائه ، على أن يدرج مشروع التعديل في الدعوة الموجهة الى الاجتماع ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثاني والثلاثين

صفحة

٢٤١ حول الفصحى والعامية . . . . . للأستاذ ساطع الحصري .
٢٦٧ الاصطلاحات الفلسفية (٥) . . . . . للدكتور جميل صليبا . . .
٢٨٢ مراجعة كتاب فيه اختصار الجبر والمقابلة . للأستاذ قدري حافظ طوقان .
٢٨٩ تحقيقات حول نقد الغزالي (١) . . . . للدكتور حكمة هاشم . . .
٣٠٣ حملة نابليون على مصر (وثيقة) . . . للأمير جعفر الحسني . . .
٣٠٨ الترمذي صاحب الجامع في السنن . . للأستاذ محمد يوسف البنوري .
٣٢٧ أعراس الشام في أواخر القرن التاسع . . للأستاذ عبد الهادي هاشم . .
٣٣٨ أبو الفتح بن جني (٩) . . . . . للدكتور محمد أسعد طلس .

التعريف والنقد

٣٥٣ كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر . . } للأستاذ شفيق جبري . . .
٣٥٥ الكميت بن زيد الأسدي . . . . }
٣٥٨ أحاديث القرية . . . . . }
٣٦٠ مجلة كلية الآداب والعلوم ببغداد . . }
٣٦٤ أيُّ غَدٍ ؟ . . . . . للأمير مصطفى الشهابي . .
٣٦٥ علم الأمراض الباطنة (الجزء السابع) . للدكتور أسعد الحكيم . .
٣٦٧ عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير . } للأستاذ محمد بهجة البيطار .
٣٧٠ القرآن والترجمة . . . . . }
٣٧٢ جوهر الدين ، ومنظومة إلى عموم المسلمين }
٣٧٤ نجوى (ديوان شعر للأستاذ عدنان مردم بك) للدكتور سامي الدهان . .
٣٧٧ حول كتاب « نظرية أعمال السيادة » . للدكتور مصطفى البارودي .
٣٧٩ الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة } للأمير جعفر الحسني . . .
٣٨١ تاريخ العرب قبل الإسلام (الجزء الرابع) }
٣٨٢ تاريخ العرب قبل الإسلام (الجزء الخامس) }
٣٨٣ تاريخ المستبصر . . . . . }
٣٨٦ المسلمون الجزائريون في فرانسة والديار الإسلامية }
٣٨٧ بطولات من تاريخنا . . . . . }

آراء وأنباء

٣٨٨ المولد والماعي في علوم الزراعة والمواليد . للأمير مصطفى الشهابي . .
٣٩٤ تعديل النظام الداخلي للمجمع العلمي العربي . . . . . .
٣٩٥ اجتماع اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية . . . . . .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net